

كتاب
الكتاب
٢٧٢

أهرام مصر



تأليف: أ.أ. س. ادواردز
ترجمة: مصطفى أحمد عثمان
مراجعة: د. أحمد فكري



0101319



Bibliotheca Alexandrina

الهيئة المصرية
للحفاظ على التراث

أهرام مصر

الألف كتاب الثانی

الإشراف العام

د. سمیر سرحان

رئيس مجلس الإدارة

مدير التحرير

أحمد صلیحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزیز

الإخراج الفني

لمياء محرم

أهرام مصر

تأليف

أ. س. إدواردز

ترجمة

مصطفى أحمد عثمان

مراجعة

د. أحمد فخري

الطبعة الثانية



الجمعية المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	مؤلف الكتاب
٨	هذا الكتاب
١٣	تمهيد
١٦	اللوحات
١٩	رسومات الكتاب
٢٤	مقدمة
	الفصل الأول
٤٢	المصاطب
	الفصل الثانى
٥١	الهرم المدرج
	الفصل الثالث
٧٢	من الهرم المدرج الى الهرم الكامل
	الفصل الرابع
٨٩	أهرام الجيزة
	الفصل الخامس
١٣٠	أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة

الفصل السادس

أهرام العصور التالية ١٦٣

الفصل السابع

طريقة بناء الهرم والغرض منه ١٩٤

أهم أهرام الدولتين القديمة والوسطى ٢٢٤

بيبلوجرافيا ٢٢٦

مؤلف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ ا. ا. إدواردز من علماء الآثار المعروفين في بلاده ، وقد نشر كثيرا من الأبحاث العلمية . وكان يشغل منذ عام ١٩٣٤ وظيفة أمين القسم المصرى بالمتحف البريطانى . وله مقام مرموق بين علماء الآثار في إنجلترا بل وفي جميع البلاد الأخرى .

ولهذا وتبع عليه اختيار شركة بليكان لكتابة كتاب عن أهرام مصر ، فمضى سنوات عدة في اعداده أثناء الحرب العالمية الأولى ، وزار المناطق الأثرية المختلفة ، وتيسرت له الفرصة لقراءة ما كتب عن هذا الموضوع ، فأخرج هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، ونجح الى حد كبير في جعله سهلا ليتسنى لكل شخص أن يستفيد منه .

ولم يقتصر المؤلف على وصف بعض هذه الأهرام ، ولكنه شرح تطور فكرة بناء الهرم من الناحيتين الدينية والمعمارية ، مما زاد من قيمته . ومما يشهد على الاقبال الشديد على هذا الكتاب من القراء فى جميع أرجاء العالم أنه قد أعيد طبعه عدة مرات حتى الآن .

هذا الكتاب

أتم ا. ا. ادواردز كتابه عن أهرام مصر قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم يدخل عليه إلا القليل النادر بعد عام ١٩٤٥ ، ولهذا نرى أن كل ما فيه من معلومات ، وما حاول المؤلف استخلاصه من نتائج ، مبنى على معلومات عن الأهرام حتى ذلك التاريخ ، ولكن بالرغم من مضي أكثر من عشر سنوات على كتابه ، وظهور كثير من الأبحاث العلمية عن الأهرام في هذه الفترة ، وعمل حفائر كثيرة ، فإن الكتاب لم يفقد أهميته بعد ، وما زال كما كان منذ صدوره من خير ما يقرأه محبو الاطلاع عن فكرة الأهرام وتطورها في صورة مختصرة مقبولة ، ولهذا لم أتردد في التوصية على ترجمته في مشروع الألف كتاب ، وقبلت راضيا مراجعته لإيماني بفائدته ليكون بين أيدي قراء العربية رغم صعوبة موضوعه وتعقيد أسلوبه ، وهذا ما جعل ترجمته أمرا لا يمكن أن يوصف بالسهولة .

وقد نجح الأستاذ مصطفى أحمد عثمان في نقل هذا الكتاب الى العربية ، وكان أمينا مدققا في ترجمته ، وبذل كل ما في استطاعته في الإبقاء على روح أسلوب مؤلفه ، ولو كان ذلك على حساب سلامة الأسلوب في العربية واسترضاء القارئ ، وقد وافقته على ذلك لأن الكتاب منسوب قبل كل شيء الى مؤلفه ، وتتقضى امانة الترجمة باعطاء صورة صحيحة عن الموضوع ، وأسلوب المؤلف ، ولو كان ذلك فيه مشقة على القارئ .

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٩٤٧ ، وقد شاعت الظروف أن تظهر بين أعوام ١٩٤٥ - ١٩٥٦ معلومات كثيرة عن الأهرام ، وضعت حدا لكثير من المشاكل التي تعرض لها المؤلف ، كما أظهرت الحفائر المختلفة نتائج غيرت الكثير مما ورد في هذا

الكتاب ، ولهذا أثر العرب أن يضيف في الهوامش بعض ما جيد ، حتى لا يعتقد القارئ العربى فى عام ١٩٥٧ أن جميع المعلومات الواردة فى الكتاب هى آخر ما وصلت إليه أبحاث الأثريين عن الأهرام .

وانى أرى من واجبى الإشارة فى هذا التصدير المختصر الى أهم الأبحاث الجديدة عن موضوع الأهرام ، منذ صدور كتاب « أهرام مصر » باللغة الانجليزية حتى الآن :

أولا - فى منطقة دهشور :

تررت مصلحة الآثار فى عام ١٩٤٥ القيام بعمل أبحاث خاصة عن الأهرام ، ورصدت لذلك ميزانية خاصة لما أطلقت عليه مشروع دراسة الأهرام ، وأسندت رئاسته الى المرحوم المهندس عبد السلام محمد حسين ، الذى قام بحفر المعبد الجنائزى لهرم الشواف ، الذى بناه الملك « جد كارع - اسيسى » من أواخر الأسرة الخامسة فى جنوب ستقارة . ولكن الجزء الأكبر من أبحاث المرحوم عبد السلام محمد حسين كان فى منطقة دهشور حول الهرمين المشيدين بالحجر ، وقد نظف أركان الهرمين وداخلهما ووجد فى كل منهما اسم الملك « سنفرو » . وبهذا أخذت معلوماتنا عن هذه الفترة من تطور بناء الأهرام تتغير ، لأننا نعلم من النصوص المختلفة أن سنفرو - مؤسس الأسرة الرابعة ووالد خوفو بنائى الهرم الأكبر - بنى هرمين ، وكان المفروض ، حتى وقت القيام بالحفائر وكما هو وارد فى هذا الكتاب ، أن أحد هرمى سنفرو فى دهشور ، وهو الهرم البحرى ، أما هرم سنفرو الثانى فهو هرم ميدوم . ولكن حفائر مصلحة الآثار الجديدة أثبتت أن الهرم المنحنى فى دهشور ، وهو المعروف بالهرم الجنوبى ، قد بنى أيضا فى عهد سنفرو ، وبذلك تحدد أن هرمى سنفرو هما هزما دهشور . وعلينا الآن أن نجد اسم مشيد هرم ميدوم ، ونعرف تماما متى شيد .

ومات الأستاذ عبد السلام مأسوفاً عليه فى عام ١٩٤٩ فى ريعان شبابه دون أن يتمكن من نشر نتيجة أبحاثه نشرأ علميا ، أو يكمل ما بدأه من عمل ، وأسندت مصلحة الآثار الى مشروع دراسة الأهرام ، فوجدت أن منطقة دهشور أولى المناطق بالبحث ، فتابعت الأبحاث هناك وفتحت الممر الغربى فى الهرم المنحنى ، كما عثرت على كل من المعبد الجنائزى ومبنى الوادى وغير ذلك من مبان ، ووجدت الكثير من الأحجار المنقوشة واللوحات والتماثيل ، مما أضاف الكثير الى

معلوماتنا عن معابد تلك الفترة الدقيقة في تطور العمارة المصرية والفن المصري ، وثبت بشكل قاطع أن الهرم المنحني هو الهرم الجنوبي لسنفرى الذى ذكر كثيرا في النقوش المختلفة من العصور التالية .

ثانياً - في منطقة سقارة (١٩٥١ - ١٩٥٥) :

وفي الوقت الذى كانت تجرى فيه حفائر دهشور ، كانت تجرى أيضا حفائر لمصلحة الآثار خلف الهرم المدرج في سقارة تحت اشراف الأستاذ زكريا غنيم . وقد ثبت من حفائره أنه يوجد خلف الهرم اندرج هرم مدرج آخر لم ينته العمل فيه . وقد أراد مشيدوه أن يكون صورة من هرم زوسر المدرج ، ولكن لم يكمل بناء هذا الهرم سواء في داخله أو في تشييد مصاطبه ، ورغم أنه لم يعثر على ما يثبت أن مشيده قد دفن فيه ، فقد ثبت أنه من عصر الملك « سخم - خت » ، الذى تولى الملك بعد زوسر في الأسرة الثالثة .

ولو ضربنا صفحا عما عثر عليه أثناء الحفائر ، فان الجزء الذى تم من الهرم قد أثبت بشكل واضح أنه كان هرما مدرجا ، كما عثر أيضا على المر الصاعد الذى كان يستخدم في تشييد الأهرام ، فثبتت نهائيا صحة نظرية الأثريين منذ وقت طويل عن طريقة تشييد الأهرام ، وذلك بوجود مهر صاعد من احدى الجهات كانوا يزيدون في ارتفاعه كلما تقدم العمل ثم يزال عند الانتهاء منه .

ثالثا - في منطقة أهرام الجيزة :

وفي صيف عام ١٩٥٤ عثر أيضا في أعمال مصلحة الآثار على سفينتين جنازيتين للشمس في الجهة القبلية من الهرم الأكبر ، وقد كشف عن احدهما فقط حتى الآن . وثبت أنها من خشب الأرز وأنها وضعت في مكانها بعد وفاة خوفو ، في عهد خلفه « ددفرع » . وليست هاتان السفينتان هما أول ما نعرف عن السفن الجنازية حول المقابر ، إذ توجد الامكنة المحفورة في الصخر لسفینتين أخريين في شرق الهرم الأكبر ، كما توجد خمس سفن من هذا النوع حول الهرم الثانى ، ونعرف وجود أمثال هذه السفن منذ الأسرة الأولى ، ولكن امتاز الاكتشاف الجديد بأن سفينة خوفو أكبر حجما من أى سفينة عثر عليها ، وأفخم منها جميعا ، وهى كاملة بكل أدواتها ومعداتها . وقد أفاض المستر ادواردز في موضوع فكرة هذه السفن ، فلا داعى هنا للحديث عنها .

رابعاً - في منطقة الفيوم :

وكأنما شاء القدر أن تكون فترة هذه السنوات العشر مملوءة بالاكشافات الخاصة بالأهرام ، فكان هناك كشف خامس جديد في عام ١٩٥٦ . ولم يكن هذه المرة في منطقة أهرام الدولة القديمة في ستارة ، أو في الجيزة أو في دهشور ، بل كان في منطقة أخرى هي الفيوم وعلى مقربة من هرم الملك امنمحات الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة .

أرادت مصلحة الآثار أن تستوثق مما هو تحت بعض الكتل الحجرية الكبيرة داخل سور من الطوب النى محيط بتلك الكتل ، كشفت عنه أعمال استصلاح الحقول في تلك المنطقة منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، فقررت رفع الأحجار ، وعثرت هناك على حجرة دفن لاحدى الملكات تولت الملك في آخر أيام هذه الأسرة ، وهى الملكة « نفروبتاح » .

وبالرغم من أن جثة هذه الملكة قد دفنت دون عناية ، ودون أن يكون معها شيء من الحلى التى اعتدنا العثور عليها مع ملوك وأميرات هذه الأسرة ، إلا أنه عثر على أوان فضية كبيرة الحجم خارج التابوت تعتبر من أهم ما عثر عليه في هذه الأسرة ، وبذلك يمكننا أن نضيف هذا الكشف الجديد الى جدول الأهرام في مصر ، ولو أنه لم يبق منه غير حجرة الدفن فقط ، وزال مبناه العلوى الذى كان من الطوب النى تكسوه كتل من الحجر الجيرى .

تلك هى أهم الأبحاث الأثرية الجديدة عن الأهرام ، أضفتها لكى تكون فى متناول يد القارئ فكرة عنها ، وذلك ليضعها فى ذهنه عند قراءة هذا الكتاب . وانى أكرر ما سبق أن قلته ، وهو أن هذه المعلومات الجديدة لم تضيع من قيمة الكتاب الأسمى أو فائدته ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

أحمد فخري

أهرام مصر

تأليف

إ. إ. س. إدواردز

I. E. S. Edwards

كيف ولماذا شاد ملوك مصر أهرامهم ؟ هذان سؤالان من بين الأسئلة التي وضع هذا الكتاب للإجابة عليها ، مع تقديم إيضاحات جديدة عن أسباب بناء الهرم . وقد أمطت الحفائر التي أجريت داخل وحول الأهرام في القرن الماضي ، اللثام عن الاحتياطات العظيمة المدهشة التي لجأ إليها الملوك القدماء ليحصلوا على ما كانوا يعتقدون أنهم في حاجة إليه في الحياة الأخرى ، أو ليدراوا بها — ولكن دون طائل — تسلك لصوص المقابر . وسنجد هنا قصة كفاحهم لتحقيق هذين الغرضين ، وذلك بإدخال التعديلات والتطورات المستمرة على الأهرام .

سنقص هنا تلك القصة ، وسيساعد على توضيحها الكثير من الرسوم والصور الفوتوغرافية التي تبين التغيرات الأساسية .

تمهيد

نجد في الفصول القادبة وصفا للمعالم الأساسية لعدد من الأهرام، بنيت كلها تقريبا في فترة طولها نحو الف عام . وقد عنيينا عناية خاصة ببحث تلك الأهرامات التي توضح لنا جيدا ما مر على هذا النوع من القبور من التطور ثم التدهور ، فكتبنا عنه بشيء من التفصيل ، ومررنا على الأهرام الباقية مرا سريعا ، وفي الفصل الأخير يرى القارئ بعض البيانات عن الطرق التي استخدمها المصريون في البناء ، والدوافع التي جعلت الملوك القدماء يفضلون الشكل الهرمى لمقابرهم .

ومع أنى زرت — سواء قبل أو أثناء الحرب العالمية الثانية — معظم الأهرام المذكورة في هذا الكتاب ، واعتمدت على المذكرات التي كتبتها أثناء الزيارات ، الا أن الضرورة قد ألزمتنى بأن أنقل كثيرا من المعلومات والبيانات الأساسية عن تلك الأهرام من مؤلفات العلماء الأثريين الذين قاموا بأخذ مقاييس تلك الآثار أو قاموا بالكشف عنها في القرن الماضي . وسيرى القارئ بنفسه مبلغ ما أدين به لهؤلاء الأثريين وللناشرين الذين طبعوا مؤلفاتهم . وقد استندت في معظم التفسيرات الواردة في هذا الكتاب على ما ورد في كتب المؤلفين السابقين ، الا أنني اجتهدت في بعض الحالات في تقديم تفسيرات خاصة وصلت إليها بنفسى .

وانى أقدم شكرى للأصدقاء الذين ساعدونى بمختلف الوسائل أثناء تأليف هذا الكتاب ، وأخص بالذكر « جون كريكشانك روز » (John Cruikshank Rose) الذى قام بعمل الرسوم ، ورسومه جزء لا غنى عنه فى سلب الكتاب ، إذ أضاف مستر روز الى بعض الرسوم المنقولة من المؤلفات تفصيلات جديدة لتلائم أغراض هذا الكتاب ، أو إضافات ضرورية لما ظهر من اكتشافات لاحقة . وقد أعد كشفا بأسماء مؤلفى الكتب والمقالات التى أخذت منها الرسوم

في أول هذا الكتاب ، وقد سنحت لى فرصة دراسة تلك الأبحاث حينما كنت في الشرق الأوسط ، وانى مدين لمستر « بيرنهارد جردسلف » (Bernhard Grdseloff) أمين مكتبة المعهد المصرولى الخاص بالمرحوم الدكتور لودويج بورخارد (Dr. Ludwig Borchardt) في القاهرة ، والدكتور ا. بن - دور (Dr. I. Ben-Dor) أمين مكتبة متحف فلسطين بالتخصص ، والدكتور نلسى جليك (Mr. Nelson Gluick) مدير المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس ، وللمستر سيتون لويد (Mr. Seton Lloyd) المستشار الفنى لمصلحة الآثار في بغداد، وللمستر جارى برنتن (Mr. Guy Bronton) من المتحف المصرى الذى مكنتى من الحصول على صور فوتوغرافية لبعض القطع الأثرية المعروضة في ذلك المتحف والمنشورة مع غيرها من الصور في هذا الكتاب . كما أشكر المستر دونس دنهام (Mr. Dows Dunham) من متحف الفنون الجميلة ببوسطن الذى ساعدنى أيضا في الحصول على صورة لمجموعة التماثيل المنشورة في اللوحة رقم ١٢ . وقد أبدت ادارة متحف المتروبوليتان كرما عظيما بالسماح لى بوضع شكل ٢٦ قبل نشر التقرير النهائى لحفائرها . وقد سهل زيارتى الى مناطق الأهرام المختلفة اتيين دريتون (Dr. Etienne Drioton) مدير عام مصلحة الآثار المصرية (سابقا) وكذا موظفو هذه المصلحة في الأقليم . وانى أقرر أيضا أننى لم أصل الى تكوين الرأى النهائى لبعض المسائل التى نوقشت في هذا الكتاب الا بعد الاستفادة القيمة من مناقشتى مع بعض الزملاء مثل البكاشى وشيخ امبيرى (Lt. Col. W. B. Emery) الذى طعنا بذكر حفائره في نص هذا الكتاب ، ومع الاستاذى شيرنى (Professor J. Cerny) من جامعة لندن ومع المستر بيرنهد جردسلف (Mr. Bernhard Grdseloff) ومع المستر ه. و. فيرمان (Mr. H. W. Fairman) مدير حفائر جمعية الاكتشافات المصرية في الستينيات اللتين سبقتنا الحرب ، ومع البكاشى ر.د. ه. جونز (Lieut. Colonel R.D.H. Jones) من المهندسين الملكيين ، وأخص بالذكر الأستاذ ا. م. بلاكمان (Professor A. M. Blackman) من جامعة ليونبول والأستاذ س. ر. ك. جلانفيل (Professor S.R.K. Glanville) من جامعة كامبردج لتفضلهما بقراءة الفصل الكامل لهذا الكتاب قبل الطبع ، وكان لاقتراحاتهما الفشل في ادخال بعض التعديلات على هذا الكتاب . وكذلك الدكتور سى. سميث (Dr. Sidney Smith) أمين قسم الآثار المصرية والأشورية في المتحف البريطانى الذى قرأ الفصل

الأخير وأبدى كثيرا من التعقيبات . وأخيرا أنكر ما أدين به من
الشكر الخالص لزوجتي التي لم تقم بكتابة كل الأصول على الماكينة
نحسب ، بل ساعدت أيضا في تحسين نصوص كثير من العبارات
والفقرات الواردة في نصوص الكتاب .

I. E. S. Edwards . ا. ا. س. ادواردز

لندن سنة ١٩٤٦

اللوحات

لوحة

- ١ — أهرام الجيزة مصورة من الجو (باذن من وزارة الطيران)
- ٢ — الهرم المدرج بسقارة . الجانبان الجنوبي والغربي .
- ٣ ١ — نقوش بارزة على الحجر للفرعون زوسر وهو يؤدي بعض الطقوس الدينية .
سقارة (من مؤلف س. م. فيرث ، ج. ١. كويبيل — « الهرم المدرج » المجلد الثاني لوحة ١٦)
(From C. M. Firth & J. E. Quibell, « The Step Pyramid » Vol. II, Plate 16).
- ٣ ب — تمثال للفرعون زوسر من الحجر الجيري بالمتحف المصرى
- ٤ — الهرم المدرج . مدخل صالة الأعمدة بسقارة (من مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثاني لوحة ٥) .
(From J. P. Lauer, « La Pyramide à Degrés », Vol. II, Pl. XIV).
- ٥ — التغطية بالقيشانى كما كانت فى المصطبة الجنوبية بسقارة (من مؤلف س. م. فيرث ، ج. ١. كويبيل — « الهرم المدرج » لوحة الغلاف) .
(From C. M. Firth & J. E. Quibell Op. Cit., Vol. I, Frontispeice)
- ٦ ١ — هرم ميدوم
- ٦ ب — أبو الهول بالجيزة .
- ٧ — تمثال للفرعون خوفو من العاج بالمتحف المصرى

لوحة

- ٨ — تمثال خفرع من حجر الديوريت بالمتحف المصرى
٩ — لوحة تمثل ثالوثا لأحد أقاليم مصر نرى فيها منكبورع :
وحاتحور والهة اقليم ابن آوى بالمتحف المصرى .
١٠ — مجموعة تماثيل منكبورع وحاتحور والملكة خع — مررنبتى فى
متحف الفنون الجميلة ببوسطن .

١١ — الطريق الجنازى لهرم أوناس بسقارة (من مقال الأستاذ
سليم حسن « حفائر سقارة ٣٧ — ١٩٣٨ » فى مجلة أخبار
مصلحة الآثار مجلد ٣٨ لوحة ٥٤) .

(From Selim Bey Hassan, « Excavations in Sakkarā,
1937-1938 », in « Annales du Service des Antiquités »
Vol. XXXVIII, Plate XCIV).

١١ب — منظر مجاعة من رسوم طريق هرم أوناس الجنازى بسقارة
(من مقال الدكتور اتيين دريتون « رسم المجاعة على نقوش
مصرية فى الأسرة الخامسة » شكل ٣ ص ١١٥ من مجلة المعهد
المصرى مجلد ٢٥ (٤٢ — ١٩٤٣)

(From E. Drioton, « Une Representation de la Famine
sur un Bas-relief Egyptian de la Ve Dynastie » fig
3, p. 115. of « Le Bulletin de l'Institut d'Egypte ».
Vol. XXV (1942-1943).

١٢ — المعبد الجنازى المهتم من عهد نب حبت رع « متوحتب
بالدير « البحرى (تصوير ا. ج. آركل)
(Photograph by A. J. Arkell, Esq, B. B. E., M.C., E.S.A.)

١٣ أ — تمثال صغير من المرمر للفرعون بيبى الثانى وهو طفل .
بالمتحف المصرى .

١٣ب — امنحمت الثالث فى شبابه . بالمتحف المصرى

١٤ أ — أهرام مروى (تصوير ف. أديسن)
(Photograph by F. Addison, Esq.)

لوحة

١٤ ب — أدوات نحاسية من الأسرة الأولى . بالمتحف المصرى (من
مقال و. ب. امرى فى مجلة أخبار مصلحة الآثار المجلد ٣٩
(١٩٣٩) لوحة ١٤٥)

(From W. B. Emery, « A Preliminary Report of the
First Dynasty Copper Treasure from North Sakkara »
in « Annales du Service des Antiquités » Vol. XXXIX
1939, Plate LXV, A.)

١٤ ج — ثقوب فى الجرانيت من أعمال عمال المهاجر القدماء فى أسوان
١٥ — تمثال سنوسرت الأول من الحجر الجيرى . بالمتحف المصرى

رسومات الكتاب

شكل

- ١ — خريطة تقريبية لمصر
- ٢ — مصطبة الملك « عحا » بسقارة (من مؤلف و. ب. امري.
« مقبرة حور — عحا » لوحة ١)
(After W. B. Emery, « The Tomb of Hor-Aha », Plate I).
- ٣ — السور الخارجى حول الهرم المدرج (من مؤلف ج. ب. لاوير
« الهرم المدرج » ، الجزء الثانى لوحة ٤)
(After J. P. Lauer, « La Pyramide à Degrés » Vol. II.
Plate IV).
- ٤ — الهرم المدرج ، قطاع فى اتجاه الناحية الجنوبية (مقتبس من
مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثالث لوحة ٢)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. Cit., Vol. III. Plate II)
- ٥ — الهرم المدرج ، الأبنية الواقعة تحت سطح الأرض مع قطاع
أفقى (من مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثالث
لوحة ١)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. cit., Vol. III. Plate I)
- ٦ — عمود بردى متصل ، مقتبس من (ج. ب. لاوير « الهرم
المدرج » الجزء الثانى لوحة ٨٣)
(Adapted from J. P. Lauer Op. cit., Vol. II, Plate LXXXIII)
- ٧ — تاج عمود مركب من أوراق شجر متدلّية (من مؤلف ج. ب.
لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثانى لوحة ٦٠ الشكل ٤)
(After J.P. Lauer, Op. cit., Vol. II, Plate LX, 4)
- ٨ — عمود متصل ذو قنوات (من مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم
المدرج » الجزء الثانى لوحة ٧٠)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. cit., Vol. II, Plate LXX).

شكل

- ٦ — عامود متصل مضلع (من مؤلف ج. ب. لاوبرا « الهرم المدرج »
الجزء الثاني لوحة ٦٥)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. cit., Vol. II, Plate XLV).
- ١٠ — الهرم المنحنى ، قطاع في اتجاه الناحية الشمالية (من مؤلف
الكولونيل ه. فيس « أبحاث على أهرام الجيزة » الجزء
الثالث . الرسم المواجه لصفحة ٦٦ .
(From Col H. Vyse, « Operations carried on at the Pyra-
mids of Gizeh », Vol. III, Plen facing Page 66).
- ١١ — الهرم المنحنى قطاع في اتجاه الناحية الشمالية (من مؤلف
الكولونيل ه. فيس « أبحاث على أهرام الجيزة » الجزء الثالث.
الرسم المواجه لصفحة ٦٦)
(From Col H. Vyse ioc. cit.).
- ١٢ — هرم ميدوم ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية (من مؤلف
ل. بورخارت « تشييد الأهرام » اللوحتان ٣ و ٤)
(Adapted from L. Borchardt, « Die Entstehung der Pyra-
mide » Plates 3 & 4).
- ١٣ — المعبد الجنائزى لهرم ميدوم (من مؤلف و. م. فلندرز بترى
« ميدوم » لوحة ٤)
(From W. M. Flinders Petrie, « Medum » Plate IV).
- ١٤ — الهرم الأكبر ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية (من مؤلف
الكولونيل ه. فيس « أبحاث على أهرام الجيزة » الجزء الأول.
الرسم المواجه لصفحة ٣)
(Adapted from Col. H. Vyse, Op. cit., Vol. I, Plan facing
Page 3).
- ١٥ — معبد الوادى والمعبد الجنائزى لهرم خفرع (عن مؤلف ي.
هولشر « مدفن الملك خفرع » لوحة ٣)
(After U. Hoischer, « Das Grabdenkmal des Königs
Chephren », Plate III).

شكل

١٦ — هرم خفرع ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية مع رسم قطاع أفقى (من مؤلف ي. هولشر « مدفن الملك خفرع » لوحات (٧ ، ٢

(From U. Holscher, Op. cit., Plates II & VII).

١٧ — هرم منكاورع ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية مع رسم قطاع أفقى (مقتبس من مؤلف الكولونيل ه. فيس « أبحاث على أهرام الجيزة » الجزء الثانى . الرسمان المواجهان لصفحتى (٨٠ ، ٧٢

(Adapted from Col. H. Vyse, Op. cit., Vol II, plans facing p. 72 & 80).

١٨ — أهرام أبو صير ، رسم تصويرى لما كانت عليه عند تشييدها (مقتبس من مؤلف ب. بورخارت « مدفن الملك نى . أوسر . رع » لوحة ١)

(Adapted from L. Borchardt, « Das Grabdenkmal des Königs Ne-User-Re », Plate I).

١٩ — معبد الشمس للملك نى . وسر . رع (من مؤلف ب. بورخارت « معبد رع للملك نى . أوسر . رع » الجزء الأول اللوحة ١) (From L. Borchardt, « Das Re-Heiligtum des Königs Ne-Woser-Re », Vol. I, Plate 1).

٢٠ — عامود من الطراز النخلى (من مؤلف ب. بورخارت « مدفن الملك ساحورع » الجزء الأول لوحة ٩)

(From L. Borchardt, « Das Grabdenkmal des Königs Sahu-Re », Vol. I, Plate 9).

٢١ — المجموعة الهرمية لساحورع (مقتبس من مؤلف ب. بورخارت ، الجزء الأول لوحة ١٦)

(Adapted from L. Borchardt, Op. cit., Plate 16).

٢٢ — عامود من طراز حزمة البردى (من مؤلف ل. بورخارت « مدفن الملك ساحورع » الجزء الأول لوحة ١١)

(From L. Borchardt, Op. cit., Plate II)

شكل

٢٣ - الحجرات والممرات في هرم أوناس (من مؤلف ك. زينه
« نصوص الاهرام » الجزء الثالث ص ١١٦)
(From K. Sèthe, « Pyramiden-texte », Vol. III, p. 116).

٢٤ - المجموعة الهرمية لبيبي الثانى (من مؤلف ج. جكييه « الآثار
الجنائزية لبيبي الثانى » الجزء الثالث لوحة ١)
(From G. Jequier, « Le Monument Funeraire de Pepi II »,
Vol. III, Plate 1).

٢٥ - المعبد الجنائزى ل « نب. حيت. رع منتوحتب » كما كان عند
تشبيده (من مؤلف أ. نافيل « معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير
البحرى » الجزء الثانى لوحة ٢٣)
(After E. Naville, « The XIth Dynasty Temple of Deir
El-Bahri », Vol. II, Plate XXIII).

٢٦ - المجموعة الهرمية لسنوسرت الاول (جمعت باذن خاص من
متحف المتروبوليتان للفنون من التقارير التمهيدية لحفائر اللثت
المنشورة فى نشرة متحف المتروبوليتان للفنون الجزء الثانى يولييه
١٩٢٠ صفحة ٤ والجزء الثانى مارس ١٩٢٦ صفحة ٣٧ ،
الجزء الثانى نوفمبر ١٩٣٤ صفحة ٢٣ ومن معلومات خاصة من
لندسلى ف. هول من متحف المتروبوليتان للفنون)

(Assembled by permission of the Metropolitan Museum
of Art from « Preliminary Reports of the Ex-
cavations at Lisht » published in the « Bulletin of
the Metropolitan Museum of Art » Part II, July 1920,
p. 4, Part. II, March 1926 p. 37, Part II, November
1934, p. 23, and from a private communication from
Lindsley F. Hall of the Metropolitan Museum of
Art.)

٢٧ - هرم امنحات الثالث بهوارة (من مؤلف و. م. فلندرز بترى
« كاهون وغراب وهوارة » لوحة ٢)

(From W. M. Flinders Petrie « Kahun, Gurab and
Hawara » Plate II).

٢٨ — حجرة الدفن لأمنمحات الثالث بهوارة (من مؤلف و . م .
فلنדרزيتري «كاهون ، غراب وهوارة » لوحة ٤)
(From W. M. Flinders Petrie, Op. cit., Plate IV).

٢٩ — مقابر الأشخاص بدير المدينة (من مؤلف ب . برويير « تقرير
عن حفائر دير المدينة » ١٩٣٠ لوحة ٣٢)
(After B. Bruyere, « Rapport sur les Fouilles de Deir-
El-Medineh » 1930, Plate XXXII).

٣٠ — النيل من أسوان الى الخرطوم

٣١ — هرم طهرقا (من مؤلف ج . ا . ريزنر « لسوك اثيوبيا —
المعروفون منهم والمجهولون » في نشرة متحف بوسطن للفنون
الجميلة مجلد ١٦ ص ٧٠)
(After G. A. Reisner, « Known and Unknown Kings of
Ethiopia » in Bulletin of Boston Museum of Fine
Arts Vol. XVI, p. 70).

٣٢ — طريقة لمعرفة الشمال الحقيقي

٣٣ — نقل تمثال كبير (عن ب . ا . نيوبري « البرشا » الجزء الأول
لوحة ١٥)
(After P. E. Newberry « El-Bersheh », Part I. Plate XV)

٣٤ — هرم ساحورع ، قطاع في اتجاه الناحية الشرقية (عن ب .
يورخارت « مدفن الملك ساحورع » المجلد الأول لوحة ٧)
(After L. Borhardt, Op. cit. Vol. I, Plate 7).

مقدمة

ان السؤال الأول الذى يخطر على ذهن كل من يتطلع الى أثر قديم هو التساؤل عن تاريخه ، وغالبا ما تكون الاجابة على هذا التساؤل صعبة ، بل وفي بعض الأحيان مستحيلة بالنسبة للأثار المصرية ، اذا أردنا تحديد التاريخ بالسنين قبل بدء العصر المسيحى ، لأن معلوماتنا عن التقويم المصرى — وبالأخص فى العصور المبكرة — لم تكتمل بعد . فنحن نعرف تماما تتابع الحوادث وغالبا ما نعرف أيضا ارتباطها ببعضها ، ولكن — خلا حالات نادرة — قد لا يكون التاريخ المضبوط ممكنا ، اللهم الا اذا عثر الباحثون على أشياء أخرى محددة التاريخ أكثر مما عثرنا عليه حتى الآن ، للتسهيل من ناحية ولأن قرنا من الزمان قد مضى فى دراسة الآثار وأثبت صحة طريقة ترتيب ملوك مصر فى واحدة وثلاثين أسرة وهو ما عرفناه من مؤلف مانيتون « تاريخ مصر » (Manetho's « History of Egypt ») والذى أجمع المؤرخون المحدثون على الاعتماد عليه فى تحديد التاريخ . ولما كانت نهاية كل أسرة لم تستلزم حدوث تغييرات سياسية أو فنية هامة ، فقد وجد المؤرخون أنه من الأوفق أن تجمع الأسرات فى عصور تتناسب مع أهم ما طرأ من تغييرات . وهناك تسعة عصور أساسية هذه هى أسماؤها وتواريخها على وجه التقريب :

الأسرتان الأولى والثانية

العصر العتيق ٣١٨٨ — ٢٨١٥ ق.م

من الأسرة الثالثة الى الأسرة السادسة :

الدولة القديمة ٢٨١٥ — ٢٢٩٤ ق.م

من الأسرة السابعة الى الأسرة العاشرة :

عصر الفترة الأولى ٢٢٩٤ — ٢١٣٢ ق.م

من الأسرة الحادية عشرة الى الأسرة الثانية عشرة :

- الدولة الوسطى ٢١٣٢ - ١٧٧٧ ق.م
 من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة :
 عصر الفترة الثانية ١٧٧٧ - ١٥٧٣ ق.م
 من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين :
 الدولة الحديثة ١٥٧٣ - ١٠٩٠ ق.م
 من الأسرة الواحدة والعشرين إلى الأسرة الخامسة والعشرين :
 الدولة الحديثة المتأخرة ١٠٩٠ - ٦٦٣ ق.م
 الأسرة السادسة والعشرون :
 العصر الصلوى ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م
 من الأسرة السابعة والعشرين إلى الأسرة الواحدة والثلاثين :
 العصر المتأخر ٥٢٥ - ٣٣٢ ق.م

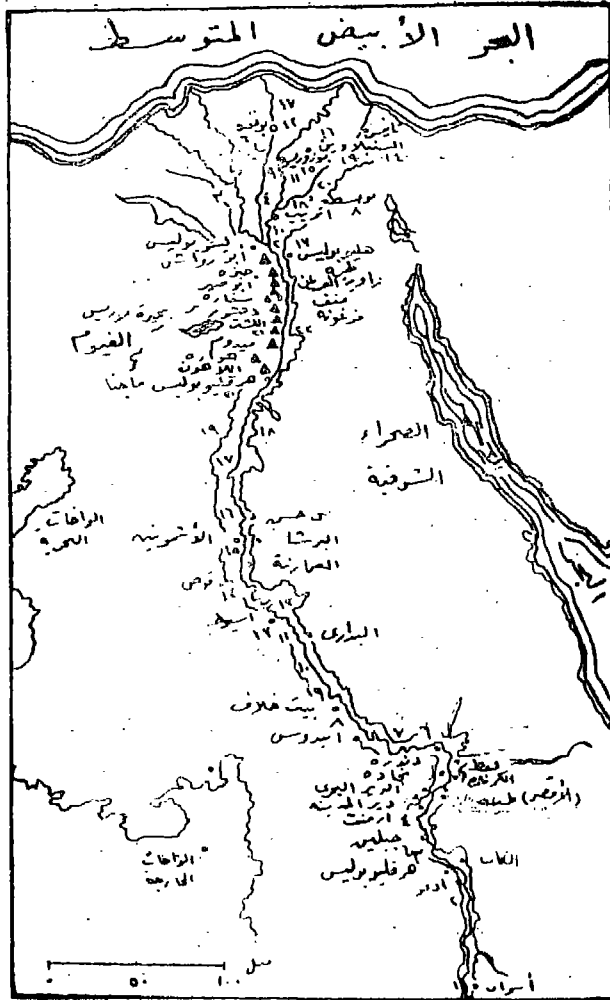
ويستغرق عصر بناء الأهرام المدة الثانية من هذه المجموعة والمدة التي تبدأ بالأسرة الثالثة وتنتهي بالأسرة السادسة . وكان الملوك وبعض الملكات خلال هذه الفترة - ما عدا بعض حالات قليلة - يدفنون في مقابر يعطوها بناء هرمي الشكل . وقد شيّدت الأهرام أيضا لبعض الملوك والملكات في أسر تالية ، ولكنها كانت تحاول تقليد التقليد القديم ولا يعوزها الكثير من الفخامة المعمارية التي كانت للأهرام السابقة فحسب ، بل يعوزها أيضا بعض المعاني الدينية . ومجموع عدد الأهرام المعروفة لنا في مصر ثمانون هرما تقريبا ، ولو أن معظمها في الحقيقة قد تحول إلى أكوام من الرمال والرديم إلا أنها مع ذلك ما زال من الممكن لعلماء الآثار أن يعرفوا أمكنتها وهم متأكدون أنها كانت يوما من الأيام أهراما قائمة .

والأهرام التي تنتمي إلى عصر بناء الأهرام مشيدة على الضفة الغربية للنيل على مقربة من مدينة منف القديمة (Memphis) بين ميدوم جنوبا وأبو رواش شمالا . وإذا أخذنا بما جاء في الأخبار المتواترة فإن منف بنيت على أرض استصلحها الفرعون مينا (Menes) أول حاكم في الأسرة الأولى ، بعد عمل جسر للنيل فجعله يشق طريقه إلى الشرق من مجراه الأصلي . ومهما يكن مبلغ هذه الأخبار المتواترة من الصحة في تفاصيلها فلا ريب في أن مينا هو على الأرجح مؤسس

مدينة منف ، لأن كثيرا من البقايا الأثرية الموجودة حولها مباشرة يرجع تاريخه الى أيام الأسرة الأولى ، ولم يعثر على شيء يمكن أن ينسب الى عصر سابق عليها ، وان اكتشاف عدد كبير من المحلات الأثرية من عصر ما قبل الأسرات بالقرب من تلال المقطم على الضفة المقابلة من النهر يؤكد الحقيقة الأولى وهي عدم وجود أمثال هذه المحلات في مدينة منف نفسها .

وحتى الآن لا يمكننا الجزم بما اذا كان مينا قد أنشأ منف لتكون عاصمة مصر أو أنها بنيت في الأصل لتكون مجرد مدينة محصنة ثم أصبحت مقر الحكومة في عصر لاحق، ربما كان في بدء الأسرة الثالثة . ان الظروف التي أحاطت بتولى « مينا » عرش البلاد ترجح بدون شك اختياره هذا المكان ليكون عاصمة ملكه ، فقبل أيامه كانت مصر مكونة من مملكتين منفصلتين ، الأولى تمتد من أسوان في الجنوب الى منطقة منف ، والأخرى تشمل باقى القطر من جهة الشمال ، أى تشمل الدلتا بأكملها . وكانت عاصمة المملكة الجنوبية (مصر العليا) تقع عند مدينة نخن (Nekhen) (هيراكونبوليس Hierakonpolis) أما عاصمة المملكة الشمالية (مصر السفلى) فكانت عند مدينة بى (BA) (بوتو Buto) . وتغلب مينا — الذى كان ملكا للمملكة الجنوبية غقط — على المملكة الشمالية ، وأدمج المملكتين فى مملكة واحدة ، وثبت ملكه على البلاد كلها . ولهذا كانت منف هى أنسب مكان ليشيد فيه مدينة محصنة ، لأنها تقع تقريبا على الحد الفاصل بين المملكتين السابقتين، وتصلح لصد أية محاولة يقوم بها أهل الشمال المغلوبون على أمرهم اذا ما أحسوا يوما من الأيام بتسرب الضعف الى الجنوب ، كما كانت فى الوقت ذاته أنسب الأمكنة لإدارة شؤون المملكة الجديدة المتحدة .

وباتحاد المملكتين أمكن لمينا أن يقوم بعمل حبرى ربما حاوله غيره من قبل فلم يكتب له الا نجاح مؤقت ، وعلى كل حال تمكن مينا من القيام بالعمل الحبرى اللازم لاتحاد المملكتين ، وامكنه أيضا أن يتثبت من استمرار ما وصل اليه من نتيجة ذلك باتباعه سياسة رشيدة ، قامت عليها عظمة مصر فى الأسر التالية . ومع ذلك لم ينس أهل مصر الحقيقة التاريخية بأن بلدهم كانت تتكون يوما من مملكتين منفصلتين ، لأن الفراغنة — الى آخر أيامهم — ظلوا يستخدمون بين بقاياهم لقب « ملك الوجهين القبلى والبحرى » .



شكل (1) خريطة تقريبية لعصر

ولا يكاد يوجد لدينا معلومات مفصلة عن طريق الادارة السياسية التي سار عليها مينا وخلفاؤه الاولون ، ولكنه يلوح أنهم اتبعوا نظام تركيز السلطة الى حد كبير .

لقد كشفت الحفائر الحديثة التي قام بها و. ب. امري (W. B. Emery) بسقارة في جبانة منف (Memphis) عن عدد كبير من مقابر رجال البلاط والموظفين في الأسترتين الأولى والثانية ، وما زال كثير منها تحت الرمال ينتظر الكشف عنه . ويتضح من عدد هذه المقابر ومن القاب أصحابها ، أن الملك كان محاطا بعدد كبير من المستشارين والموظفين الذين يقومون بالتنفيذ ، ولكن عدم معرفتنا لأى شيء عن تفاصيل حياتهم يجعل محاولتنا لفهم تاريخهم الشخصى أمرا متعذرا .

وقبل حكم مينا كانت مصر مقسمة الى مناطق نسميها عادة أقاليم (Nomes) — وهى كلمة مشتقة من أصل يونانى — وعددها يختلف من وقت الى آخر نظرا لاغارة القوى منها على الضعيف وضمه اليه ، أو لأنه كثيرا ما يحدث أن يصيب الوهن والانحلال بعض الأقاليم الكبيرة فتتفكك . وحينما تم النصر لمينا كان عددها على ما يظهر اثنين وأربعين اقليما : اثنان وعشرون منها في مصر العليا ، وعشرون في مصر السفلى . وسمح مينا أن تظل هذه الأقاليم كما كانت وحدات منفصلة ولكنه عين لكل واحد منها حاكما مسئولا عن الاشراف على أموره الاجتماعية والدينية . وفي البداية كان هؤلاء الحكام — أو رؤساء الأقاليم كما كانوا يسمون عادة — يباشرون أعمالهم لمدة معينة فقط ، ثم تدرجت هذه المناصب فأصبحت حقا وراثيا لبعض العائلات ، وهكذا أخذت تتكون طبقة حكام الأقاليم التي أخذت تهدد سلطة الملك حتى وصل بها الأمر في نهاية الأسرة السادسة فقامت بدور هام في تقويض أركان الملكية نفسها . ولستنا نعرف عن النظم السياسية لتلك الأقاليم أو عن الصلات التي كانت تربطها بالعاصمة الا القليل .

وما من شك في أن كل اقليم كان مكلفا بتوصيل الدخل للخزينة الملكية، ولكن — على ما يظهر — كانت الأقاليم متباعدة بالكثير من استقلالها الدينى ، وكان لكل اقليم الهه أو آلهته المحلية الخاصة ترسم عادة في صورة حيوان أو انسان له رأس حيوان ، مثل وبواوت (Wepwawet) الاله الذئب الذى كان يعبد في إقليم أسيوط ، وباستت (Bastet) الالهة القطه معبودة بوباستت (Bubastis) وحرسافس (Hersaphes)

الاله نو رأس الكبش الذى كان يعبد فى اهناسية (Herakleopolis) وكان بعض الآلهة المحلية تمثل على صورة الانسان . مثل بتاح (Ptah) فى منف (Memphis) والاله مين (Min) فى قفت (Coptos) وأوزيريس (Osiris) وهم ثلاثة من أهم الآلهة المعروفين .

وربما عبد فى اقليم واحد آلهة كثيرة مختلفة تتباين أهميتها النسبية تبعاً لعدد المؤمنين بها أو تبعاً لثروة معابدها . غفى اقليم منف مثلاً نجد الى جوار الهه الرئيسى بتاح الآلهة سخمت (Sekhmet) ذات رأس اللبؤة ، والاله نفرتوم (Nefertum) ويرسم على صورة انسان وفوق رأسه زهرة اللوتس ، وسكر (Sokar) وهو اله ذو رأس على هيئة رأس الصقر وكان يسكن الصحراء غرب منف . وكان لكل من هذه الآلهة هيكله الخاص ، ولكن على مرور الزمن اعتبروا الآلهة بتاح وسخمت ونفرتوم عائلة واحدة وعبدت فى معبد واحد . ونجد أمثال هذا الثالوث فى بلاد أخرى ، مثل ثالوث أوزيريس وإيزيس وحورس وهم الذين يكونون أشهر ثالوث فى الديانة المصرية .

ونحن لا نستطيع أن نقول ان الملوك الأوائل عندما سمحوا للأقاليم بأن تتمتع باستقلالها الدينى كانوا يحاولون تصريف الأمور وفقاً لما تمليه عليهم الضرورة السياسية ، ففى عهد سادت فيه فلسنة تعدد الآلهة لم تكن هناك ضرورة أو رغبة لتغيير النظام الدينى السائد اذ ذاك . ولو استثنينا بعض الآلهة القليلة العدد المتصلة بعناصر الكون ، والتي يبدو أنه كان معترفاً بها الى حد كبير منذ عهد بعيد ، فإن العدد الأكبر من الآلهة كان ينحصر نفوذه فى حدود جغرافية معينة . ولا جدوى من التكهن بالآثر الذى كان يحدث على تطور الديانة المصرية لو لم يتبع الملوك سياسة التسامح ، الا أنه من الأهمية بمكان أن نضع فى أذهاننا أن العناصر المختلفة التى حددت طبيعة هذا الدين — كما هو معروف لنا — كانت محلية فى أساسها ، وهذا هو سبب ذلك التشعب، بل والتناقض ، فى بعض العقائد التى كان يعتقدونها المصريون فى أيام الأسرات .

وبدا نضج واكتمال دين رسمى لمصر فى عصر بناء الأهرام ، فقد استمدوا ذلك من طقوس معبد له كهنوت قوى ، يقع بالقرب من شهبال منف عند المدينة التى أطلق عليها اليونانيون فيما بعد اسم

هليوبوليس (Heliopolis) التي كان يسميها قدماء المصريين أون (On) وذكرت بهذا الاسم في كتاب سفر التكوين حيث وصف بوتيفار بأنه كاهن من كهنة أون .

وفي العصور الموعلة في القدم كان يرمز للمعبود الذي فيه برمز على هيئة عمود ، ولكن ابتداء من عصر الأسرات أصبح ذلك المعبد مركزا لديانة الشمس ، وكان أعظم الأشياء تقديسا في هذا المعبد هو الـ « بنين » (Benben) وهو حجر هرمي الشكل كانوا يعتقدون أن اله الشمس أظهر نفسه وهو واقف عليه على هيئة طير العنقاء (Phoenix) طائر الخلود .

وما ان جاءت العصور التاريخية حتى كان كهنة هليوبوليس قد وضعوا قصة خلق الكون وقالوا فيها ان رع - أتوم (Ra-Atum) اله الشمس قد خلق نفسه من نون Nun المحيط الأزلى . وجاء من نسل رع - أتوم الاله شو Shu ، وهو اله الهواء ، والالهة تفتوت (Tefnut) ، وهى الهه الرطوبة ، اللذان أنجبا بدورهما جب (Geb) اله الأرض ونوت (Nut) الهه السماء . ومن جب ونوت اتى الى الوجود أوزيريس وايزيس وست ونفتيس .

وأطلقوا على هذه الآلهة التسعة « تاسوع هليوبوليس العظيم » . وكان هناك أيضا تاسوع صغير يتكون من مجموعة من الآلهة الذين يظنون أهمية عن السابقين ، وكان يتزعمهم الاله حورس . ومع ذلك فلم يكن رع - أتوم هو الصورة الوحيدة التي عبد فيها اله الشمس في هليوبوليس ، فهناك أشكال أخرى مثل حوراختى (Horakhti) - وترجمتها حورس الذى فى الأفق - وخبرى (Khepri) على هيئة جعل ، وكانا يعبدان هناك . وقد جاول كهنة هليوبوليس أن يفرقوا بين هذه الأشكال ، فقالوا بأن خبرى هو الشمس المشرقة فى الصباح ، ورع - أتوم الشمس الغاربة فى المساء ، ولكن المصريين القدماء لم يراعوا بدقة هذه التفرقة . ولم يجد المصريون فى عهد إنابة الأهرام صعوبة فى اعتبار اله الشمس كائنا مركبا أى أنه لم يكن كائنا واحدا لا يتجزأ بل كان الها مكونا من أكثر من عنصر واحد مستبد كل منها من أحد آلهة الشمس المحلية التى كانت فى الأصل منفصلة عن بعضها ثم اتحدت فيما بعد دون أن تتساوى فى المرتبة مع رع اله هليوبوليس . ولم يكن عجيبا إذن أن تحوى عبادة الشمس متفاوتات عدة كما نرى

ذلك في أقدم مجموعة للنصوص الدينية التي وصلت إلينا ، وهي النصوص المحفورة على جدران حجرات وممرات الأهرام في الأسرتين الخامسة والسادسة .

ولكى نوضح العقائد المختلفة التي ربما وجدت في وقت واحد ، يكفي أن نذكر التفسيرات المختلفة التي فسروا بها تحرك الشمس اليومى عبر الأرض . فأكثر النظريات قبولا ، هي النظرية القائلة بأن رع كان يعبر السماء كل يوم مصحوبا بأتباعه راكباً أحد القوارب .

واعتقدوا أيضاً أن القمر والكواكب تعبر السماء أيضاً في قوارب ، وذلك لأنه لم تكن هناك طريقة للمواصلات أنسب عند المصرى القديم من القارب ، لأنه هو وأجداده قد ركبوا متن النيل ليسافروا عليه من مكان الى آخر ، ولهذا فإن سفر الكائنات المقدسة في رحلتها السماوية بنفس الطريقة ، كان أمراً منطقياً .

وهناك مدرسة فكرية أخرى كانت تقول بأن الشمس كانت تحمل في الجو على أجنحة مثل الطائر ، وكان هذا الاعتقاد متصلاً بصفة خاصة باله الشمس في صورة حورا ختى الذى كانوا يعتبرونه منذ أقدم العصور أنه كان على صورة الصقر .

ونظراً لأنه لا يمكن لأى كائن منظور أن يحمل نفسه في الفضاء مدة طويلة الا اذا كانت له أجنحة ، فلماذا كان معقولاً أن تخضع الشمس لنفس القوانين الأساسية كالأشياء الأخرى ، ووقع اختيارهم على الصقر لأنه يفوق كل الطيور الأخرى المعروفة للمصريين في قدرته على التحليق في الجو على ارتفاع عال جداً .

وربما كان أطرف الآراء المختلفة التي وضعت لتفسير سير الشمس عبر السماء ، ذلك الذى قال بأن إله الشمس كان على شكل الجمل ، وكان هذا التصور يتجاوب على الأخص معه في اسمه خبرى . كان المصرى القديم يعرف جيداً منظر الجمل ، وكثيراً ما كان يلاحظه وهو يدفع أمامه على الأرض كرة صغيرة من الروث حتى يعثر على شق مناسب يضعها فيه . واعتقد المصرى أن صفار الجمل تخلق نفسها بنفسها ، ثم تخرج من تلك الكرة . وتخيل المصرى أنه يوجد شبه بين الشمس منبع الحياة كلها وتلك الكرة من الروث التى اعتقد أن صفار الجمل تخرج منها . فليس من المستغرب إذن أن تكون القوة التى تدفع بالشمس عبر السماء ، وهى إله الشمس ، شبيهة بجمل هائل الحجم

يدفع الشمس أمامه كما يدفع جبل الأرض كرة البروث ، فريسموه على هذه الصورة . وبهذه المناسبة يجب أن نذكر أنه ليس بالأمر ذي العال أو الأهمية اذا كان علماء الحشرات يقررون أن كرة البروث التي يدرجها الجبل أمامه انها تحوى ما يختزنه من طعام ، بينما الكرة التي تحوى بيض الجبل ليست مستديرة بل كثرية الشكل وتحفظها أنثى الحشرة في ثقب حتى يحين وقت نفسها .

وكان سير الشمس أثناء الليل سبباً في ظهور نظريات مختلفة . فهناك التفسير الطبيعي أنها تضى ساعات الظلام سائرة في مركب خلال العالم السفلى المسمى دات (Dat) قيل أن تظهر مرة ثانية فوق الأرض في كل يوم عند الشروق ، ويفرض تفسير آخر فيه الكثير من الخيال أن السياء ليست إلا جسيم الإلهة نوت التي تظلل الأرض على هيئة قنطرة هائلة رأسها في مستوى الأفق الغربى وعجزها في مستوى الأفق الشرقى ويمتد ذراعها ورجلاها تحت الأفق ، وتغيب الشمس في هذه الإلهة كل مساء عند الغروب ، وتمر في جسدها أثناء الليل لكي تولد ثانية عند الشروق . ولم يقل قبول المصريين لهذا التفسير في أى وقت من الأوقات ، بل استمر حتى آخر العصور جنباً الى جنب مع نظرية رحلة الشمس أثناء الليل خلال الـ « دات » (*) .

واضطرت ديانة الشمس في هليوبوليس — في الوقت الذى كانت تتمتع فيه بأعظم نفوذ في عصر بناء الأهرام — الى قبول ، ثم الى ادماج ، ديانة أخرى لم يكن لها صلة بعبادة الشمس ، ألا وهى ديانة الإله أوزيريس . وهذه الديانة — بالشكل الذى نعرفه — حوت كثيراً من المتناقضات ، مثل عبادة الشمس ، كما اضطرت أيضاً الى ادماج معتقدات كانت في أصلها متصلة بالهة محلية أخرى لم تكن في الأصل ذات صلة بالاله الرئيسى الذى اندمجت فيه .

وفي الأزمنة الفابرة — قبل اتحاد مصر العليا بمصر السفلى تحت حكم مينا — ربما كان الاله أوزيريس في الأصل ملكاً ، ثم أصبح الاله المحلى للأقليم التاسع من أقاليم مصر السفلى وعاصمته أبو صير وانتشر نفوذه فيما بعد حتى أصبح الاله الرئيسى المجموعة من الأقاليم في شرق الدلتا . وعبد في وقت ما أثناء هذا التقدم مع اله محلى يسمى عنجتى (Anjeti) وكان الرمز الخاص به هو عصا الراعى والسوط . وكان حورس ، الذى اعتبر فيما بعد ابناً

(*) عالم الموتى

لأوزيريس ، في ذلك الوقت الها مستقلا تماما له نفوذه وسلطته على مجموعة من الأقاليم في غرب الدلتا . أما ايزيس — التي اعتبرت في عصر بناء الأهرام زوجة لأوزيريس — فيلوح أنها كانت هي الأخرى الهة في الدلتا ، ولكننا لا نعرف على وجه التحقيق شيئا عن أصلها .

وبعد أن ارتبطت عبادة أوزيريس بعبادة حورس الاله المجاور له ، اعتبر هذان الآلهان كوالد وولد ، وبدأ نفوذهما ينتشر جنوبا حتى أصبح أوزيريس في عصر بناء الأهرام يعبد مع سكر الهه جبانة منف ، ومع وبواوت الاله الذئب في أسيوط ، ومع خنتي — أمنتيو Khentimentiu الاله الذي كان على صورة ابن آوى وكان يعبد في أبيدوس ، وربما مع آلهة آخرين أيضا ، ولكن أهم هذه الصلات هي بلا شك تلك التي كانت مع خنتي — أمنتيو ، لأنه بمرور الزمن أصبح أوزيريس ذا صلة رئيسية بأبيدوس بينما فقدت أبو صير — مقره الأصلي — أهميتها تدريجا .

واحتوت نصوص الديانة المصرية على اشارات لا حصر لها الى القصة التي كانت أساسا لديانة أوزيريس ، ولكن لا توجد قصة متصلة كاملة منها . وليس من الصعب علينا أن نتكهن بالسبب في هذا ، باعتبارها لابد أنها كانت معروفة تماما منذ زمان بعيد لدرجة أنهم لم يجدوا ضرورة لاثبات نصها .

وأول نسخة كاملة معروفة في الوقت الحاضر هي ما كتبه بلوتارخ (Plutarch) في مؤلفه «أوزيريس وأوزيريس» (De Iside et Osiride) وهي وأن اختلفت في بعض التفاصيل الا أنها تتفق في كل المواقف المهمة مع الاشارات الواردة في النصوص المصرية . ولهذا يمكننا اعتبارها ممثلة بوجه عام للقصة الأصلية في جميع الأزمان .

وفيما يلي النقاط الأساسية لهذه القصة كما جاءت في مؤلف بلوتارخ والنصوص المصرية :

كان أوزيريس — الابن الأكبر لاله الأرض جب والهة السماء نوت — ملكا عادلا محبا للخير يحكم الأرض كلها ، وعلم الناس مختلف الفنون والصناعات وحولهم من حالة الهمجية الى الحضارة . وفي يوم من الأيام قتله أخوه ست مدفوعا بعوامل الحسد . ويقرر بلوتارخ أن الجريمة قد ارتكبت بحيلة دبرت بدهاء . فقد اقام ست وليمة مدعيا

أنها لتكريم أخيه بمناسبة عودته الى مصر من بلد أجنبي ، ودعا اليها اثنين وسبعين من أصدقائه ، وفي أثناء الوليمة جيء الى الحجرة بصندوق دقيق الصنع ، وأعلن ست أنه يقدمه هدية الى أى شخص ينال فيه مئاسبه تماماً . وتنفيذا للخطة التى اتفقوا عليها حاول عدد من الضيوف أن ينالوا فى الصندوق ، ولكن حجمهم لم يوافق حجم الصندوق تماماً . وقام أوزيريس بعد ذلك ونال داخل الصندوق فكان مناسباً له كل المناسبة نظراً لحجم جسمه غير العادى ، وأسرع بعض المتآمرين فأغلقوا الصندوق بينما كان أوزيريس فى داخله ، ثم حملوه الى النيل . وبعد أن حملوه فى الماء حتى مدخل فرع النيل عند تانيس ، دفعوه ليعوم فى البحر حتى قذفت به الأمواج على الشاطئ عند مدينة جبيل (Byblos) .

وعندما علمت ايزيس بأن أوزيريس قد اغتيل ، بدأت تبحث عن جثمانه بحثاً طويلاً مليئاً بالحوادث ، حتى عثرت عليه فى النهاية وعادت به الى مصر من جبيل ، وأقامت مدة من الزمن بمدينة خميس (Khemmis) فى منافع الدلتا تحرس تابوت أوزيريس وتنتظر ولادة ولدها الذى حملت به على ما يظهر بعد موت أبيه . وعثر ست على التابوت عندما خرج فى أحد الأيام للصيد ، فأخرج الجثة وقطعها الى أربع عشرة أو ست عشرة قطعة بعثرها فى بلاد مصر المختلفة . وذهبت ايزيس للمرة الثانية للبحث عن الجثة ودفنت كل قطعة وجدها : الرأس فى أبيدوس ، والرقبة فى هليوبوليس ، والفخذ الأيسر فى بيجه (Bigeh) وباقى الأجزاء فى بلاد أخرى . وكان عضو التذكير هو الجزء الوحيد الذى لم تعثر عليه ، لأن ست ألقى به فى النهر فابتلته . سمكة الأنومة (Oxyrhynchus) .

ويذكر نص آخر لهذه القصة أنه بعد عثور ايزيس على الجثة أمر رع الاله أنوبيس (Anubis) ليحفظها ، ورُفرت ايزيس بجناحها حينذاك عليه فأعادت اليه الحياة . وهذه النقطة فى غاية الأهمية ، لأن عملية التحنيط كما عرفناها من الموميات المصرية ، كانت متصلة اتصالاً مباشراً بأسطورة أوزيريس ، لأنه بعد أن أعيدت له الحياة أصبح أوزيريس ملكاً على الموتى ، وبذا أصبحت له هذه الصفة التى ظهر بها فى جميع العصور التاريخية . ولهذه القصة بقية مسجلة على ملف من البردى سلم من أى عطب ويرجع تاريخه الى أيام الدولة الحديثة ، تقرأ فيه قصة الصراع الطويل العنيف بين ست وحورس الذى صمم

على قتل عمه انتقاماً منه لقتل والده . وفي أثناء الصراع قلع ست احدى عيني ابن أخيه . ولكن حورس انتصر في النهاية وجلس على عرش أوزيريس ، وأعاد الاله تحوت (Thot) الى حورس عينه المفقودة ، وأيده في أحقيته في الجلوس على عرش أبيه حكم بحكمة الالهة في هليوبوليس .

وكنتيجة لهذه القصة أصبح حورس على مهر العصور نموذجاً للابن البار ، بينما اعتبرت عينه التي فقدتها أثناء الصراع رمزا لأى نوع من أنواع التضحية .

وفي الحقيقة لم تكن هناك صلة بين ديانة الشمس وديانة أوزيريس، سواء في الأصل أو من ناحية التفكير اللاهوتى . فقد كان رع قبل أى شىء آخر الها للأحياء ربما صحبه فئة من الأشخاص المحظوظين بعد الموت ، بينما كان أوزيريس الها للوتى يختص بالدار الآخرة ولكن اشترك هذان الالهان في صفة على أكبر جانب من الأهمية ، فقد اعطيا مثلا الهيا للخلود بعد الموت . فبالرغم من أن ست قد اغتال أوزيريس فقد عادت الحياة الى هذا الأخير بسحر ايزيس ، وكذلك اعتبر اختفاء رع اليومى تحت الأفق الغربى موتاً له ثم يولد من جديد في الصباح عند الشروق . ووجد المصرى القديم فيما مر على كل من هذين الالهين ما يجعله يأمل في الخلود نفسه ، ولكن استمرار الحياة بعد موت الجسد لا يمكن قبوله كأمر طبيعى معقول ، ولا يمكن أن يتحقق الا بالقيام بطقوس خاصة وبإمداد الميت بكل المساعدات المادية التى كانت تتطلبها الالهة لاستمرار بقائه ، ومن هنا جاءت الحاجة لأن يكون للميت قبر — سواء أكان هرما أم غير ذلك — ويكون دفنه متفقا مع جميع النقط الجوهرية حسب نظام متبع .

وبالرغم من تدقيق المصريين في عصر بناء الاهرام ، وعنايتهم بالتفاصيل في الأمور العملية ، الا أنهم لم يكونوا لأنفسهم فكرة واضحة دقيقة عن الحياة بعد الموت . ونلاحظ محافظتهم الشديدة في الفن المصرى ، ولكنهم كانوا أكثر محافظة فيما يتعلق بالأمور الدينية ، فقد استمرت بعض العناصر التى كان مسلما بها في يوم ما جنباً الى جنب مع ما استجد بعد ذلك ، حتى ولو كان ذلك أمراً تافهاً من ناحية المنطق اولا يمكن تطبيقه في بعض الأحيان .

ومثل هذا يجعل الذين يطلون الأمور في ضوء التفكير الحديث يحسون بأن قدماء المصريين كانوا قوماً يبحثون في الظلام عن مفتاح

الحقيقة ، وأنهم لم يجدوا مفتاحاً واحداً فحسب بل وجدوا عدة مفاتيح تشبه كلها النوع المناسب للقتل ، فاحتفظوا بها جميعاً لئلا يحدث لسبب من الأسباب أن يكون المفتاح الذى يتركونه هو المفتاح الصحيح .

وحتى فى العصور الموعلة فى القدم ، وقيل أن يكون لديانة أوزيريس أو ديانة الشمس أتباع كثيرون ، اعتقد المصريون أن الانسان مركب من الجسم والروح ، واعتقدوا أيضاً أن أرواح يمكن أن تبقى حية بعد موت الجسد اذا حافظوا على الجسم وزودوه بما يحتاج اليه من القوت اللازم . ولسنا نعرف تماماً المكان الذى كانت تعيش فيه الأرواح بعد الموت ، إذ ربما كانت تعيش فى مكان من العالم السفلى يمكن الوصول اليه عن طريق بئر المقبرة . وهذه الفكرة البسيطة عن الحياة بعد الموت وصلتها بالقبر والمحافظة على الجسم ظلت دائماً صاحبة المكانة الأولى ولم تأخذ مكانها فكرة أخرى . الى أن جاء فى العصور المتأخرة الوقت الذى كانوا يضعون فى القبور كل ما يطرأ على الذهن من أدوات يمكن أن يستعملها الميت . فمقبرة توت عنخ أمون (Tutankamon) وما حوت من أدوات فخمة شملت حتى العربات والملابس الملكية الحربية لم تكن الا مثلاً من الإصرار على اتباع تلك الفكرة فى صورة مهذبة جداً بعد مضي أكثر من ألفى سنة على أول ظهورها .

وفى الوقت ذاته نمت نظرية تقدمية عن الحياة بعد الموت ، وهى ديانة أوزيريس . وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة أنه كان لتلك الديانة أتباعها منذ الأسرة الأولى على الأقل ، ولكن عدم ظهور أية وثيقة مكتوبة عن هذه العقائد والمذاهب يرجع تاريخها الى ذلك العصر — بل لم يصلنا عنها الا من العصور المتأخرة — جعل من الصعب معرفة تلك الديانة فى أصلها الأول . وحتى فى العصور المبكرة ربما اعتبر المصريون أن الحياة بعد الموت — حسب ديانة أوزيريس — ليست الا صورة مجسمة من الحياة فى الدنيا ، ولكنها كانت فى جهة تقع تحت الأفق الغربى ، وأن أوزيريس كان حاكماً عليها . وهذا المكان الذى أطلق عليه المصريون اسم حقول القصب (Fields of Reeds) وعرف فيما بعد عند اليونانيين بحقول الفردوس Elyisan Fields مثله فيما بعد بمجموعة من الجزر يمكن الوصول اليها فى قارب سحرى حيث يستطيع أن يسكن فيها فى ربيع دائم أولئك الذين رضى عنهم الآله . ونظراً الى أن أوزيريس كان الها للخصب فإنه يصبح أمراً طبيعياً أن

تنتج أرض مملكته محصولا خياليا من القمح النامى الى ارتفاع تسعة أذرع ، وكانت زراعة هذه المحاصيل هى العمل الذى يقضى فيه سكان الفردوس المحظوظون وقتهم وهو عملهم الرئيسى .

وأصبح لأبيدوس مركز ممتاز بين أتباع المذهب الأوزيرى ، وحلت محل أبو صير كمركز رئيسى لتلك الديانة ، وأقيمت بها معابد لهذا الاله تضارع أفخم المعابد التى بنيت فى أى جهة أخرى فى مصر . وبناء على ما جاء فى احدى الأساطير كانت أبيدوس (Abydos) هى المكان الذى عثرت فيه ايزيس على رأس أوزيريس وأنها دفنتها هناك ، وفى رواية أخرى أنها دفنت فيها الجسم كله ما عدا عضو التذكير .

وفى كل سنة كان يقام فى أبيدوس احتفال مؤثر تمثل بين برامجه تمثيلية دينية يمثلون فيها الحوادث الأساسية لحياة وموت أوزيريس . وتشهد الآلاف من قطع الفخار الملقاة على الأرض بعدد القرابين التى قدمها قربانا لهذا الاله أولئك الذين كانوا يفدون الى تلك المدينة حاجين الى معبد أوزيريس . وكان من الصعب على المصرى القديم أن يتصور ، وهو يعتبر الحياة بعد الموت كمرآة للحياة الدنيا ، أن حادثا له تلك الأهمية الكبرى فى حياته الدنيوية — وهو الاحتفال السنوى فى أبيدوس — لا يكون له مثل فى الحياة المثقلة . فلماذا نرى — ابتداء من نهاية الدولة القديمة — أن كثيرا من المقابر تحتوى على قوارب نكى تمكن أصحابها من أداء الرحلة الى أبيدوس . وما جاءت الدولة الوسطى — وربما قبل ذلك — حتى كان القادرون على دفع التكاليف يبنون مقبرة أخرى رمزية فى أبيدوس ، وبهذا تستطيع أرواحهم — اذا شاعت — أن تسكن بالقرب من أوزيريس وتساهم فى احتفاله السنوى . بينما يظلون عن طريق مقابرهم الحقيقية متصلين بمدنهم الأصلية ، فمثلا أمر سنوسرت الثالث (Senusert III) أعظم ملوك الدولة . بأن ينحتوا له فى الصخر مقبرة رمزية فى أبيدوس ، بينما دفن جسمه فى هرمه بدهشور . أما هؤلاء الذين لم يستطيعوا بناء مقابر رمزية ، فكانوا يقيمون فى الغالب بالقرب من الهيكل الذى ينسبون له الى أوزيريس لوحة من الحجر نقش سطحها ، وعليها كتابة حسب الطراز المعروف لكى يضمّنوا الخلود لأسمائهم فى حضرة الاله .

وفى كل الأمور التى تتعلق بالدين اعتمد المصريون اعتمادا كبيرا على القوة السحرية الكامنة فى الكلمة المكتوبة ، واعتقدوا أنه باستعمالهم الصيغ الصحيحة يستطيعون أن يملوا أرواحهم على الآلهة ، وأن

لتعاويذ المنقوشة على جدران الحجرات والممرات في أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة لتعد أحسن الأمثلة لهذا النوع من السحر في عصر بناء الأهرام . وهناك مثل واضح كان يفعله معتقو المذهب الأوزيري ، وهو وضع اسم أوزيريس كلقب قبل اسم الميت ، وذلك ليجعلوا الميت يتحول فيصبح الاله نفسه . وتفسير هذا التالىه العام انه ربما جاء امتدادا لامتياز خاص كان وقفا على الملك وحده ، ففى اثناء حياة الملك الدنياوية كانوا يعتقدون أن الاله حورس بن أوزيريس قد تجسد فيه ، ولهذا كان طبيعيا أن يصبح بعد وفاته مثل الاله أوزيريس ، وأن يكون ابنه الذى يتلوه على العرش هو الذى يتجسد فيه الاله حورس . وبمرور الزمن أصبح امتياز التحول الى أوزيريس شاملا لأفراد العائلة الملكة أولا ، ثم شمل نخبة منتقاة من الناس من دم غير ملكى ، وفى النهاية أصبح حقا يطالب به جميع الناس . ولا نستطيع حاليا أن نتتبع الدرجات المتعاقبة لهذه الديمقراطية فى العبادة الأوزيرية ، ولكن — قياسا على ما حدث فى الديانات الأخرى وبعض الطقوس الجنائزية — يمكننا أن نستنتج ما حدث من تطور ونحن واثقون الى حد غير قليل .

وفى عبادة الشمس اعتبروا الحياة بعد الموت أنها كانت فى الأصل وقتنا على الملك ، الا أن هذه الحياة بعد الموت لم تكن فى الغرب أو فى العالم السفلى ، وانما فى منطقة سماوية فى ناحية الشرق . ولكى يصل الميت اليها يتحتم عليه أن يعبر بحيرة تسمى « بحيرة الزنبق » (Lily Lake) امتدت من الأفق الشمالى الى الأفق الجنوبى ، وهناك مخلوق صارم يسمى « الناظر الى الخلف » وسمى بذلك لأنه كان يؤدى أعماله ناظرا الى الخلف، وكان هذا المخلوق يحمل الملك عبر البحيرة ولكن فقط بعد أن يقتنع بأن الملك قد أعطى الاذن بالدخول الى « الحقول النوى ولدت فيها الآلهة وبها يفرح الآلهة فى أعياد السنة الجديدة » وذلك هو اسم الناحية الشرقية من السماء . ولكى يقتنع المعداوى كان على الملك أن يأتجىء الى عدد من الحيل المختلفة ، فمثلا يستطيع أن يقتنعه بأنه أحضر لاله الشمس بعض الأشياء التى يحتاج اليها ، ويمكنه أن يدعى أن اله الشمس طلب منه أن ينجز له بعض الأعمال ، أو ربما يلجأ الى السحر ويأخذ معه جرة تحوى على مادة تجعل المعداوى عاجزاً عن معارضة طلباته ، فاذا فشلت باقى الطرق يستطيع الملك أن يتوسل الى اله الشمس نفسه ليصدر أمره الى المعداوى لينقله الى الناحية الأخرى :

وبعد أن يعبر الملك البحيرة يقف على بوابة العالم الآخر . وكان
المنادون يقفون على استعداد لإعلان خبر وصوله وتجمع الآلهة في
الحال لتحيته . وشرح نص من نصوص الأهرام ذلك المنظر في
الكلمات الآتية : « وجد الملك بيبي هذا ، الآلهة وقوفاً ملتفين بملابسهم
وأحذيتهم البيضاء في أرجلهم ، أنهم يلقون أحذيتهم البيضاء
على الأرض ويرمون بملابسهم قائلين : لم يفرح قلب حتى مجيئك »
(تعويذة رقم ٥١٨) .

كيف كان الملك يقضى وقته بعد السماح له بالدخول الى العالم
الآخر ؟ ان النصوص المصرية غير متفقة في هذه النقطة . ففى نص من
أقدم نصوص الأهرام يذكر أنه يصبح أمينا لسر اله الشمس ويصف
واجباته كما يلي : « يجلس الملك أوناس وأمامه (رع) ، ويفتح
الملك أوناس صندوقه (الذى به الأوراق) . ويكسر الملك أوناس
أختام أوامره ، ويوقع الملك أوناس أوامره ، ويبعث الملك أوناس رسله
الذين لا يعترتهم تعب ، ويفعل الملك أوناس ما يأمر به (رع) الملك
أوناس » (تعويذة رقم ٣٠٩) . في حين أن نصوصاً أخرى تمثل لنا
الملك وهو يحكم بكل ما كان له من جلال عندما كان يعيش في الدنيا ،
ويحيط رجال البلاط بعرشه ، بينما تسجد رعيته أمامه وتقبل الأرض
عند قدميه ، ويجلس هو أحياناً للفصل في قضاياهم ، ويصدر الأوامر
كما كان يفعل عندما كان يعيش في الدنيا .

وفي كل يوم يرافق الملك اله الشمس في رحلته عبر السماوات ،
فأحياناً يوصف بأنه أحد المجدفين في السفينة ، فمثلاً : « يتسلم الملك
بيبي بنفسه مجدافه ، ويأخذ مجلسه ، ويجلس في مقدمة السفينة ،
ويجذب برع (ليوصله) الى الغرب » (تعويذة رقم ٤٦٩) .

وفي مكان آخر نراه وقد رقى الى وظيفة قائد السفينة ، وأثناء الليل
تجرى الرحلة في الاتجاه المضاد في العالم السفلى ، وتمنح بذلك
نورها الى الأموات العاديين غير الخالدين الذين كان يظن أنهم يقطنون
هناك .

وعلى مر الأيام أصبح الملك الميت أكثر قرباً من اله الشمس ،
الى أن أصبح في الأسرة السادسة هو اله الشمس نفسه . ففى نص من
متنون هرم تيتى (Teti) تبدو العلاقة في العبارة الآتية : « يارع
.. أنك تيتى .. وتيتى أنت .. وأنت تضئ كنيتى .. وتيتى يضئ ..

مثلك » (تعويذة رقم ٤٠٥) . وهناك ما هو أكثر من ذلك ، ففى نصوص الأهرام أيضاً نراهم يوجهون القول الى الملك بيبى هكذا : « أنت تتركب السفينة (سفينة الشمس) مثل رع . أنت تجلس على عرش رع ، لكى تستطيع أن تأثر الآلهة ، لأنك أنت رع الذى ولدته نسوت والتى تلد رع كل يوم » (تعويذة رقم ٦٠٦) .

ويتصل اتصالا وثيقا بمسألة موقع مكان الحياة الأخرى وملاذ يفعله الناس فيها مسألة الصورة التى يكون عليها الملك حينما يدخلها . فكان الجسد عادة وفى كل العصور يوضع فى القبر أو قريبا منه ، بينما كان المصريون يعتقدون أن العنصر غير المادى يصبح عند الموت وحدة منفصلة تسمى « يا » ، وكانت الـ « يا » فى الكتابة الهيروغليفية فى العصور المبكرة تمثل ببجعة لها خصلة من الريش فى مقدم رقبته . وبعد ذلك تغيرت هذه العلامة إلى طائر له له رأس آدمى ملتح وأمامه مصباح . وربما كانت هذه العلامة الأخيرة تشير الى اعتقاد قديم بأن النجوم لم تكن الا عدداً كبيراً لا حصر له من الـ « يا » مضاءة بمصباحها . ومع أن الجسم والعناصر الروحية كانت هكذا منفصلة ، الا أنها لا تزال تعتمد على بعضها البعض لأنه يشترط لبقاء الروح (BA) أن يبقى الجسد على حالة من الحفظ تمكنه من استقبالها . وهذا هو سبب الاعتناء الفائق فى المحافظة على الجسد من أن يعتدى عليه معتد أو يتحلل .

وهناك شئ آخر لعب دوراً هاماً فى حظ الملك ، ألا وهو القرين (KA) . كان القرين يمثل أحيانا برمز على هيئة انسان ملتح يلبس تاجا مكونا من ذراعين مرفوعين الى أعلى ومثنيين عند المرفقين . وأحيانا أخرى بالذراعين على هذه الصورة بدون باقى الجسم . ويأتى القرين الى الوجود وقت ولادة الملك ويبقى معه بعد الموت . ونرى فى نقوشين هاميين أحدهما فى معبد الدير البحرى والثانى فى معبد الأقصر يرجع تاريخهما الى الأسرة الثامنة عشرة ، نرى الاله خنوم يخلق فى وقت واحد كلا من الطفل الملكى وقرينه بتشكيلهما على عجلة الفخار .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق ما هى طبيعة القرين . وقد قدم الباحثون أربعة تفسيرات مختلفة ، فاعتبره « جاستون ماسبرو » (Gaston Maspero) أحد كبار الأثريين الفرنسيين كتوام أو صورة مزدوجة لصاحبه مصنوعة من نفس مادته ومساوية له تماما . وظن أدولف ارمان (Adolf Erman) أنه تجسيم لقوة الحياة وأنه ذلك

العنصر الخفى الذى يميز بين الحى والميت . واعتقد ج. ه. برستيد (J. H. Breasted) أنه ليس الاقوة حافظة لصاحبها كفكرة الملاك الحارس لدى المسيحيين . ووجد فيه كيس (Kees) تشخيصاً لتلك المزايا المجردة ، مثل القوة والنجاح والاحترام والفضامة التى كانت أساسية لاستمرار هذه الحياة التى نحيها على الأرض . وكل هذه التفسيرات الأربعة يمكن تبريرها فى مناسبات مختلفة ، ولكن لا يوجد واحد من بينها ينطبق على كل المناسبات فى جميع الحالات . وربما كان المصريون القدماء انفسهم لم يلزموا دائماً فكرة واحدة ثابتة عن القرين ، وانما سمحوا لأفكارهم أن تتعدل حتى فى المسائل الأساسية تبعاً لعقائدهم المختلفة عن تركيب الانسان .

ومهما تكن وظيفة القرين بالنسبة لصاحبه أثناء حياته ، فانه من المؤكد أنه كان يتوقع أن أشتراك القرين معه فى الحياة الأخرى سوف يحقق له أحلى أمانيه فى الحياة بعد الموت .

فى نصوص الأهرام نراهم يذكرين دائماً الملك وقرينه معا ، وفى مملكة اله الشمس يعمل القرين أحياناً كدليل له ، بل يصل الأمر الى أن يقدمه الى الاله أو يمهده بالطعام اللازم لبقائه ، ونراه أحياناً فى القبر ، حيث يشاطر القرين ما فيه من مزايا مع صاحبه ، وفى الواقع كان أحد أسماء القبر عند قدماء المصريين « بيت القرين » ، وكان الكهنة المسئولون عن المحافظة عليه يسمون « خدمة القرين » . فلا عجب ان اذا أشارت النصوص المصرية فى بعض الأحيان الى الأموات بأنهم « الذين ذهبوا الى قرنائهم » ، لأن الاتحاد مع القرين كان عنصراً مهماً فى الحياة السعيدة التى يتوقعون أن يحيوها فى العالم الآخر .

الفصل الأول

« المصاطب »

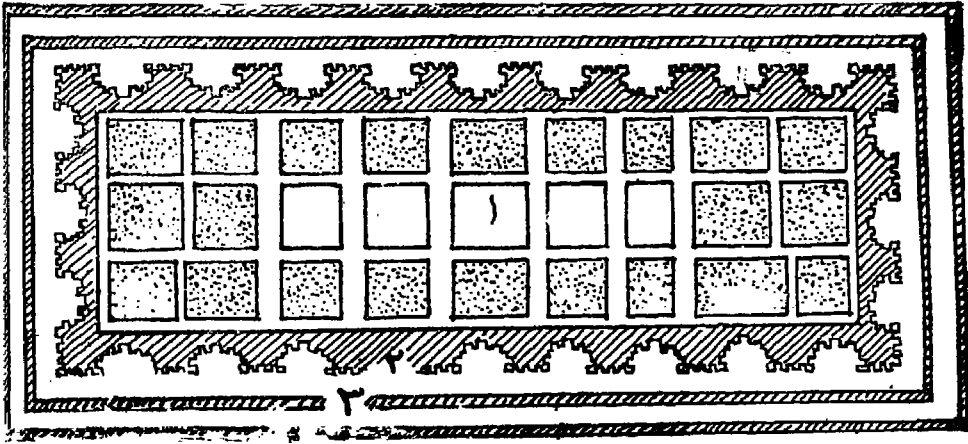
من الجزء الأكبر من مجموعه الآثار المصرية القيمة الموجودة الآن في متاحف مصر وأوروبا وأمريكا حصلنا عليه من المقابر . وهذه حقيقة واثقة وتفسيرها بسيط ، فبينما نجد عدد المقابر من كل عصر تقريبا خلال الثلاثة الآلاف سنة من تاريخ عصر الأسرات المصرية وافرأ كبير العدد ، اذا بنا لا نجد الا قليلا من المنازل التي كان يعيش الناس فيها ، وقليلا من المباني التي كانوا يعملون فيها ما زال قائما الى الآن . حتى العواصم الكبيرة المهمة مثل منف وطيبة قد اختفت ولم تكد تترك أثرا منها . فلم يبق شيء من قصور هؤلاء الملوك الذين أصبحت أهرامهم من أوسع الآثار شهرة في العالم ، بل اننا لا نعرف على وجه التحديد أين أقيمت هذه القصور ، هل كانت في منف نفسها أم في مكان آخر قريب من مناطق الأهرام الحالية ؟ ومثل هذا الاختفاء الكامل لا يمكن أن يحدث الا بسبب طبيعة المواد والطريقة التي استعملت في البناء . فمن المؤكد أن المنازل والقصور كانت دون ريب تبنى من الطوب اللبن والخشب والجبس ، بل وأدهى من ذلك أنها كانت تبنى فوق سطح الأرض . بينما يقع جزء من المقابر تحت الأرض ، وكان ما يعلو منها فوق سطح الأرض — بعد الأسرات الأولى — يبنى عادة من الحجر . ومع أن عدد ما تبقى منها حتى يومنا هذا كبير جدا ، الا أنه ليس الا جزءا مما بنى أصلا ، لأن الأجيال المتعاقبة التي سكنت مصر كانت تأخذ الأحجار من مباني أجدادهم عندما كانوا يبنون ما يحتاجون اليه .

وربما يبدو غريبا في بلد يمكن فيه الحصول على كميات كبيرة من أصناف الحجر الجيد أن يقضى الملوك والطبقة الحاكمة أعمارهم في بناء مقابرهم من مواد رديئة . ولكن المصرى القديم كانت له وجهة نظر مختلفة . فمنزله أو قصره كان يبنى ليظل عددا محدودا من السنين يمكن بعدها أن يحدده أو يبنى غيره مكانه اذا لزم الأمر ، ولكن قبره الذى

يطلق عليه اسم « حصن الخلود » كان يصمم على أساس أنه سيبقى إلى الأبد . وكان شيئاً عادياً طبيعياً أن ينتهي من بنائه أثناء حياته ، ويحدث أحياناً أن يموت صاحب القبر قبل أن يتمه ، وفي مثل تلك الحالة يتمدل أحياناً التصميم الأصلي للبناء لينتهيوا منه على وجه السرعة ، أما ليدفن فيه في أقرب وقت دون تأخير ، وأما لأن أقاربه يريدون أن يوفروا على أنفسهم التكاليف اللازمة إذا واصلوا العمل فيه . كما أنه من المحتمل أيضاً أنه إذا طالبت حياة الشخص فرأى قبره يسير قدماً نحو الانتهاء ، فربما وسع فيه ليزود نفسه بمكان أكبر وأرحب مما كان يريد تشييده في الأصل .

وكان الباعث الذي دفع المصري القديم على أن يصرف هذا المجهود الضخم في بناء قبره ، هو اعتقاده بأن الوصول إلى الحياة التي يتمناها في العالم الآخر يتوقف على تحقيق غرضين أساسيين : أولهما ضرورة حفظ جسمه من التلف أو التحطم ، وثانيهما ضرورة حصوله هو وقرينه على ما يحتاجان إليه من أشياء مادية . وظل هذا الباعث لا يتغير طوال أيام التاريخ المصري ، وكثيراً ما كانت تطرأ تغييرات في شكل القبر ، وكان ذلك راجعاً إلى نتيجة الخبرة أو إلى تطورات دينية جديدة ، ولكن الغرض الأساسي من القبر ظل كما هو لم يمتوره تغيير .

وفي عصر ما قبل الأسرات كان الموتى يدفنون في جفرة مستطيلة أو بيضية الشكل حفرت في الرمل . وكان الجسم المالح على جانبيه في هيئة مرفصة يلف في حصير من البوص ، ويوضع حوله قليل من ممتلكات صاحبه الشخصية ، مثل العقود والأساور وأدوات الصيد والأواني التي تحوى الطعام والشراب . وكانت جوانب هذه القبور في كثير من الأحيان تغطى بالواح من الخشب تربط إلى بعضها من الأركان بسيور من الجلد ، فيتكون منه ما يشبه الثابوت حول الجسد . ولم تحفظ لنا الأيام مثالا من الأبنية التي كانت فوق أرض ، ولكنها على أي حال لم تزد على الأرجح عن كومة من الرمال يدعم جوانبها أفريز من الخشب . وكان الرمل معرضاً على ممر الزمن إلى أن يتطاير في الهواء ، فينتج من جراء ذلك أن يتعرض الجسم وما معه ، فإذا لم يبادرأ بدفنه ثانية فانه يتعرض حتماً للفناء . وبدون شك علمت التجارب أحفاد هؤلاء المصريين السابقين أن قليلاً من الأجساد إذا تعرت مرة يصبح من غير المتوقع أن يعاد دفنها .



شكل (٢) مصطبة الملك عحا بسلرة

وابتداء من عصر الأسرات تغلب الملوك والنبلاء على ما عساه أن يصيب قبورهم من تحطيم بسبب عناصر الطبيعة ، وذلك باقامة بناء فوق حفرة الدفن ، وكان هذا البناء من الطوب اللبن المجفف في الشمس . وأصبح هذا النوع من المقابر معروفا في العصور الحديثة تحت اسم « مصطبة » ، وهى كلمة عربية معناها مقعد طويل ، وسميت كذلك لأنها — حينما تفمر بالرمل الى ما يقرب من أعلاها — تشبه المقعد الواطء المبني خارج بعض البيوت المصرية الحديثة والذي يجلس عليه صاحب الدار مع أصدقائه ليشرَبوا القهوة .

ومن بين أقدم المصاطب المعروفة من العصر العتيق تلك التى كشف عنها بسقارة و . ب . امرى والتى يظهر أنها كانت قبر الفرعون عحا (Aha) الملك الثانى لمصر العليا والسفلى . ويتكون هذا المدفن من حفرة مستطيلة قليلة الغور سقفت بالخشب وقسمت الى خمسة أقسام منفصلة بحوائط فاصلة . وربما احتوى القسم الأوسط (شكل ٢ ، ١) جسم الملك داخل تابوت خشبى ، بينما وضعت بعض أدواته الخاصة فى الحجرات المحيطة بذلك القسم . وعلى أى حال فان هذا المدفن ليس الا صورة مكبرة لمدافن عصر ما قبل الأسرات . وكان يعلو هذه الحجرات ويغطى مساحة لا بأس بها ، بناء من الطوب اللبن قسم داخله الى سبع وعشرين حجيرة صغيرة خصصت لخزن أواني الخمر وصحاف الطعام وأدوات الصيد وحاجيات الحياة الأخرى ، وبُنيت الأوجه الخارجية لجدران هذا البناء الذى يميل الى الداخل ، من أسفل الى أعلى ، على هيئة مجموعة من الدخلات العميقة تسمة منها على كل جانب وثلاثة منها فى كل طرف (شكل ٢ ، ٢) .

أما شكل السقف فعلينا أن نتخيله ، لأنه لم يعثر حتى الآن على مصطبة من هذا العصر لها سقف محفوظ فى مكانه ، ولكنه يحتمل أنه كان منحنيا أو مستقيما . ويحيط بهذا البناء سوران خارجيان يتصل بينهما طريق مرصوف بالطين . وربما كان بين السور الداخلى والواجهة الشرقية للمصطبة مكان لتقديم القرابين ، حيث يستطيع الأقارب أن يضعوا عليه ما يحضرونه من الأطعمة الطازجة لصاحب المقبرة ، كما لطسوا البناء العلوى والأسوار الخارجية بطبقة من الجير كانت بمض أجزاءها مزينة برسوم ملونة .

وكانت المصطبة من هذا النوع صورة طبق الأصل من المنازل المعاصرة لها ، أى أنهم اعتبروا القبر المكان الذى يسكنه الميت . ولا شك

أن الحجرات الصغيرة كانت حسب ما يحتاجه المدفن ، ولكنها تمثل حجرات المنزل المختلفة. أما الردهات التي قد تضعف متانة البناء فلم يكن لوجودها ضرورة ، لأن روح الميت كانت تستطيع أن تخترق الحواجز المادية دون عائق .

وما جاء عصر الأسرتين الثانية والثالثة حتى كان الجزء العلوى من المصاطب قد أصبح كتلة صلبة من الرديم كسيت من الخارج بطبقة من الطوب ، ولكنها مازالت تحتفظ بمظهرها الخارجى على شكل منزل . ونقص عدد الدخالات في الحوائط الى اثنتين : واحدة بالقرب من كل من طرفى الحائط الشرقى . ثم تحولت الجنوبية منها الى حجرة للقرايين ، فأحيانا نجدها داخلة في نفس البناء العلوى للمصطبة . وأحيانا أخرى تبى خارج هذا البناء وكان يوجد في الجدار الغربى لهذه الحجرة — التي كان يطلق عليها حجرة القرايين — جزء غائر في الجدار ، استخدموه كباب وهمى كانت تستخدمه الروح عندما تترك القبر أو تعود اليه كما نشاء . أما البناء السفلى للمصطبة فقد زاد حجما وأهمية وأصبح يحتوى غالبا على ردهة وسطى تتفرع منها عدة غرف جانبية كان الغرض منها حفظ الأثياع التي كانت توضع من قبل في البناء العلوى . ومن بين هذه الحجرات السفلية التي كانت تنحت في الصخر نرى حجرة صغيرة لاستخدامها كمرحاض (رمزى) . ونصل الى الردهة من باب يفتح من الجنوب في أسفل بئر عمودية عميقة تبدأ من سطح الأرض ، ويتصل بالبئر عدد من درجات سلم أو منزلق يبدأ من طرف المصطبة الشمالى ، ويلتقى به عند نقطة ترتفع عن قاعه بعدة أقدام . وعن طريق هذا المنزلق أو هذا السلم يدخل الجسد وبعض الأثياع الشخصية المهمة الى القبر ، وبعد أن يوضع كل شيء داخل القبر ، ينزلون سقطة حجرية *Porteullis* وهى عبارة عن لوح سميك ثقيل من الحجر تحمل فوق دعائم ، وتنزل هذه السقطة عمودية داخل خدتين داخلتين على جانبي الباب . وعند ذلك يملا البئر والسلم الموصل اليه بالحصى أو الرديم ، ويغطى من الخارج بطبقة من الطوب اللبن ليختفى كل أثر يدل عليها .

وأما السبب في نقل حجرات المخازن من البناء العلوى الى البناء السفلى بالمصطبة ، فيرجع الى ما استلزمته ضرورة التفكير في حماية الجسم وما يدفن معه .

واتفق البدء في ادخال نظام المصطبة مع الزيادة الملحوظة في العناية بتثبيت القبر ، فزاد في الوقت ذاته تعرضه للنهب . وحينما كان هذا الأثاث يوضع في بناء فوق سطح الأرض أو في حفرة قليلة العمق تقع تحت الجزء الأوسط من البناء ، فان لصوؤ المقابر لم يجدوا صعوبة كبرى في الوصول الى مقصدهم . ولكن المرافق العميقة تجعل مهمة السارق عسيرة وتعيقه . ولكنها في الوقت ذاته تزيد من المصاعب الملقاة على عاتق من يبني المقبرة ، ولذلك فقد استلزمت هذه الزيادة في العمق تقريبا في مساحة المخازن وتبسيطا في التصميم .

ظل الكثير من مصاطب الأسرة الرابعة يبنى من الطوب اللبن ، ولكن استعمال الحجر الذي كان مقصوراً من قبل على آثار الملوك كان له الأثر الأكبر في تطور بناء المقابر في ذلك العصر ، حتى المصاطب التي بنيت باللبن كانت حجرة القرايين والحجرات السفلية فيها تكتسى جدرانها غالبا بالحجر . واستخدموا في هذه الأغراض أحجارا من أجود أنواع الحجر الجيري المقطوع من جبال المقطم عند طرة ، واستعملوا أيضا هذا النوع من الحجر الجيري في تغطية جوانب المصاطب المبنية بالحجر ، بينما أقيم البناء الداخلى للمصطبة من نوع ردى من الحجر المأخوذ من المحاجر القريبة .

وفي المباني السفلية لمصاطب الأسرة الرابعة ، سواء المبنى منها باللبن أو الحجر ، نرى عدة ظواهر جديدة . وكان لكل من هذين النوعين من المصاطب دخلة عميقة في أحد جدرانها خصصت لوضع تابوت من الخشب أو الحجر . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الحجرة احتوت المصاطب المشيدة من الحجر على حفرة لا نعرف على وجه التحقيق الغرض من وجودها ، ولكن من المحتمل أنها كانت تحفظ بها الأحشاء التي تستخرج من جسم الميت لتساعد على بقائه . وبعد الدفن يسد مدخل هذه الحجرة بسقطة ثقيلة من الحجر الجيري ويملأ بعد ذلك البئر العمودي الموصل الى سطح البناء العلوى بالرديم وتقفل فتحتة بغطاء محكم من الحجر . أما المنزلق الواصل الى هذا البئر ، والذي نراه عادة في مصاطب الأسرتين الثانية والثالثة ، فقد استغنى عنه في المصاطب الحجرية ، ولكنهم ظلوا محتفظين به في المصاطب المبنية بالطوب .

واحتوت المباني العلوية لمصاطب الأسرة الرابعة في بعض الحالات على تجديدين واضحين لم يعم استعمالهما الا في عصر الأسرة الخامسة . وكانت الظاهرة الأولى هي وجود تمثال لصاحب القبر مصحوب أحيانا

بتمثيل لأعضاء آخرين من أسرته ، أما الثانية فهي تزين الجدران
لحجرية لحجرات القرايين بمناظر نقشت بالبارز ولونوها بعد ذلك .
وكننت التماثيل توضع داخل حجره في داخل بناء المصطبة ، ونطلق عليها
الآن اسم السرداب (Serdab) . وهى كلمة عربية تعنى مبنى تحت
الأرض . وسمى السرداب بذلك لأنه لم يحتو على ابواب ولا نوافذ
ولا أى نوع من الفتحات سوى ثقب أو فتحة ضيقة في أحد جدرانه في
مستوى وجه التمثال تقريبا ولم يكن ينفذ الى داخله أى ضوء . وفي
بعض المصاطب الحجرية في منطقة الجيزة وضعوا بدلا من السرداب
والتمثال رأساً للميت مصنوعا من الحجر الجيري . وكانت هذه الرأس
توضع فوق بعض الأحجار خلف السقطة عند مدخل حجرة الدفن .

ولم يكن تزيين حجرات القرايين الا بداية لعدد من التطورات ،
ففى الأسرتين الخامسة والسادسة أصبح فى المبنى العلوى للمقبرة
حجرات وأبهاء ذات أعمدة غطيت جدرانها جميعها بنقوش بارزة .
ونعرف مثلا أن احدى المصاطب الشهيرة فى الأسرة السادسة حسوت
ثلاثين حجرة نقشت جدرانها ، وكان من بين المناظر المألوفة المنقوشة
على الجدران تلك التى تصور الخدم وهم يحملون القرايين من الطعام
والشراب الى سيدهم الذى مات ، كما نرى مناظر الحصاد ومختلف
الأعمال ، وتفقد صاحب المقبرة لضياعه أو خروجه للصيد ، الى جانب
مناظر أخرى متعددة الأغراض ولكنها متصلة اتصالا وثيقاً بعمله أثناء
حياته .

وكانت اهم التطورات التى أدخلت على المصطبة — ابتداء من
الأسرة الرابعة — بعد أن أدرك المصريون أن الوسائل التى اتبعت
للتقلب على العناصر الجوية ولصوص المقابر لم تحقق الهدف الرئيسى
لها وهو المحافظة على الجسم . فقد كانت النتيجة الحتمية لدفن الجثة
فى حجرة عميقة بعيدة عن الجفاف الناتج من سخونة الرمل هو تحلل
هذه الجثة ، ما لم يلجأوا الى بعض وسائل التحنيط ، وما من شك فى
أنهم ناموا بتجارب عديدة لحفظ الجسد ، ولكنهم لم يكتشفوا طريقة
تحنيط فعالة الا فى العصور التالية .

ويلجأ أناس الى السحر عندما تفشل الوسائل المادية . فقد كان
من معتقدات المصريين المتعلقة بالموتى أنه يمكنهم عمل نموذج من ان
شئ ليكون بديلا عما تم يقدموه للبيت ، دون أن يكون فى ذلك حرمان
لبيت من الحصول على الفوائد التى كان يرجوها من الشئ الأسمى
نفسه . ففى بعض مصاطب الأسرة الثانية مثلا نرى أنهم كانوا يضعون

نماذج تشبه الأواني بدلا من الأواني المملوءة بالأطعمة ، وكانوا يعتقدون أنها كانت تؤدي نفس الفائدة لصاحب القبر . وكذلك كانوا يعتقدون أن التمثال — أو حتى الرسم المنقوش على الجدار — يستطيع أن يكون بديلا من الجثة في حالة فنائها . وفي إحدى المصاطب المشهيرة من عصر الأسرة الثالثة — وهى مقبرة موظف كبيرة يسمى حسي رع (Hasy-Ra) — نراهم قد وضعوا لوحات خشبية مزينة بنقوش بارزة وركبت في الدخلات الواقعة في الواجهة الشرقية لجدار البناء العلوى في المصطبة . وكان القصد من هذه الصور أن تمكن حسي رع من مغادرة القبر والعودة إليه . الا أن هذا النوع من الألواح كان معرضا للضياع . بينما ضمن تصميم السرداب أن يحفظ التمثال دون أن يؤثر في قوته الفعالة ، كما حصلوا على ضمان أقوى عندما استخدموا التماثيل المصنوعة من الحجر بدلا من التماثيل الخشبية .

وما أن أقر المصريون مبدأ الاستعاضة عن الشيء الأسمى بصورته حتى بدأوا خطوة أخرى ، فجعلوا هذا المبدأ لا ينطبق على الأشياء الشخصية مثل أوعية الطعام والتماثيل فحسب ، بل ينطبق أيضا على المناظر التي تتناول بعض نواحي حياة صاحب القبر التي أراد أن يتمتع بها في الحياة الأخرى .

فالمناظر التي تمثله وهو يصطاد الحيوانات والطيور أو يتفقد ضياعه كانت تمده بالوسائل التي تمكنه من الاستمرار في مباشر هذه الأعمال بعد موته ، كما أن مناظر الحصاد وذبح الحيوانات وصنع الجعة والخببز كانت تضمن له مؤونة دائمة مما تنتجه .

ولكى يتفادوا أى مخاطرة في أن تضل روح الميت في التعرف على تمثاله ، فانهم كانوا يكتبون على التمثال عادة اسمه والقبابه بالهيروغليفية ، كما كانوا يكتبون جملا قصيرة على المناظر المنقوشة على الجدران لتوضيح الغرض منها . وكثيرا ما نرى عليها أسماء الأشخاص المرسومين ، وأحيانا ما توضح الكتابة الأعمال التي يقومون بها . وكان هؤلاء الأشخاص في أغلب الأحيان أقرباء الميت أو خدمه ، وكانوا يضمنون بذلك الحياة بعد الموت واستمرارهم في خدمة سيدهم .

وبالرغم من كل التدابير المختلفة التي اتخذت لد صاحب القبر بما يحتاجه بوضعه معه في القبر ، فانهم كانوا يعتقدون أيضا أن انتظام

تقديم الأطعمة الطازجة أمر ضرورى لضمان سعادة الميت ، ولهذا كانوا يضعونها على مائدة مسطحة واطئة أمام الباب الوهمى الذى يبنى فى الحائط الغربى لحجرة القرايين التى كانوا يبنونها فى الجهة الشرقية من البناء العلوى للمصطبة . وربما نتج هذا من تشييد المصاطب فى بقعة مرتفعة من الصحراء غرب النيل ، ولذلك عندما كان يطل الميت من الباب الوهمى يرى أمامه الوادى الذى كانت تأتيه منه القرايين .

ومن الممكن أن القرايين الأولى كان يقدمها الابن — الذى كان بتقديمه ما يحتاج اليه والده المتوفى يمتد حورس بن أوزيريس — أما ما يتلو ذلك من قرايين فإنه كان من تسن كهنة الموتى ، الذين كانوا يكتفون بهذه الخدمات بعقود مكتوبة وياخذون أجراً على عملهم ، وكانت تلك الأجور تدفع أرضاً يوصى بها المتوفى للسكينة . ولنضرب لذلك مثلا بأحد أولاد الملك خفرع بناتى هرم الجيزة الثانى الذى أوصى باثنتى عشرة مدينة على الأقل لتكون وقفاً جنازياً لهذا الغرض ، وتصبح هذه الأراضى ملكاً للكهنة تنتقل بعدهم الى ورثتهم الذين يرثون أيضاً كل الالتزامات التى عليهم نحو العناية بالقبر . وقد علمتهم التجارب أن اشد العقود لا يستمر العمل بها الا لمدة محدودة ، ولذلك وضعوا ما يسمى اللوحة الجنازية فى القبر منذ العصور المبكرة ، لتقوم مقام القرايين الفعلية . وتحتوى هذه اللوحة على صيغة سحرية معلنة أن المتوفى قد تسلم القرايين اليومية بكمية وافرة ، وغوق هذه الصيغة كانوا يرسمون فى أغلب الحالات منظرأ يمثل صاحب القبر جالساً الى مائدة كدست فوقها القرايين التى قدمها اليه أفراد أسرته . وهم اذ يفعلون ذلك لم يقصدوا الاستغناء عن تقديم الأطعمة الطازجة ، ولكنهم اعتقدوا أن اللوحة تمد المتوفى بما يؤكد له بطريقة عظيمة الجدوى أنه لن يتعرض للجوع أو الإهمال ، وذلك بما كان للكلمات المسطرة على اللوحة من قوة سحرية .

ومهما بدت لنا فكرة المصرى القديم عن الحياة بعد الموت بدائية ومادية ، الا أنه يجب أن نسلم بأنها كانت سبباً فى إنتاج عدد من أحسن ما أخرجته العالم القديم من أعمال فنية . فلولا الحافز الذى جاء نتيجة لدافع عملى ، نانتنا نشك أنهم كانوا يصنعون جزءاً ولو قليلاً من العدد الكبير من التماثيل والنقوش والكتابات التى صنعوها والتى أجمع الناس على الإعجاب بها .

الفصل الثانى

الهرم المدرج

كان الملوك والنبلاء - الى نهاية العصر العتيق - يدفنون على الارجح فى مقابر بنيت من اللبن ، إلا أنه فى الأسرة الثالثة توسع الملوك فى استخدام الحجر الذى لم يكن يستخدم قبل ذلك الا فى مواضع متفرقة من المبانى . والى ايمحوتب (Imhotep) معمارى الفرعون زوسر (Zoser) يعزى دائما بناء أول مقبرة مشيدة بالحجر . وأصبح اسمه أسطورة تروى فى الأجيال المتعاقبة عند المصريين الذين لم يعتبروه معماريا فحسب ، بل ساحرا وفلكيا ، وأبا علم الطب أيضا . وفى العصر الصاوى الهه المصريون وقالوا انه ابن بتاح (Ptah) ، بينما وحده اليونانيون مع اله الطب عندهم المسمى اسكليبيوس (Asklipios) .

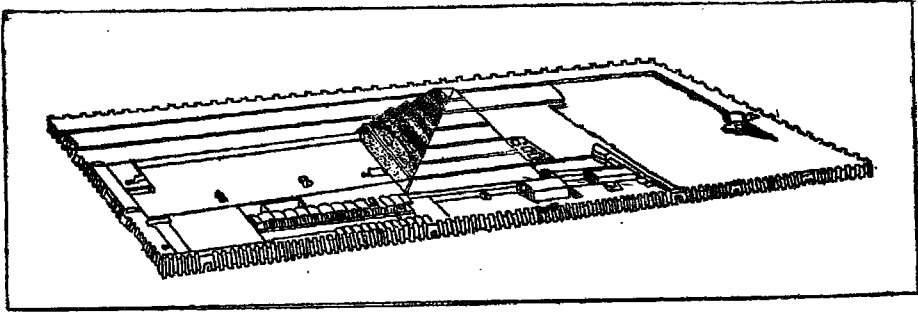
والموقع الذى اختاره ايمحوتب لبناء ذلك المدفن ليس الا جزءاً من منطقة مرتفعة عند سقارة ، تطل على مدينة منف وتشغل مساحة طولها ٥٩٧ ياردة من الشمال الى الجنوب ، وعرضها ٣٠٤ ياردة من الشرق الى الغرب ، وعلى مسافة قريبة من شمالها تقع جبانة الأسرتين الأولى والثانية بمصاطبها العظيمة التى تضم مصطبة عحا (Aha) وربما أثبتت الحفائر المقبلة أنها تحوى مقابر من سبقوا زوسر أيضاً . ولم يدفن زوسر فى مصطبة مثل من سبقوه ، بل دفن تحت بناء كبير يطلق عليه الآن اسم الهرم المدرج (لوحة رقم ٢) .

وكان هذا البناء هو أعظم المجموعة من المبانى الحجرية التى حوله ومركزها الرئيسى ، وكانت تلك الأبنية وما حولها من أبناء واسعة مخصصة لاقامة الطقوس الدينية المتعلقة بالحياة الأخرى لهذا الملك (شكل ٣) ، وأقيم حول هذه المجموعة من المبانى سور ضخم ، واستخدموا الحجر الجيرى المقطوع من محاجر طره لكساء السطح

الخارجى لتلك المباني ، أما قلب المباني نفسها فكان مكسواً من أحجار المنطقة نفسها .

ومع أن معظم الأجزاء الواقعة تحت سطح الأرض من الهرم المدرج قد فحصت أثناء القرن التاسع عشر ، فلم يعرف أحد حتى العشرين سنة الأخيرة شيئاً عن المباني المحيطة به ، وقد أحال الزمن والهدم المتعمد تلك المباني — ما عدا الهرم نفسه — إلى أكوام من الخرائب تعلوها طبقة سميكة من الرمال . وقد قامت مصلحة الآثار المصرية بحفائر علمية منظمة أتبعتها بترميم دقيق . وكسفت بذلك س. م. فيرث C. M. Firth وج. ا. كويلل J. E. Quibell وج. ب. لوير J. P. Lauer فكان من نتيجة تلك الحفائر أنه أصبح في استطاعتنا معرفة شكل تلك المجموعة كلها أيام دفن الملك زوسر .

كان شكل الهرم المدرج عندما تم بناؤه عبارة عن كتلة من البناء ترتفع في ست طبقات غير متساوية في الحجم إلى علو ٢٠٤ أقدام .

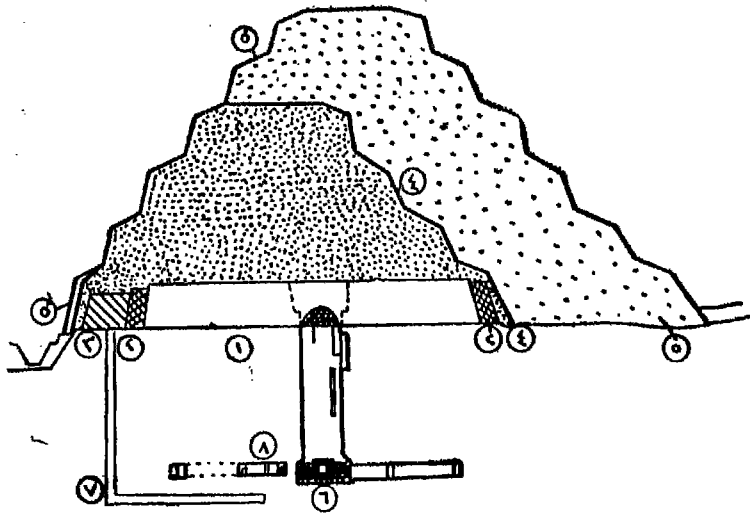


شكل (٣) السور الخارجى حول الهرم المدرج

وكانت أطوال قاعدته ٤١١ قدما تقريبا من الشرق الى الغرب ، و٣٥٨ قدما من الشمال الى الجنوب ، الا أنه قبل أن يستقر الراى على هذه الأبعاد حدثت عدة تغييرات في تصميم البناء .

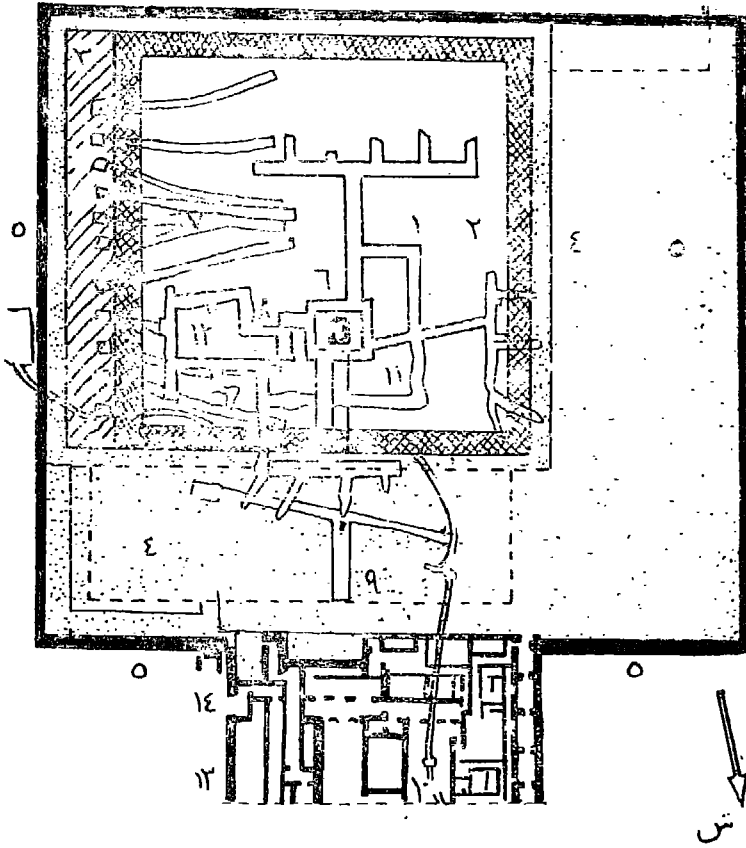
ويمكننا بسهولة مشاهدة بعض تلك التغييرات ، أما الباقي فقد أمكن تصويره ولا يمكن اثباته بدون هدم جزء كبير من بناء الهرم نفسه . وتظهر التغييرات التي أمكن اثباتها في الأجزاء المتهمة من الأثر ، إذ كانت مغطاة بطبقات من الأحجار زالت الآن وأصبح ما تحتها ظاهرا للعيان . وهى حالة من الحالات التي تكررت في علم الآثار ، حيث زادت معلوماتنا العلمية على حساب خسارتنا الفنية .

وقد أقام زوسر في أول الأمر مصطبة بنيت من أحجار المنطقة وكسيت من الخارج بطبقة من الحجر الجيري الذي جاءوا به من طره (شكل ٤ ، ٥ - ١) . ويظهر أن هذه المصطبة - التي كان ارتفاعها ٢٦ قدما والتي بنيت على مساحة مربعة ويواجه كل جانب منها تقريبا إحدى الجهات الأصلية الأربع ويبلغ طوله ٢٠.٧ أقدام - كانت فريدة في تصميمها . وبعد اتمامها زيدت جوانبها الأربعة بمقدار ١٥ قدما تقريبا ثم غطيت ثانية بعد ذلك بكساء من الحجر الجيري (شكل ٤ ، ٥ - ٢) وكان ارتفاع هذه الزيادة أقل من ارتفاع المصطبة الأصلية بمقدار قدمين تقريبا ، وبذا تكونت مصطبة مدرجة (شكل ٤ - ٢) . وأضيفت زيادة ثالثة ، حوالى ٢٨ قدما من الجانب الشرقى ، جعلت القبر مستطيلا محوره الأطول من الشرق الى الغرب (شكل ٤ ، ٥ - ٣) .



شكل (٤) : الهرم المدرج . قطاع فى اتجاه الناحية الجنوبية

وقبل تغطية الزيادة الثالثة بكساء ، غيروا تصميم البناء كله وأصبحت المصطبة التي زيدت من كل جانب ٩٥ قدم هي الدرجة السفلية لهرم ذى أربع درجات (شكل ٤ ، ٥ - ٤) . وبدىء في بناء معبد جنازى من الناحية الشمالية ، ولكن قبل أن يتم أى بناء منها قرروا أن يزيدوا بناء الهرم نحو الشمال والغرب (شكل ٤ ، ٥ - ٥) . ولو تغذت هذه الزيادة ل زاد ارتفاع الهرم ، ولزيد عدد الدرجات الى ست ، ولكنهم أوقفوا التنفيذ عند مستوى الدرجة الرابعة . والتغيير السادس والأخير في تصميم الهرم المدرج كان عندما أضافوا شيئا قليلا الى كل جانب من الجوانب الأربعة وأتموا الدرجات الست وكسوا البناء كله ببطقة نهائية من حجر طرة الجيرى (شكل ٤ ، ٥ - ١٥) .



شكل (٥) الهرم المدرج : الأبنية الواقعة تحت سطح الأرض مسقط أفقى

ويتكون البناء السفلى للهرم المدرج من بئر عميق يفضى الى عدد كبير من المرات والحجرات ، جعلت منها مدفنا لا مثيل له بين الأهرام الأخرى التى من عهد الدولة القديمة ، لأن بعض هذه الأجزاء السفلية لم يكن قد تم بناؤه ، فليس من الميسور ان يعرف أيها كان من تصميم عهد زوسر وأيها أضيف فيما بعد أثناء البحث والتنقيب عن الكنوز . الا أنه يمكن تحديد مدفن زوسر ومراحل البناء المتعاقبة بكل اطمئنان (شكل ٥) . فقد حفروا بئرا مساحتها ٢٣ قدما مربعا تقريبا وتصل الى عمق ٢٨ قدما فى باطن طبقة الحجر الجيري ، ثم حفروا نفقا مسقفا على عمق ٢٣ قدما تحت سطح ارض يبدأ من هذه البئر الى مسافة ٦٦ قدما تقريبا ، وعند هذه النقطة — أى بعد اجتياز الحد الشمالى للمصطبة التى تصد زوسر فى ذلك الوقت بناءها — يستمر النفق مسافة ٧٠ قدما أخرى على هيئة خندق مفتوح تنحدر أرضيته الى أعلى حتى تصل الى مستوى الأرضية (شكل ٥ — ٩) . ثم عادوا يحفرون فى البئر حتى وصل الى عمق ٩٢ قدما (شكل ٥ — ٦) . وترتب على تعميق البئر أن انخفضت أرضية الخندق حتى أصبحت منزلقا ينحدر تدريجا اليها . ولكنهم لم يخفضوا الأرضية الى آخر مستوى عمق البئر ، بل الى نقطة تبلغ نحو ٤٠ قدما فوق قاعدته فقط .

وقد كان تصميم البئر والمنزلق فى الجزء السفلى للهرم المدرج شبيها بما كان متبعاً فى المصاطب الخاصة فى ذلك العصر . ولكننا نجد فى المصاطب باباً عند قاع البئر يفضى الى ردهة أحيطت بعدد من الحجرات تحوى واحدة منها الجسد ، ولكن حجرة الدفن فى الهرم المدرج أصبحت هى الجزء المركزى فى ترتيب الحجرات ، فقد بنيت كلها من حجر الجرانيت الوردى المجلوب من أسوان ، وتقع فى قاع البئر (شكل ٤ ، ٥ — ٦) .

وفى طرفها الشمالى ثقبوا فتحة فى أحد أحجار السقف لينزلوا منها الجثة عند الدفن . وبعد أن وضعوا الجثة فى الحفرة سدوا هذه الفتحة بسدادة من حجر الجرانيت ارتفاعها ست أقدام تقريبا وتزن حوالى ثلاثة أطنان على وجه التقريب ، وفوق حجرة الدفن هذه كانت توجد حجرة يصلون اليها من المنزلق بواسطة باب وضعوا فيها السدادة الجرانيتية حتى جاء وقت وضعها فى مكانها . ولم يبق لهذه الغرفة من أثر الآن ، ولكنها ربما كانت مبنية من كتل من الحجر الجيرى ، ومن المرجح أن سقفها كان يتداخل كلما ارتفع (Corbelled) وكان متينا

الى درجة استطاع معها أن يتحمل ثقل وزن الرديم الذى ملئ به باقى البئر .

وعلى بعد ٧. قدما تقريبا من حجرة الدفن وموازيا لجوانبها قادت فى الصخر أربعة ممرات طويلة . وتوجد بضع درجات من السلام تبدأ من ابواب فى الجدارين الشرقى والغربى للمنزلق مؤدية الى توصل ممرات هذه الردهات ببعضها (شكل ٥ - ١١) . ولم يتم انجاز بعض هذه الردهات والممرات ، ولكنه من المرجح أنهم كانوا ينوون تغطية كثير من جدرانها بالواح صغيرة من الفيانس بطريقة تجعلها تشابه الحصر المصنوعة من نبات القصب المائى التى كانت تغطى جدران قصر زوسر ، وقد عثر على ألواح الفيانس (*) من هذا النوع فى الممر الشرقى (شكل ٥ - ١٢) التى كُشف عنها فى سنة ١٩٢٨ ، وكذلك فى حجرتين قريبتين من الزاوية الجنوبية الشرقية لحجرة الدفن (شكل ٤ ، ٥ - ٨) . وبين لوحات الفيانس على الحائط الغربى من الممر الشرقى وضعوا نقوشا بارزة على الحجر الجيرى تمثل الملك وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية (لوحة ١٣) . وحول الحائات الخارجية للدخلات التى رسمت داخلها هذه المناظر كتب اسم الملك وألقابه . وتوجد كتابات مماثلة على جانبي الباب الذى يفصل بين الحجرتين المكسوتين بالفيانس الأزرق بالقرب من الزاوية الجنوبية الشرقية لحجرة الدفن ، وقد نقل عالم الآثار الألمانى ريتشارد ليبسيوس Richard Lepsius الباب وبعض الفيانس الى متحف برلين فى عام

١٨٤٢ .

ومن المحتمل أنه عندما وضع التصميم الأسمى لمصطبة زوسر كان يقصد أن يحتوى البناء السفلى على الحجرتين فقط اللتين فى أسفل البئر وعلى الردهات الأربع والممرات الموصلة بينها ، ولكن بعد أن قرروا الزيادة فى تصميم البناء العلوى لأول مرة حفروا إحدى عشرة بئرا فى الأرض الواقعة فى الجانب الشرقى الى عمق ١٠.٨ أقدام تقريبا . ونجد فى أسفل كل بئر من الأحدى عشرة ، ردهة متجهة نحو الغرب تحت البناء العلوى (شكل ٤ ، ٥ - ٧) . وقد عثر على تابوتين صنعا من المرمر الجميل احتوى أحدهما على جثة طفل فى نهاية الردهة الخامسة من اليسار ، كما عثر على قواعد من الحجر الجيرى لمثل هذين التابوتين فى بعض الردهات الأخرى . وبناء على ذلك يتضح لنا أن هذه الآبار والردهات كانت فى الغالب مقبورا لأفراد الأسرة الملكية . ومن الجائز أنهم كانوا يريدون إقامة بناء علوى فوق كل قبر ، ولكنها

(*) بلاطات من الفخار المزجج كالقيشاني .

دفتت جميعا تحت الزيادة الثالثة للهرم ، وكانت الوسيلة الوحيدة للوصول اليها هي سلم طويل يؤدي الى القبر الذى فى أقصى الشمال .

ومتذ البداية حتى تعديل البناء العلوى للمرة الخامسة ، كان الوصول الى الحجرات السفلية والردهات عن طريق النزول فى الخندق المفتوح والمنزلق من الجانب الشمالى (شكل ٥ - ٩) . الا أن هذا الخندق المفتوح قد سد بالرديم عندما عدل البناء العلوى من جهة الشمال ، وأصبح من الضرورى أن يحفر نفق آخر بدلا منه . وبدأ النفق الجديد ببعض درجات من السلالم قريبة من الطرف الشمالى للبناء العلوى (شكل ٥ - ١٠) ثم يسير فى طريقه الى غرب الخندق السابق ، ثم ينحنى نحو الشرق ليلتقى بالمنزلق الأسمى بالقرب من نهايته العلوية . وواضح أنه أخذ طريقا متعرجا من غير ضرورة ، ومن الصعب أن نفهم الدافع الذى حدا بهم الى بذل هذا المجهود دون مبرر .

وإذا استثنينا المعبد الجنازى والسرداب فليس للمبانى المحيطة بالهرم المدرج أى مصدر أو أصل نقلت عنه فى المبانى المصرية السابقة . وحتى المعبد الجنازى (شكل ٥ - ١٣) يمكن مقارنته بحجره القربين فى المصطبة من ناحية واحدة فقط ، وهى أنه المكان الذى كانت تقام فيه الشعائر الجنازية ، ويختلف كليه فى تكوينه العمارى عن المصاطب المعاصرة ، فهو بناء ضخم مستطيل ملتصق بلواجهة الشمالية من الدرجة الأولى للهرم . ووضع المعبد فى الناحية الشمالية من هذا الأثر كان غير مألوف ، وفى جميع ما شيد بعد ذلك من أهرام نجد المعبد فى الناحية الشرقية ، مثل حجرة القربين فى المصاطب التى كانت دائما فى الناحية الشرقية من القبر ، ولم يوضع باب على مدخل المعبد ولكنهم نحتوا فى الحجرة شكل باب مفتوح فى الخد الشمالى للمدخل . وفى كثير من المبانى فى هذه المجموعة نراهم نقشوا فى الحجر ما يشبه الأبواب ، وكان حجم النقوش يماثل دائما المقاييس الحقيقية لتلك الأبواب ، فإذا ما دلفنا من المدخل نجد أنفسنا فى رواق طويل له منحنيات عديدة تؤدى الى فناءين لا سقف لهما ينزل من أحدهما درجات سلم تؤدى الى البناء السفلى للهرم . وفى الطرف الجنوبى لكل فناء توجد ثلاثة ممرات تقضى الى بهو واسع ، وقامت الحوائط القصيرة المزينة بأعمدة متصلة ذات قنوات على الجانب الشمالى منها فكسات فواصل لهذه الممرات . ومن أهم الخصائص العمارية فى مبانى الهرم المدرج تلك الأعمدة المتصلة المحلاة بزخارف مختلفة ، فهى والأبواب المقلدة لا يوجدان الا فى هذا الأثر ، أما تصميمها فهو أما من وحى

ساق واحد لنبات من النباتات أو من حزمة من سوق النباتات ضمت الى بعضها .

وفي الجانب الغربى للفناءين المكشوفين توجد حجرتان فى كل منهما حوض من الحجر فى أرضيتها وهىكل له دخلتان غائرتان فى واجهة الهرم ، وهاتان الحجرتان تكملان العناصر الثليلة لهذا المعبد انتهى بقيت فى حالة جيدة من الحفظ يجعلها كافية للتعرف عليها .

ومن المستحيل أن نتكهن على وجه التحقيق بالأصل المعماري الذى استرشد به امحوتب عندما صمم هذا المعبد الجنازى ، ولكن يمكن اعتباره نسخة مبنية بالحجر من القصر الملكى فى منف . وهذا التفسير يسائر النظرية التى لاقت القبول ، وهى أن معظم مباني مجموعة الهرم المدرج ليست الا نسخا من المباني التى كانت حول القصر الملكى . ولكن مهما كان التفسير الصحيح فاننا نلاحظ أن معظم العناصر المعمارية الأساسية (مثل الأبهاء وحجرات التطهير والدخلات فى الهيكل) مزدوجة ، مما يجعلنا نعتقد أن المعبد قد صمم لاقامة بعض الطقوس التى يجب تكرارها ، أى أن الملك يقوم بتلك الطقوس مرة بصفته حاكما الوجه القبلى ومرة ثانية على أنه حاكم الوجه البحرى .

ويقع السرداب على مسافة قصيرة من شرق مدخل المعبد الجنازى (شكل ٥ - ١٤) وقد بنى كله من الحجر اسجىرى المجلوب من طره ، ويحيط جداره الأمامى الى الداخل بزواية مقدارها ١٦° عن الخط العمودى ليمائل زاوية أسفل درجة من درجات الهرم التى كانت للمعبد بمثابة حائطه الخلفى ، وفى داخله نجد تمثال زوسر جالسا على عرشه (لوحة ٣ ب) يلبس رداء طويلا لا يظهر منه غير يديه وقدميه والجزء الأعلى من كتفيه وعلى رأسه جمّة (شعر مستعار) طويلة يغطيها لباس للرأس من نسيج الكتان ، وربما كانت عيناه من البلور الصخرى فى تجويف من النحاس ، وظل عاتقا بنقنه جزء من اللحية المستعارة ، وهى رمز الملكية . وثقب ثقبان فى الجدار الأمامى لهذا السرداب أمام وجه التمثال ، اما لكى يسمحا بدخول دخان البخور ليصل الى التمثال ، واما ليكنا التمثال من النظر الى ما أمامه .

وفى خارج السرداب كان هناك سور صغير له مدخلان ، الأول ضيق عند الركن الجنوبى الشرقى والآخر وهو المدخل الرئيسى كان فى الناحية الشمالية . وقد نقش على كل من جانبي المدخل الرئيسى رسوم تمثل الأبواب الخشبية وكأنها مفتوحة فيمكن أن يرى السرداب من الفناء المكشوف الكبير خارج السور .

ويتسامى بناءان كبيران مستطيلان ذوا أسقف مقبية ويشرفان على كل المساحة الواقعة شرقي كل من فناء السرداب والهزم . وقد بنى كل منهما بالحجر من الداخل ثم كسى من الخارج بالحجر الجيرى المطلوب من طره . وزينت الواجهة الجنوبية بأربعة أعمدة متصلة دقيقة الصنع تحمل مع دعائم عريضة على كل من جانبيها افريزا ينحني تبعا لقبو السقف . وفي البناء الواقع في أقصى الناحية البحرية في هذين البناءين حفرت قنوات رأسية في كل من الأعمدة المنصنة والدعائم . وفي البناء القبلى حفرت قنوات مماثلة في الأعمدة ، ولكن الدعائم ذات أضلاع ، أما تيجان الأعمدة المتصلة فانها تشبه ورقتين كبيرتين من أوراق الشجر متدليتين . ولم يعثر على هذا النوع الا في هذه المجموعة الهرمية فقط . وكان بالقرب من أعلى هذه الأعمدة المتصلة ثقبان مربعان ربما كان مثبتا فيهما سوار تحمل بعض الشارات .

ونجد قريبا من وسط الواجهة الجنوبية من كل بناء مدخلا يفضى الى ممر ضيق يؤدي بدوره - بعد لفتين كل منهما زاوية قائمة - هيكل صغير الى صليبي الشكل . وفي جدران هذا الهيكل بنيت ثلاث كوات كانت تستخدم اما لوضع القرابين أو لوضع تماثيل صغيرة ، وكان في الفناء الشمالى كوتان داخلتان في الجدران عند نهاية الممر . أما أحجار أسقف هذه الممرات فقد زخرفت لتحاكي العروق الخشبية التي كانت تسقف بها الأبهاء المماثلة في البيوت المبنية من الخشب واللبن .

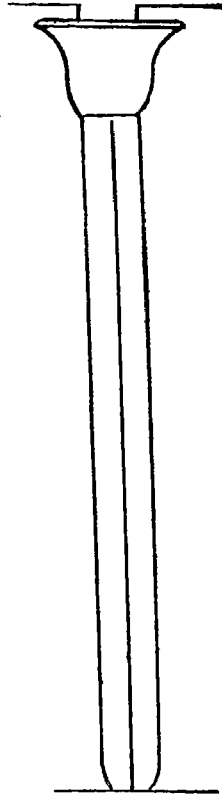
وكان يوجد الى غرب المدخل ، ومختفيا عن الأنظار خلف الكساء الحجري ، ممر آخر يؤدي الى حجرة صغيرة اذا قارناها بالسرداب المقبول فاننا نجد شباها بينهما ، ولهذا يمكننا أن نحكم بأنها كانت تحوى تماثلا .

وكان أمام هذين البناءين فناءان مكشوفان ، الجنوبي منهما يزيد كثيرا في حجمه عن الآخر ، وكان يحيط بالفناءين سور نرى في جانبه الشرقى قريبا من ركن كل من البناءين دخلة عريضة في الجدار ، وقد زينت هذه الدخلة في الفناء الشمالى بثلاثة أعمدة متصلة كل منها يمثل ساق وزهرة البردى (شكل ٦) . واحتوت الدخلة في الفناء الجنوبي على عمود واحد متصل فقط ربما كان يمثل نبات اللوتس .

وليس هناك حتى الآن تفسير مقنع للغرض الأساسى الذى من أجله أقيم هذان البناءان ومدى ما كانا يؤديانه من خدمة لزوسر في حياته القادمة ، فكان هناك من يقول في وقت من الأوقات أنهما

كانا قبرين لاثنتين من بناته — انت كا اس (Intkaes) وحتب حرنبتى
Hetephernebti — اللتين نقش اسمهما على بعض اللوحات التى
عثر عليها بجوارهما . ولكن الاكتشافات الحديثة فشلت فى العثور على
أى شيء فى تركيبهما يمت الى الأصول الجنازية بصلة ، ولذا لا بد من
البحث عن تفسير آخر . ومن الممكن أن يكون فى الرسوم التى فى
دخلات الفناعين ما يساعدنا على فهم كنهها .

فمن المعروف أن نباتى اللوتس والبردى كانا رمزين لمصر العليا
والسفلى على التعاقب ، وعلى ذلك فمن الممكن أن يمثل البناء الجنوبى



شكل (٦) - عمود بردى متص

الهيكل الوطنى لمصر العليا فى عصر ما قبل الأسرات الذى كان يوجد فى الكوم الأحمر Hierakonpolis بينما يمثل البناء الشمالى الهيكل المهائل لمصر السفلى فى مدينة بوتو (Buto) . ويدل وجود مديح على شكل حدود الحصان فى فناء البناء الجنوبى دلالة قاطعة على أن هذا البناء بنى لغرض دينى وليس لغرض دنيوى .

والى الجنوب من سور البناء الجنوبى نرى فناء مستطيلاً آخر ، جانباه الشرقى والغربى يحويان مجموعة من الهياكل الرمزية بنيت من أحجار متينة (شكل ٣) وأمام كل هيكل منها فناء صغير به ما يحاكي الباب المفتوح ، ويخفى بروز فى وسط جداره الجنوبى كوة غائرة فى قاعدة واجهة الهيكل ، ومن الناحية المعمارية يمكننا القول بأن واجهات عشرة هياكل من الثلاثة عشر هيكلًا فى الجانب الغربى تشبه جداً واجهات البنائين الشمالى والجنوبى . فقد احتوت كل واجهة على ثلاثة أعمدة متصلة زينت بقنوات رأسية وتحمل كورنيشا مقوساً وتتصل أطرافها بدعامات عريضة . وكات تيجان هذه الأعمدة كما فى البنائين الشمالى والجنوبى مكونة من ورقتين كبيرتين من أوراق الأشجار المتدلّية (شكل ٧) وقطعوا بين الورقتين ثقباً واحداً مستديراً ليثبت به سارية تحمل شارة من الشارات ، ويظهر أن واجهات الهياكل الباقية فى الجانب الغربى وكل الهياكل فى الجانب الشرقى كانت بسيطة خالية من كل زخرف اللهم الا من خرزة مستديرة من الحجر تظهر فى أعلاها وعلى الجانبين .



شكل (٧) تاج عمود مركب من أوراق شجر متدلّية

وقد أقيم هذا الفناء والمباني المحيطة به لتمد زوسر بما يلزمه ليعيد في حياته بعد الموت الاحتفال بعيده الثلاثيني المعروف عند تدماء المصريين باسم حب سد (Heb. Sed) فقد كان لكل ملك مصرى الحق في أن يحتفل بعيد الحب . سد بعد أن يقضى على العرش عدداً محدداً من السنوات اختلف عددها من عصر الى عصر . وأصل هذا الاحتفال غامض ، ولكن يظهر أنه بقية من الماضى البعيد عندما كان الملوك يحكمون لمدة محدودة فقط قبل أن ينتهوا حياتهم في احتفال خاص . ومن هذه العادة البدائية جاء دون شك الاعتقاد بأنه من الضروري لصالح الملكة بتقاء قوة الملك الجسدية دون أن يمتورها نقص ، وبذلك محا عيد الحب سد Heb. Sed . ضرورة تنصيب ملك شاب بدلا من الملك الذى قضى وقتا طويلا على العرش ، وذلك بتكئين ذلك الملك من استعادة قوته بفعل السحر . ومن أهم عناصر عيد الحب سد اعادة تتويج الملك .

وفي هذا الاحتفال يدخل موكب يقوده أحد الكهنة الذين يطلق عليهم المصريون اسم « كاهن سم » الى تلك الهياكل المحيطة بفناء الحب سد والتي يجتمع فيها آلهة الأقاليم في الوجه القبلى . وبعد الحصول على موافقة كل اله بتجديد حق الملك في الملك يؤخذ الملك الى أحد العرشين في أقصى الجنوب ويجلسونه على مقعد تحت مظلة لى يتوج بالتاج الأبيض الخاص بالوجه القبلى ، ويعاد الاحتفال من جديد في الهياكل الخاصة بأقاليم الوجه البحرى قبل أن يعطى الملك عرش الشمال ليتسلم التاج الأحمر الخاص بالوجه البحرى ، ويرمز الى اتحاد الملكتين في طقس يتلو ذلك بربط زهرتى اللوتس والبردى حول وتد مثبت في الأرض .

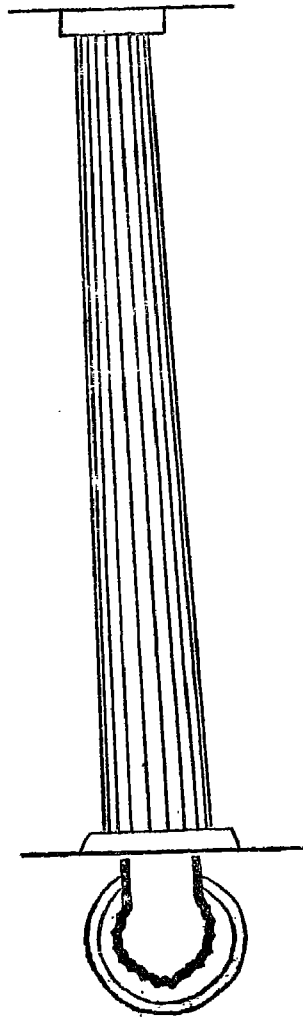
وهناك طقس فى عيد الحب سد غير واضح المعنى تماما ، فقد كان مغروضا على الملك أن يجرى مسافة معينة وييده سوط صغير مصحوبا بكاهن يسمى كاهن أرواح نخن (1) (Nekhen) بمعنى أحد النقوش المكتشفة بالهرم المدرج نرى زوسر وهو يقوم بهذا الطقس (لوحه ١٣) ، وربما جاءت فكرته من اعتقاد قديم بأن خصوبة الحقول تتوقف في بعض الحالات على خفة الملك الجثمانية .

(١) كانت (أرواح نخن) ملوكا فى عهد ما قبل التاريخ على الوجه القبلى الذى كانت عاصمته فى نخن (أى ميراكوبوليس) Hierakonpolis ومكانها الآن الكوم الأحمر الى الشمال من أدفو .

وبالإضافة الى الهياكل التى سبق لنا وصفها ، ففى فناء الحب سد بالهرم المدرج فى طرفه الجنوبى نرى قاعدة التتويج ، وفى الهيكلين الثانى والثالث فى الناحية الغربية قريبا من هذا المقعد ، دخلات تصل اليها ببضع درجات ربما كانت توضع عليها تماثيل للملك ، ففى التى فى أقصى الجنوب يوضع تمثاله كملك للوجه القبلى وفى التى فى أقصى الشمال تمثاله كملك للوجه البحرى . وان قرب هذه الدخلات من المساعدة يجعلنا نفترض أن المبانى التى كانت تنتمى اليها كانت تمثل الأكشاك التى يستريح الملك تحتها حتى يقوم الكهنة بعمل الطقوس التى تسبق التتويج .

وهناك ممر يبدأ من الركن الجنوبى الغربى لفناء الحب . سد ويصله بفناء صغير فيه بناء متوسط الحجم ، بنيت حوائطه الخارجية بأحجار غير سميكة خالية من كل زخرف اللهم الا خرزة مستديرة على الواجهة الجنوبية ، وفى داخلها نراها تحتوى على بهو وثلاث قاعات داخلية ومجموعة من الحجرات الجانبية . ويبرز من وسط الجانب الغربى لمدخل الصالة ثلاث حوائط تنتهى اثنتان منها بأعمدة متصلة محلاة بقنوات رأسية (شكل ٨) وربما احتوت الفجوتان المكوفتان من بروز هذه الجدران على تماثيل ، ولكن لا يمكن التكهن ان كانت هذه التماثيل للملك أو لآلهة ما دام الغرض الأسمى من هذا البناء عدير معروف ، ولكن قرينه من فناء الحب سد يرجح الظن بأن استعماله كان متعلقا بعيد الحب سد ، وربما كان المكان الذى يقصد اليه الملك لتغيير ملابسه أثناء الاحتفال . ومن جهة أخرى ربما أقيم لأجل القيام بطقس آخر ما زال الغرض منه مجهولا .

ومن بين الأبنية التى يصعب تفسيرها أو معرفة الغرض منها مجموعة الأروقة والحجرات التى تؤدى الى فناء الحب سد فى الركن الجنوبى الشرقى ، فنظراً لعدم وجود أى عناصر معمارية مميزة تلت البعض بأنها هى الأخرى ذات علاقة بعيد الحب سد . وهناك دهليز يربط فناء الحب سد بالطرف الشرقى لبهو الأعمدة ، وهو قريب جداً من بوابة فى السور الخارجى . وهذه البوابة هى المدخل الوحيد لهذه المجموعة من المبانى . وبهو الأعمدة هذا عبارة عن ممر طويل ضيق يتجه نحو الغرب ، على جانبيه مجموعة من النجسوات الناتئة من الجدران التى تبرز على كلا الجانبين (لوحة ٤) وتنتهى هذه الجدران البارزة — وعددها أربعون — بأعمدة متصلة مضلعة ، ويختلف عدد الأضلاع من سبعة عشر الى تسعة عشر ضلعا (شكل



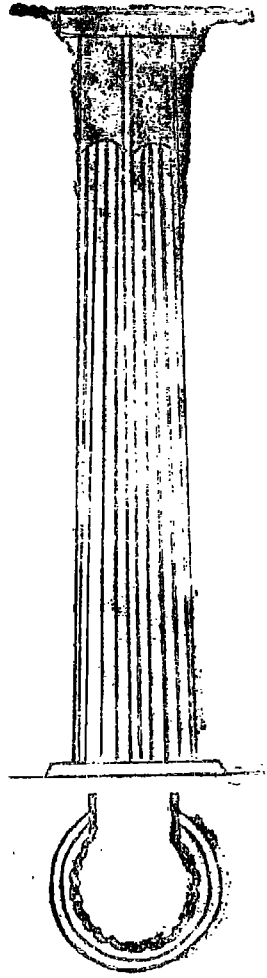
شکل (۸) عمود متصل ذو قنوات

٩) . وربما حوت هذه الفجوات في داخلها تماثيل للملك تمثله التي على الجانب الجنوبي منها ملكا للوجه القبلى ، وتمثله تلك التي على الجانب الشمالي ملكا على الوجه البحرى .

ولما كان عدد هذه الفجوات يتناسب مع الاثنتين والأربعين اقلية ، فقد حسب البعض أن كلا منها احتوى على تمثال مزدوج للملك مع أحد آلهة الأقاليم ، ولكن بالرغم من أن التماثيل من هذا النوع كانت معروفة في الأسرة الرابعة فإن الحفائر لم تكشف عن وجود أى أثر لمثل هذه التماثيل في صالة الأعمدة .

وكان البناء كله مغطى بسقف حجرى مسطح في أعلاه ومنحوت من أسفل ليحاكى كتل الخشب المستديرة ، أما النور فقد كان يأتى من فتحات مائلة في جوانب الجدران على مقربة من السقف تسمح بدخول أشعة من الضوء ربما قصدوا منها أن تسقط على الزخارف التي كانت تزين الفجوات . وكان يتصل بطرف صالة الأعمدة الغربى دهليز صغير ، حمل سقفه الذى يشبه سقف بهو الأعمدة على ثمانية أعمدة مزلعة ، يوصل بين كل اثنتين منها حائط صغير ، وفي الجدار الغربى تقليد في الحجر لباب مفتوح يؤدي الى فناء مكشوف يحتل كل المساحة من واجهة الهرم الجنوبية الى السور الكبير . وبنيت الجدران الجانبية لهذا الفناء بالحجر الجيرى المنحوت ، وزينت بدخلات . وفي الطرف الشمالى قريبا من الهرم ، نرى مذبحا نصل اليه بمنحدر صاعد . وهناك أيضا بناءان الى الجنوب من المذبح يشبه كل منهما حافر الجواد ، وربما كان الغرض من وجودهما أنهما كانا النهاية التي ينتهى عندها أحد الطقوس ، ولكن لم يظهر الى الآن ما يساعدها على معرفة حقيقته .

وفي الركن الجنوبي الغربى من الفناء الجنوبي المتصل بالسور ، مبنى مستطيل أقيم كله من الحجر ، وكسيت حوائطه من الخارج بالحجر الجيرى ، وزينت من أعلى بإفريز من جيات الكوبرا ، ولا يحتوى داخله الا على حجرتين طويلتين تكون الواحدة منهما مع الأخرى زاوية قائمة . واذا كان هذا البناء غير متصل بالطقوس أو الاحتفالات التي كانت تقام في الفناء الجنوبي ، فلا بد أنه كان مستخدما كحجرة للقرابين لمصطبة كبيرة كان بناؤها العلوى الذى يجرى محوره من الشرق الى الغرب مختفيا في مبنى السور الكبير . ويتشابه موقع هذا البناء في الجانب الشمالى للمصطبة مع المعبد الجنازى وموقعه من الهرم المدرج .



شکل (۶) عنود متصل مشعلع

ويتشابه البناء السفلى لهذه المصطبة الجنوبية في كثير من معالمها مع الهرم المدرج — فقد بنيت حجرة الدفن من كتل من الجرانيت الوردى في قاع البئر العمودي . ويحتوى سقفها المسطح على ثقب (أغلب الظن انه قد سد بكتلة من الجرانيت) يسمح بنزول الجسم . وكان فوق حجرة الدفن مباشرة حجرة أخرى ، القصد منها أن يحتفظ بالسداذة فيها قبل عملية الدفن ، وحمل سقفها كل الرديم الذى ملأ البئر . الا أن المنزلق الجانبى بدلا من أن يؤدى الى هذه الغرفة كنظيره في الهرم المدرج ، فقد زحزح الى الجانب القبلى ليفضى مباشرة الى الممرات التى تقع جميعها في الجهة الشرقية من حجرة الدفن . ووجد في أحد الدهاليز ثلاثة مناظر منقوشة ، وكل منها يمثل زوسر أثناء تأديته بعض الطقوس الدينية ، وفي دهليز مواز على مسافة قصيرة الى الغرب من الدهليز الأول ، نقشت ثلاثة أبواب من خلف في واجهة الحائط الحجرى . ووجود هذه الأبواب خلف النقوش تقريبا يجعلنا نظن أن اللوحات المحتوية على النقوش كانت معتبرة كأبواب وهمية ليخرج منها الملك .

وكان بعض جدران هذه الدهاليز مغطى بألواح الفيانس الأزرق . تقليداً لستائر الجدران التى كانت مصنوعة من نبات القصب المانى (لوحة ٥) .

ومنذ أن ثبت على وجه التحقيق أن زوسر قد دفن تحت الهرم المدرج ، نجد من الصعب تفسير بناء مقبرة ثانية في نفس المجموعة الهرمية ، لها كل المظاهر التى تنبئ بأنها كانت معدة له . ونحن نعرف أن ملوك مصر بنوا في بعض الأحيان أكثر من قبر واحد — فمثلا سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة بنى هرما في ميدوم وآخر في دهشور (١) — كما أن النقوش التى على الأبواب الوهمية في المصطبة الجنوبية دليل قوى على أن زوسر بنى هذا القبر لاستعماله الشخصى ، الا أن حجرة الدفن تبلغ مساحتها ٣ أقدام و ٣ بوصات مربعة فقط ، وهى مساحة لا يمكن أن تتسع لجثة إنسان ذى حجم عادى الا اذا كان مقرصا ، وهى طريقة من طرق الدفن لا يحتمل استخدامها لشخص ملكى في الأسرة الثالثة . وعلى ذلك فاما أن تكون هذه المقبرة مقبرة رمزية بنيت لاستخدامها في التضحية الرمزية بالملك أثناء عيد الحب سسد ، أو أنه كان المدفن الفعلى لأحشائه التى استخرجت من الجسم لتساعد في المحافظة عليه .

(١) بنى سنفرو هرمين فى دهشور ، ولا يعلم الى الآن على وجه التحقيق بانى هرم ميدوم (العرب) .

فالجدار الخارجى للمبنى الأول ، وهو يواجه البناء الجنوبي ، خان مزينا بدخلات وثنيات تعطيه شكلا يتفق وباقي الجدران في اساحيين الجنوبية والشرقية لهذا الفناء . أما المبنى الثاني ، وهو أعلى من المبنى الأول ، فقد كان له سقف مقوس يحاكي سقف المصطبة الجنوبية ، وعلى ذلك فربما كان البناء العلوى لصف من القبور لأتباع زوسر ، ولكن نظراً لطبيعة الصخر الهشة تحت هذا المكان لم يتمكن أحد حتى الآن من حفرها حفراً كاملاً . وخلف هذين البناءين يقوم السور الخارجى السميك .

ومن المحتمل أنه لم يتم مطلقاً إنجاز العمل في المساحة الواقعة بين المعبد الجنازى والجدار الشمالى للسور ، إذ أن كل معالمها الظاهرة عبارة عن جزء مرتفع من الأرض به ردهات ورسيف تبلغ مساحته ٥٠ قدمًا مربعًا تقريبًا ، وهو مرتفع قد سوى في الصخر . ونراهم قد كسوا ذلك الرسيف من الخارج بالحجر الجيري ، وهو على خط واحد تقريباً مع المحور الشمالى الجنوبى للهرم ، ومن المحتمل جداً أنه كان مستخدماً كمذبح . أما جدار السور الكبير في هذه الناحية فقد بنى على هيئة حجرات صغيرة تفصلها جدران من الحجر .

ونظراً لأنه لم يعثر أثناء الحفر على أثر لآى شيء قد وضع في هذه الحجرات ، فمن غير المحتمل أنها استخدمت في أى وقت من الأوقات لتخزين أى شيء جنازى .

وعلى أى حال ، فتحت حجرات السور كانت هناك حجرات في المرات السفلية التى احتوت على خبز وفاكهة وبعض مقومات الحياة في العالم الآخر .

وكان ارتفاع السور المحيط بمجموعة الهرم المدرج ٣٣ قدمًا تقريباً ، ومحيطه أطول من ميل (شكل ٣) وهو عبارة عن جدار سميك مبنى بالحجر ، وقد كسى جزء من واجهته الداخلية وجميع واجهته الخارجية بأحجار منحوتة من طره . ونرى في الواجهة الخارجية شرفات كشرفات الحصون ، وهى مستطيلة تبعد كل منها عن الأخرى بمسافة ١٣ر٥ قدمًا ، وكلها بحجم واحد اللهم الا أربعة عشر منها أكبر حجماً . وعلى كل من هذه الشرفات الأكبر حجماً — والتي نراها في أماكن مختلفة من السور دون أن يكون لها ترتيب خاص — رسوم لأبواب مغلقة ذات ضلفتين ، مضية على هذه الشرفات البرجية مظهر

البوابات العظيمة . أما الباب الذى استخدموه فهو بالقرب من الركن الجنوبي للجانب الشرقى ، حيث نجد برجين بينهما ممر ضيق يفضى الى مدخل بهو الأعمدة ، ونراهم رسموا كذلك أبوابا ذات ضلفتين مفتوحتين على الجدران داخل هذين البرجين . وأما واجهة السور الخارجية فقد زينوها كلها بثنيات وزخرفوا نصفها العلوى بمستطيلات صغيرة غائرة ، رتبت عموديا كل ثمانية منها فى صف . والجدران المحتوية على الدخلات والخراجات فى المقابر المصرية قديمة العهد ، وترجع الى أوائل أيام عصر الأسرات . وليست المصطبة المبنية بالطوب النى ، والتي لا تبعد كثيرا عن الهرم المدرج والتي تنسب الى الملك عحا ، الا مثلا واحدا من كثير من الأمثلة المعروفة ، الا أن السور المحيط بتلك المصطبة لا يحوى دخلات وخراجات ، بل كان مسطحا (شكل ٢) . ووجود الأربع عشرة شرفة والبوابة فى جدار زوسر لم يقصد به مجرد تمثيل لجدار قصره ، بل كان نسخة حجرية من « الجدر البيضاء » المشهورة التى بناها مينا حول منف . ويبدو أن « الجدر البيضاء » كانت مبنية من الطوب اللبن ، ثم غطيت بطبقة رقيقة من الجبس الأبيض .

ولو القينا نظرة عامة على الهرم المدرج ، لوجدنا أننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا انه من أحسن الأعمال المعمارية التى خلفها قدماء المصريين . وقد نظرت اليه الأجيال فى عهد المصريين القدماء أنفسهم نظرة تقدير عظيم ، ولم يقف بهم الأمر عند حد احترامهم لايحوتب بل رفعوه الى مرتبة الأرباب وسجلوا اعجابهم بالهرم وبنائه فى كتابات هيراطيقية على جدرانه دونها المصريون الذين زاروا ذلك الأثر بعد مضي أكثر من ألف سنة على بنائه . فلم يحظ أى هرم آخر من الأهرام المعروفة بمثل هذه المجموعة من المبانى العظيمة لتزود الملك بكل ما يحتاج اليه فى الحياة بعد الموت ، وقد اكتفى الملوك الذين حكموا بعد مرور أسرتين بعد الأسرة الثالثة بعمل رسوم منحوتة على الأحجار . ولنضرب لذلك مثلا بالمجموعة الهرمية لساحورع الملك الثانى فى الأسرة الخامسة ، فانها تحوى نقوشا تمثل الحب سد ولكنها لا تحتوى على فناء فيه مبان شيدت خصيصا لاستخدامها فى هذا الاحتفال .

وطالما شك بعض الباحثين فيما اذا كان من الميسور أن يصل المصريون القدماء الى هذه الدرجة العالية من الكمال دون أن يسبقها تطور طويل المدى ، ولكن بالرغم من ذلك فليس هناك أى دليل على أن الحجر قد استعمل فى أى مبنى سابق اللهم الا فى اقامة أجزاء متفرقة فى بعض المصاطب . كما أن الهرم المدرج يحوى كثيرا من

الأدلة على أن البنائين الذين شيّدوه كانت تنقصهم الخبرة في استخدام الحجر للبناء ، فاستخدموا مثلا أحجارا صغيرة الحجم يسهل نقلها بدلا من الأحجار الضخمة التي نراها بعد ذلك في المباني ، وهذا يدل على ان المصريين لم يتقنوا صناعة قطع الأحجار ونقل الأحجار الثقيلة انتقانا تاما حتى ذلك العهد . وكذلك الأعمدة المتصلة ، فمن المحتمل أنها لم تصنع حبا في الجمال الفني ولكنها أقيمت بسبب تشككهم في قوة احتمال العمود المنفرد . وفي الزخارف أيضا نجد أن الأشكال الزخرفية التي فضلوها كانت منقولة عن الخشب أو البوص أو من مباني الطوب اللبن غالبا الأشكال الخاصة بالحجر وتناسبه لم تكن قد ظهرت حتى ذلك الوقت .

ولم يكن عظم الحجم والتصميم المعماري هما كل ما جعل هرم زوسر يفوق مقابر أسلافه ، فقد وضع فيه من الأثاث الجنائز شيئا لم يحاوله أحد من قبل . وبالرغم من تعرض هذا الهرم للنهب والسلب مدة لا تقل عن أربعة آلاف سنة ، غنق ظل محتفظا بالكثير ، وأمد المكتشفين أثناء الحفائر الحديثة بآلاف من الأواني والأطباق ذات الأشكال الجميلة المصنوعة من المرمر والأردواز Schist والحجر السماقي Porphyry والبرشيا Breccia والبللور الصخري وحجر السربانتين Serpentine وأحجار أخرى كثيرة ، وما زالت كميات هائلة منها ينتظر نقلها من مقابر الأسرة المالكة ، حيث نجدها مكدسة في أكوام تصل من الأرض الى السقف . ولم يوضع طعام أو أى مادة أخرى داخل هذه الأواني ، وربما كان وجودها في حد ذاته ذا صلة بما يتلوه الكاهن من صيغ سحرية ، إذ كانت تلاوته كافية لتضمن وجود كميات كافية من الأطعمة فيها ، تلك الأطعمة التي كانت الأواني مخصصة لها لتقديمها للملك .

ويكاد يكون مؤكدا أن المباني التي كانت داخل السور قد حوت قبل تدميرها عددا كبيرا من التماثيل ، ولم يبق سليما من تلك التماثيل الا تماثال زوسر الجالس الذي عثر عليه في السرداب ، ويسكن عثر على أجزاء من تماثيل أخرى أيضا . وفي الطرف الشمالي من فناء الحب سد نرى قاعدة تماثال من الحجر الجيري حفر في سطحها العلوى ثمانية أقدام آدمية ، لا بد أنها كانت لجموعة من أربعة تماثيل ربما كانت للملك والملكة واثنين من الأميرات . وعثر في نفس البناء على ثلاثة

تمثال كبيرة صنعت من كتله واحدة ، ولكنهم لم يتموا الا نحت واحد منها . وعند النظرة الاولى يخيل الينا ان هذه التماثيل تحاكي بعض أنواع الأعمدة المشكلة بهيئة التماثيل ، ولكن من المستبعد جداً أن تكون صممت كأعمدة مستقلة ، وربما كانت النية متجهة لاقامتها في كوات بالحائط . وقد عثر على قطع من تماثيل أخرى — منها على الأقل تماثيل للملك — وكانت خارج السور الكبير ، وفي دخلة في الجدار الجنوبي لندخل ذى الأعمدة . ولم يكن القصد من كل هذه التماثيل الأخرى انى لم يعثر لها على أثر احياء ذكرى الأشخاص الذين تمظهرهم ، ولكن لتكون بديلاً من أجسامهم وتستطيع الروح أن تجدها أثناء الطقوس الدينية المختلفة التى تقام داخل الهرم .

ونظراً لأنه لم يعثر الا على تماثيلين ملكيين فقط من العصور السابقة — وكلاهما يمثل سلفاً لزوسر يسمى خع — سخم Khasekhem — فمن المحتمل جداً أنه حدثت في عهد زوسر نهضة كبرى في صناعة التماثيل . واذا فحصنا تماثله الذى كان في السرداب ، وهو يمثل الفن فى ذلك العصر ، فاننا نستطيع القول بان مجموعة التماثيل التى حوتها مجموعة مباني زوسر كانت على درجة من الاتقان يمكن مقارنتها بأحسن القطع الفنية التى أنتجتها الأسر التالية .

وقبل الحفائر الحديثة لم يكن هناك ما يراه الزائر من آثار زوسر غير الهرم نفسه ، وقد جرد تماماً من كسائه الحجرى الخارجى . وقد عث بالهرم أيضاً من الداخل ، فكل السرديم الذى كان يملاً البئر وأجزاء من الكتل المبنية فى المنزلق الجانبى بعد الدفن أزيحت بدقة بمعرفة اللصوص ، ولهذا أصبح فى استطاعتنا أن نقف على السقف الجرانيتى لحجرة الدفن ، ويمكننا اذا استعنا بضوء مصباح كهربيائى قوى أن نرى الجانب السفلى من أول مدمك من الأحجار التى كانت تغطى فتحة البئر عندما بنيت المصطبة الأولى . وتحت هذه الأحجار أقام اللصوص عند ازالة الرديم الذى يملاً البئر رصيفاً سميكا من الخشبالم يبق منه الآن سوى قليل من القطع . وان بقاء الأحجار معلقة دون استنادها على الرديم أو على الرصيف من غير أن تتداعى وتتهال داخل البئر أمر يكاد يكون من باب المعجزات .

وفىما عدا الأوانى الحجرية لم يبق من اثاث مقبرة زوسر شيء يذكر ، ولكنه قد عثر فى حجرة الدفن على بقايا من جسم آدمى ، ومع أنه لا يوجد ما يثبت أن هذه البقايا من زوسر نفسه فان طريقة دفن تلك

البقايا تتفق وطريقة الدفن التي كانت متبعة في عصره . وقد تعرض
الأحد عشر قبراً الخاصة بالأسرة الملكية للنهب أيضاً ، ولم يبق منها—
غير التابوتين المرمرين السابق ذكرهما ، وكان أحد التابوتين — الذي
حوى هيكل الطفل — مبطناً بست طبقات من الخشب سمك كل منه
أقل من ربع بوصة ، وقد وضعت بحيث تجرى اليافها في اتجاهات
رأسية وأفقية على التوالي وشدت الى بعضها بمسامير خشبية
صغيرة ، وقد عثر على بضعة مسامير من الذهب في الطبقة الداخلية
منها تدل على أن ذلك الخشب كان في الأصل مغطى بالذهب .

ومن المستحيل أن نحدد على وجه التحقيق الوقت الذي بدأت
فيه سرقة الهرم المدرج ، والكتابات التي على جدران المبنى الجنوبي
تثبت ان المبنى المحيطة به كانت قائمة في عهد الدولة الحديثة ، ولكن
لا يعنى ذلك أن القبر ذاته لم يسرق ما به من أثاث قيم قبل ذلك الوقت .

وتدلنا نقوش زوسر الثلاثة في الممر الشرقي على أن الوصول الى
حجرات البناء السفلى والأروقة كان ممكناً في العصر الصاوي ، فقد
تقسوا كل نقش الى مربعات بخطوط من الحبر لأجل عمل رسم لها
بنسبة معينة .

ونظراً لأننا نعرف عن الصاويين أنهم كانوا يحبون أن تكون
بعض أعمالهم الفنية صورة من مثيلاتها في الدولة القديمة ، فليس بعيد
أن يكونوا هم الفنانين الذين رسموا هذه الخطوط على نقوش زوسر .
ولكن غيرهم ممن وصلوا الى القبر كانوا مدفوعين بعوامل دنيئة . وقد
استمرت السرقات والنهب دون رادع حتى القرن الحاضر .

وقد قامت مصلحة الآثار تحت اشراف ج . ب . لوير بترميم
جزء كبير من الآثار التي في داخل السور ، كما رمت المدخل ذا الأعمدة
والركن الجنوبي الشرقي من السور الكبير ، وجمعت أحجار عدد من
الأجزاء المتفرقة من المبنى الأخرى .

الفصل الثالث

من الهرم المدرج الى الهرم الكامل

قبل أن يبني أول هرم هندسى كامل صممت على الأقل أربع مقابر هرمية الشكل زيادة على هرم زوسر .

ونجد اثنتين من هذه المقابر فى زاوية العريان على مسافة اميال قليلة من الجيزة . ويعرف أقدمها عادة باسم الهرم ذى الطبقات ، ويبدو أنه كان مبنيا ليكون هرما مدرجا ، ولكن لم يبق منه الا القليل مما جعل تحديد شكله الاصلى أمرا لا يمكن اثباته . أما الهرم الثانى الذى ربما صمم ليكون هرما مدرجا ، فقد توقف العمل فيه قبل أن يتموا المداميك السفلى من مبناه العلوى ، ولكنهم كانوا قد قطعوا الجزء الأسفل منه فى الصخر وبدأوا فى تشييد حجرة الدفن ، وهى عبارة عن بئر مستطيلة طولها ٨٢ قدما وعرضها ٤٦ قدما ، تدت فى الصخر الى عمق ٨٥ قدما تقريبا .

ويتصل بهذا البئر من جانبه الشمالى بمر مكشوف يتدرج صاعدا الى سطح الأرض ، وقد فى جزء من طول أرضية هذا المر الصخرية سلمان يفصلهما منزلق عريض ، وعلى الجانبين منزلقان متشابهان ، وقد أنزلوا بالحبال الى أسفل هذه المنزلاقات أحجار الأساس الكبيرة الموضوعة فى قاع البئر ، وكذلك أحجار الجرانيت المجلوبة من اسوان والتي بنى بها جزء من حجرة الدفن ، وبمثل هذه الطريقة أنزلوا أيضا الى قاع البئر تابوتا جرانيتيا بيضاوى الشكل .

وعلى بعض أحجار هذا الهرم — ويسمى « الهرم الناقص » — اسم الفرعون نب كا Neb Ka كتبها عليها رجال المحاجر . وحيث أن طريقة بناء المبنى السفلى تشابه أعمال الأسرة الثالثة ، فقد ظن أن هذا القبر أقيم للملك نب كا (أو نب كا رع Neb-Ke-Ra) الذى ينتمى الى تلك الأسرة ، ولكن لم يعرف عنه شئ سوى اسمه .

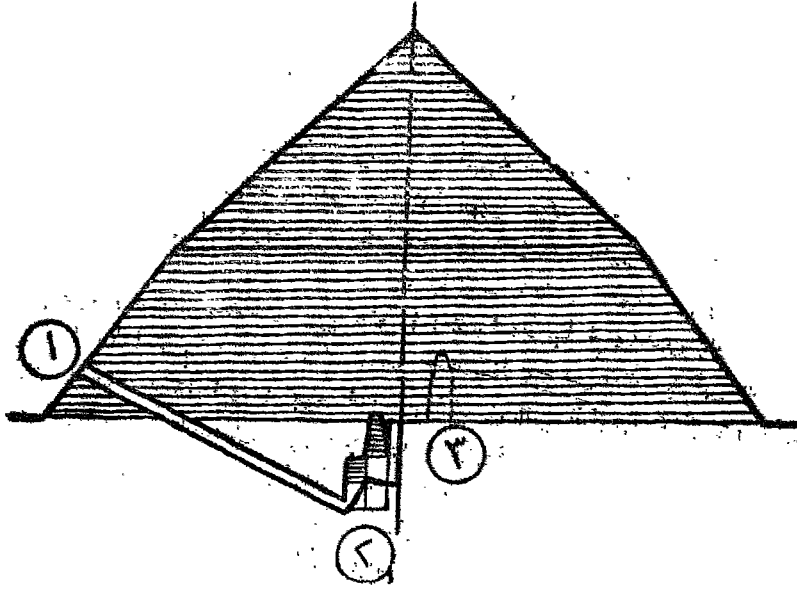
ولسنا نعرف أيضا بانى الهرم ذى الطبقات ، وقد عثر على بعض الاوانى فى مصطبة تربية منه وعليها اسم الملك خع - باو (Kha-Bau) وهذا هو السبب فى محاولة نسبة هذا الهرم اليه ، وحاول العالم الأثرى الأمريكى ج. أ. ريزنر (G. A. Reisner) - الذى قام بعمل أبحاث وحفائر واسعة النطاق فى منطقة هذين الهرمين بعد بضع سنوات من اكتشافها أولا بمعرفة الكسندر بارسانتى (Alexandre Barsanti) - أن ينسب الهرم ذا الطبقات الى الأسرة الثانية ، فإذا صحت نظريته هذه فانه يترتب عليها أن زوسر لم يكن أول ملك بنى قبره كله من الحجر ، ولكن الدليل الذى يقوم على الطراز نقذ لا يمكن أن نعتبره دليلا قاطعا .

وبنى الهرم التالى فى دهشور ، ومع أنه صمم على أنه هرم كامل لا أنه لم يتم على هذا الشكل ، وغيروا فجأة زاوية الميل عند نقطته تعلو قليلا عن منتصفه « الشكلان ١٠ و ١١ » ولذلك سمي بأسماء مختلفة ، منها الهرم المنحنى (Bent) والهرم الكذاب (False) والهرم المتبجح (Rhomboidal) والهرم الكليل (Blunted) وزاوية الميل فى جزئه الأسفل ١٤ ٥٤ ° ، ولكن بعد الوصول الى نقطة معينة تتغير الزاوية فتصبح ٥٩ ٤٢ ° ، وتستمر كذلك الى القمة ، فإذا لم يكن تغيير الزاوية شيئا مقصودا منذ البداية ، فان التفسير الوحيد لهذا التغيير هو الذى فكر فيه لأول مرة السير جاردنر وليكنسن (Sir J. Gardner Wilkenson) منذ أكثر من قرن ، وهو أنهم أرادوا أن ينتهوا من تشييد الهرم على وجه السرعة ، ولهذا أنقصوا ارتفاعه ، وأيد ج. برنج (G. Perring) هذه النظرية عندما فحص البناء العلوى فى سنة ١٨٢٧ ولاحظ أن أحجار الجزء الأعلى منه بنيت بعناية تقل عما تحتها .

وقد بنى الهرم المنحنى على مساحة مربعة من الأرض ، طول ضلعها من أسفل ٦٢٠ قدما تقريبا وارتفاعه العمودى عند اتمامه كان حوالى ٣٢٠ قدما ، وتواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية تقريبا . ولكن سير فلندرز بترى (Sir Flinders Petrie) حين قام بعمل مقاساته فى سنة ١٨٨٧ وجد أن الخطأ فى مطابقته للشمال والجنوب الحقيقيين أكبر من الخطأ فى الهرم الأكبر أو هرم خفرع بالجيزة . وكسوته الخارجية تعد من خير ما وصل الينا بين الأهرام القائمة حتى الآن ، إذ لم يبق هرم من الأهرام الأخرى محتفظا بكثير من كسوته الخارجية المطلوبة من حجر طره الجبرى . وربما كان السبب فى وجود هذا

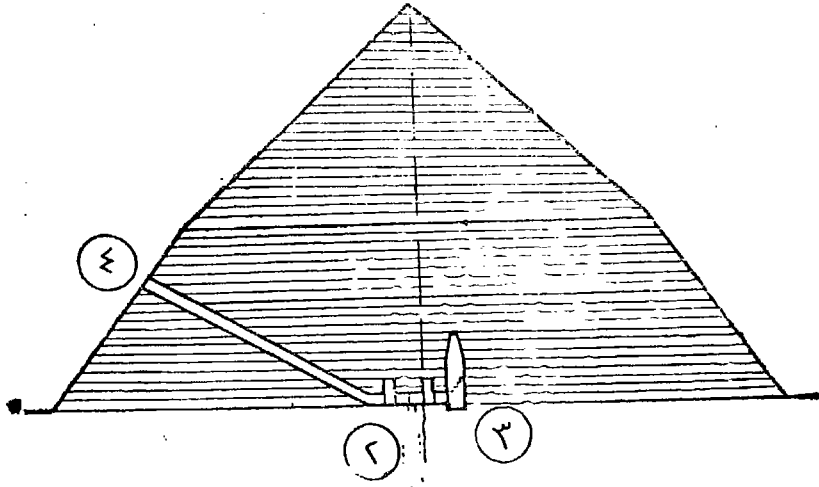
الكساء راجعا الى دقة العمل في تشييد هذا الكساء ، فلم توضع
 احجاره افقية ولكنها كانت - مثل كساء الهرم المدرج - تميل الى
 الداخل ، وبذلك تزيد من متانة البناء .

وهذه الطريقة - طريقة وضع كتل حجرية مستطيلة - كان
 لها فضل تقليل المجهود الذي كانوا يبذلونه في تهذيب سطوح الاحجار



شكل (١٠) الهرم المنحني . قطاع في اتجاه الناحية الشرقية

لتكون زاويتها مثل زاوية ميل الهرم . والهرم المنحني فريد في ترتيبه
 الداخلي بين الأهرام ، اذ له مدخلان مختلفان (الشكلان ١٠ و ١١ -
 ١٠ و ١١) .



شكل (١١) الهرم المنحني . قطاع في اتجاه الناحية الشمالية

ويفضى المدخل الذي في وسط الواجهة الشمالية تقريبا الى ممر ضيق ذي سقف منخفض ، ينحدر انحدارا كبيرا أولا في بناء الهرم نفسه ثم في الأرض الصخرية (شكل ١٠ - ١) ، وعلى مسافة تبلغ ٢٥٧ قدما من المدخل يصبح هذا الممر أفقيا لمسافة قدمين وثماني بوصات ، ثم يرتفع سقف متداخل الى علو ٤١ قدما تقريبا ، ويكون بذلك دهليزا ضيقا عاليا . ونجد بعد ذلك الحجرة السفلى وهي تنقسم الى حجرتين ، وأبعادها ٢٠ قدما و ٦ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٦ قدما وبوستان من الشمال الى الجنوب ، وأرتفاعها نحو ٨٠ قدما (شكل ١٠ - ٢) . وأهم ما في هذه الحجرة سقفيها المتداخل الذي صنع بابرار الخمسة عشر مديكا العلوية بضع بوصات في كل من جدرانها الأربعة المبنية بالحجر الجيري ، فإذا وصلت الى أعلاها أصبح عرض السقف قدما واحداً . وفي الجدار الجنوبي لهذه الحجرة وفي مواجهة المدخل يوجد ممر طوله ١٠ أقدام يفضى الى قاعدة بئر أصم ارتفاعه العمودي ٤٢ قدما وست بوصات . ويعلو الممر الأول ممر آخر يبدأ في سقف الحجرة وينتهي في نقطة مرتفعة من البئر . وبنيت أرضية الحجرة الى ارتفاع بضعة أقدام بكل صغيرة من الحجر نزع بعضها فيما بعد وكوم في الدهليز .

وهناك ممر ثان يبدأ عند نقطة قريبة من وسط الواجهة الغربية للهرم يفضى الى الحجرة العلوية (شكل ١١ - ٤) وهذه هي الحالة الوحيدة المعروفة في الدولة القديمة لمثل هذا الممر الذي يسير في ناحية

أخرى غير ناحية الشمال ، وبعد أن ينحدر في بنيان الهرم الى مسافة ٢٢٢ قدما يصل الى مستوى الأرض ويستمر أفقيا مسافة ٦٦ قدما حتى يبلغ الحجرة (شكل ١٠ و ١١ - ٣) . ولم تبين هذه الحجرة فوق الحجرة الأخرى المتصلة بالمر الشمالى ، ولكنها تقع الى الجنوب الشرقى منها ولها سقف متداخل ، وبنيت أرضيتها مثل أرضية الحجرة السفلى الى علو بضعة أقدام بمداميك من كتل الأحجار الصغيرة .

ولا يمكن الدخول الى الحجرة العلوية عن طريق المر الغربى الذى ظل منذ استخدامه عند الدفن مقفلا بكتل من الأحجار ، بينما سد مدخله بكساء الهرم الخارجى (١) . والطريق الوحيد للوصول اليها خلال مر منحوت بغير انتظام يبدأ من ثقب في الجانب الجنوبى من سقف الحجرة السفلية ، وينتهى عند نقطة في الجزء الأبقى من المر العلوى ، وعلى ذلك فمن الصعب الوصول اليها الا بالاستعانة بسلم طويل لا يمكن اقامته الآن (٢) . ويصف برنج (Perring) الذى تمكن من الصعود بصعوبة ، السقاطتين الحجريتين اللتين رأهما في المر العلوى ، وضعت كل منهما على جانبى المر الواصل من الحجرة السفلية (٣) . ولم تصنع هاتان السداداتان بالطريقة المعتادة لكى تنزلا عموديا ، ولكن صممتا لكى تنزلتا أفقيا من فجوات في الحوائط الجانبية . ولكن السقاطة الخارجية من بين الاثنتين هى التى أسقطوها ، أما السقاطة القريبة من الحجرة فما زالت باقية في فجوتها . ومنذ أن أغلقت السقاطة جيس عليها من كلا جانبيها الداخلى والخارجى . وانتهى برنج (Perring) الى نتيجة منطقية جدا ، وهى أن السدادة لا بد وأنها أغلقت وقت أن كان المر الموصل الى الحجرة السفلية مفتوحا ، والا سجن العمال الذين وضعوا الجبس داخل الهرم ، وكانت ملاحظات برنج صحيحة ، ويظهر أن بناء المر الموصل بين الحجرتين يرجع تاريخه على الأقل الى وقت الدفن ، ولم يكن من صنع اللصوص المحدثين كما يظن لأول وهلة لعدم انتظامه ورداء صنعه . ولم يكن هو المثل الأول لمثل هذه الممرات التى نقتبت في سرعة في بناء الهرم ، ففى الهرم الأكبر نجد له شبيها سنقوم بوصفه في الفصل القادم . وباستثناء بعض حبال ومقاطف قديمة من تاريخ غير معروف قال برنج أنه وجدها في أحد الممرات ، فإنه لم يعثر على أشياء أو أثاث جنازى داخل الهرم المنحنى،

(١) قام الدكتور أحمد فخرى بفتح هذا المر فى سنة ١٦٥٢ - (العرب) .

(٢) أمكن عمل هذا السلم فى أيام المرحوم عبد السلام حسين من رجال مصلحة

الأثار سنة ١٦٤٩ - (العرب) .

(٣) Vyse and Perring, The Pyramids of Gizeh, Vol. III, p. 67. (٢)

وليس من السهل أن نحدد في أى الحجرتين وضع التابوت . وقد حاول البعض أن ينسب هذا الهرم إلى حوني (Huni) آخر ملوك الأسرة الثالثة الذى حكم أربعاً وعشرين سنة كما جاء فى بعض المصادر المتأخرة (١) ، فإذا صحت هذه النسبة فتصبح الأسقف المتداخلة فى حجراته أقدم الأمثلة الحجرية لهذا النوع من التسقيف ، علماً بأن هذه الطريقة فى البناء كانت مستخدمة فى البناء بالطوب فى مصاطب الأسرة الثانية .

ولم يبق فوق الأرض الا آثار نادرة من المباني كانت يوماً تكمل المجموعة الهرمية للهرم المنحنى ، ولن نعرف الا القليل من التفاصيل الهندسية حتى يتم كشف هذه المجموعة (٢) ، الا أن بعضاً من معالمها الأساسية عرفناه منذ عهد قريب من أبحاث جوستاف جيكييه Gustave Jequier عالم الآثار السويسرى الذى قام بفحص المنطقة على حساب مصلحة الآثار .

وعلى مسافة نحو ٦٠ ياردة من الجهة الجنوبية من هذا الهرم يوجد هرم ثان أصغر منه حجماً تغطى الرمال الآن جزءاً كبيراً من مبناه العلوى المهدم ، ولهذا فليس من السهل أن نقطع إذا كان هرمًا حقيقياً . ويحتوى هذا الهرم فى داخله على مهر منحدر ، ثم طرقة أفقية تنتهى بسقطة ، وطرقة أخرى صاعدة تفضى من جهة الغرب الى حجرة صغيرة ذات سقف متداخل . وهناك عدد من هذه الأهرام الإضافية نراه داخل السور الكبير الذى يحيط بالهرم . وكان رأى السائد أنها بنيت للملكات ، وربما استعمل بعضها حقيقة لأجل هذا الغرض ، ولكن البعض الآخر لم يستعمل كمقابر أبداً .

ويتكون السور الكبير المستطيل الذى يدور حول الهرم من جدارين يبعدان عن بعضهما بضع أقدام (٣) . ومن المحتمل أنه كان بين الجدار الداخلى للسور والواجهة الشرقية للهرم معبد جنازى صغير ، ولكن لا يظهر منه أى أثر (٤) . وعند الركن الشرقى للجدار الخارجى الشمالى يبدأ الطريق الجنازى الذى ينحنى انحناءً واسعة عند اتصاله

(١) ثبتت الآن نسبة هذا الهرم للملك سنفرو - (المحرر) .

(٢) قام الدكتور أحمد فخرى بالكشف عن هذه المجموعة فى الفترة من ١٩٥١ - ١٩٥٥ .
المغرب) .

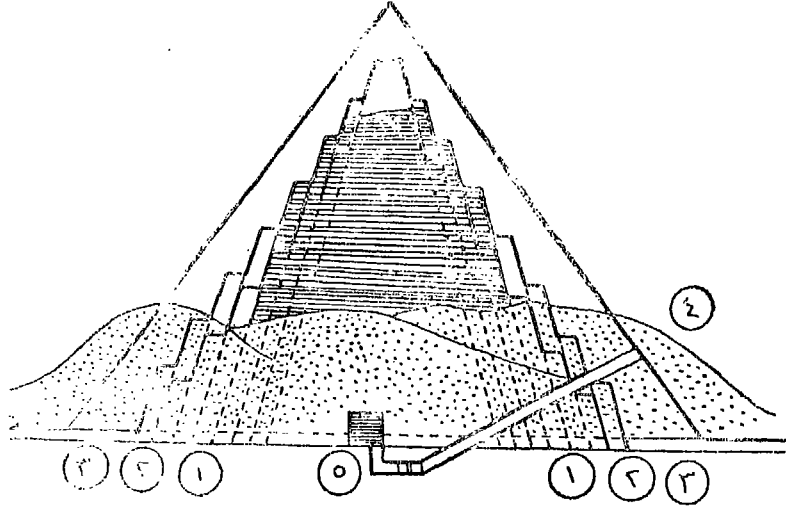
(٣) حقق الدكتور أحمد فخرى هذه النقطة فوجد أن السطور عبارة عن جدار واحد فقط . (المغرب) .

(٤) كشف الدكتور أحمد فخرى عن هذا المعبد فى عام ١٩٥١ - (المغرب) .

بالسور من جهة الشرق نحو الوادى . ويبدأ أعلى الطريق الجنازى بممر حدد جانباها بجدارين من الحجر ، وهو يصل السور بمبنى أقيم على حافة الوادى لم يكتشف شيء منه حتى الآن (١) .

وإذا صح تاريخ الهرم المنحنى فإنه يصبح أقدم مثل لما أصبح بعد ذلك ، المثل الذى احتذاه الجميع فى بنائهم للمجموعات الهرمية . ففى تلك المجموعات كان الهرم المقام على أرض مرتفعة داخل سور . والمعبد الجنازى ، والطريق الجنازى المنحدر ، والمبنى المقام على الحدود الغربية للأراضى المنزرعة - والذى يطلق عليه عادة التسمية الخاطئة الى حد ما : « معبد الوادى » أو « البوابة » - كانت كلها تكون العناصر الأساسية للمجموعة الهرمية . وكانوا يحفرون قناة من النهر الى معبد الوادى ، لكي تمكن المراكب القادمة لأغراض جنازية من الوصول الى المجموعة الهرمية بدلا من عمل رحلة طويلة فى البر .

وآخر الأهرام السابقة للهرم الكامل بنى فى ميدوم Meidum وهى الى الجنوب من دهشور بمسافة ثمانية وعشرين ميلا تقريبا . وقد أصاب الكثير من الضرر ببناءه العلوى الذى ما زالت الرمال تغطى نحو ثلث ارتفاعه لدرجة تجعله أشبه ببرج مستطيل مرتفع أكثر مما يشبه الهرم (لوحة ١٦) ، ولم يكن هذا الشكل عرضيا بالرة ولكنه يرجع جزئيا الى طريقة بنائه اذ أصبحنا نعرف معاله الأساسية بفضل حفائر السير فلنדרز بترى Sir Flinders Petrie فى سنة ١٨٩١



شكل (١٢) : هرم ميدوم . قطاع فى اتجاه الناحية الغربية

(١) اكتشف هذا المعبد الدكتور أحمد فخري سنة ١٩٥٢ م - (العرب) .

وما تلاها من تحقيقات علمية قام بها في أوقات مختلفة ج. ١٠ وينريت
G. A. Wainwright ولديفيج بورخارت Ludwig Borchardt
والن رو Alan Rowe أضافت كثيراً من المعلومات الهامة الى
اكتشافات بنرى .

وقد مر على هرم ميدوم كثير من التغييرات مثل هرم زوسر قبل
أن يبلغ شكله النهائي ، فلربما بدا كمصطبة أو كهرم مدرج صغير يختفى
بناؤد العلوى فى صلب البناء الحالى ، ولهذا لا يمكننا الآن أن نعرف
حقيقته على وجه التاكيد . وقد عثر أثناء الحفائر على بعض أحجار
رسم عليها عمال المحاجر صوراً تمثل أهراماً ذات درجتين أو ثلاثاً
أو أربعا . وربما كانت هذه الرسوم تمثل الزيادات المتعاقبة التى طرأت
على التصميم الأسمى .

وأول شكل تحقق اثباته هو أن البناء العلوى هرم ذو سبع درجات
(شكل ١٢ - ١) ، وقد توصلوا الى ذلك بزيادة ارتفاع المبنى الأقدم
وعمل البناء الذى يشبه البرج ، وبعد أن تم ذلك أصبح هذا البناء قلب
الهرم والدرجة العليا من الهرم نفسه ، وبنوا بعد ذلك ست كسوات
سميكة من البناء ، كانت كل منها تقل فى الارتفاع عن التى قبلها ابتداء
من الوسط ، وكانت تبنى كل منها فى الجهات الأربع ، وأصبح الجزء
العلوى من كل منها الجزء العلوى لكل من الدرجات الست الأخرى ،
وكانت كل من هذه الكسوات تميل الى الداخل بزاوية ٧٥° تقريباً ،
وبنيت كلها بأحجار محلية ثم غطيت من أعلى الى أسفل بأحجار جيرية
من طره ، ولم تربط تلك الأحجار ببعضها البعض ولكنها اعتدت فى
التصاقها على زاوية الميل ، ولم يعنوا بتسوية سطح الأحجار اللهم
الا تلك الأجزاء من الكسوة التى تغطى الدرجات ، وتركوا الباقي على
خشونته .

وعندما تم بناء الهرم ذى السبع درجات أجريت إضافة كبيرة على
البناء العلوى ، فرفعت القمة نحو ٤٥ قدماً وزادت كل درجة نليها
الى مستوى أعلى من الدرجة التى فوقها فى التصميم السابق ، وأضيفت
درجة جديدة الى القاعدة (شكل ١٢ - ٢) ولم يستخدموا فى تلك
الزيادة الا احجاراً محلية غطيت بالحجر الجيرى من طره ، ولم يسوا
منه غير سطحه الظاهر .

والجزء الظاهر من البناء العلوى الآن عبارة عن أجزاء من
الدرجتين الثالثة والرابعة من الهرم ذى السبع درجات ، وجميع الدرجتين
الخامسة والسادسة من الهرم ذى الثمانى درجات وجزء بسيط من
الدرجة السابعة (شكل ١٢ - المظلل بخطوط) . ولو أن أحجار الكسوة

التي بنيت حول النواة قد ربطت مع بعضها لاتخذ البناء العلوى المتخرب بدون شك مظهرا مختلفا عما هو عليه ، ولأصبح من المستحيل عندما تعرض للهدم أن يتمكن من أخذوا أحجاره من تعرية جوانبه طبقة بعد أخرى ، بل لأصبح الهرم على الأرجح كومة من الأحجار لا شكل لها .

ولم يقدر لهذا الهرم أن يبقى كهرم مدرج ، بالرغم من أنهم قصدوا من تصميم كل من الهرم ذى السبع درجات والهرم ذى الثمانى درجات أن يكون تصميمها نهائيا .

ولأسباب لا يمكن توضيحها الآن ملئت الدرجات بالأحجار المحلية ، ثم غطى كل البناء بواجهة ناعمة من الحجر الجيري المطوب من طره ، وبهذه الطريقة تحول الأثر الى هرم هندسى كامل (شكل ١٢ - ٣) ولا تزال أجزاء أصلية من النصف الأسفل من الشكل النهائى سليمة ولكنها مغطاة الآن بكميات هائلة من الرمال .

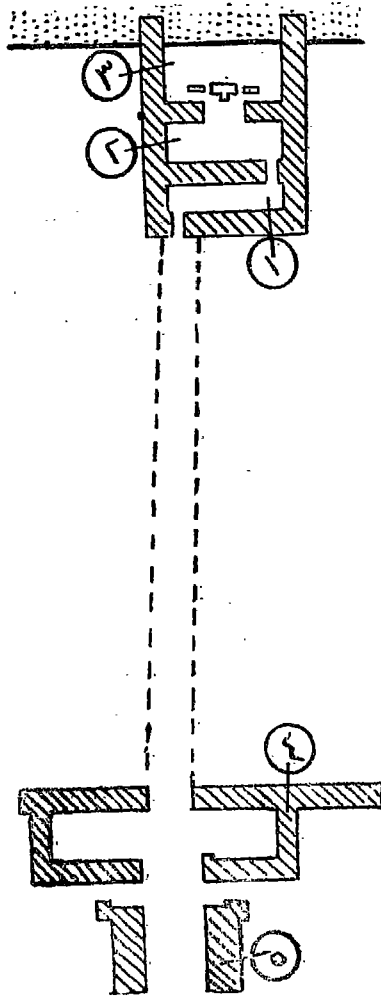
وكان مدخل الهرم فى جميع مراحل زيادته فى الواجهة الشمالية (شكل ١٢ - ٤) ، ويبدأ المدخل عند نقطة من آخر كسوة خارجية تقع قليلا فوق الدرجة السفلى من التصميم السابق للتصميم النهائى ، ويبدأ المدخل بمرر يتحدر الى أسفل بزاوية ٢٨° تقريبا أولا فى بناء الهرم ثم بعد ذلك فى أعماق الصخر . وعلى بعد ١٩٠ قدما تقريبا من المدخل ينقطع الانحدار ويستمر الممر أفقيا مسافة ٣١ قدما ، وبالقرب من قاع المنحدر توجد فى الأرضية حفرة لا يعلم الغرض منها . وربما كان هناك عند نهاية المنحدر باب خشبى ثبت اطاره (حلقه) داخل الخلوطة المحفورة فى الجدران وسقف وأرضية الممر . وجوفت دخلتان عرض كل منهما ٨٥ قدم تقريبا وعمقها ٤ أقدام فى جانبى الجزء المستوى من الممر ، الأولى فى الشرق والثانية فى الغرب . والسبب فى وجود هاتين الدخلتين أيضا غير واضح ، ولكن من المعقول أن يكون استخدامهما أثناء تشييد الهرم لتخزين بعض الكتل الجيرية التى تبلغ ضخامتها درجة يصعب معها إنزالها فى الممر بعد الدفن . ومساحة هاتين الدخلتين كافية للمساعدة فى تحريك الأحجار الكبيرة ، وقد أصبحت هذه المساحة فارغة الآن عندما نقلوها لوضعها فى أمكنتها فى البناء . وربما استعملت فعلا بعض كتل الحجر الجيري التى وجدت فى الدخلات لهذا الغرض .

ومثل هذه الطريقة فى سد الممرات الموصلة لحجرة الدفن لم تكن الا طريقة مبسطة لطريقة السقاطات الجانبية التى وجدت فى الممر الغربى فى الهرم المنحنى .

وفي نهاية المر نجد بئراً عمودية تتجه الى أعلى مخترقة أرضية حجرة الدفن في ركنها الشمالي الشرقي (شكل ١٢ - ٥) ، ونجد جزءاً من هذه الحجرة في الطبقة السفلية الصخرية والجزء الآخر في قلب البناء العلوى للهرم ومقاسها ١٩ر٥ قدما من الشمال الى الجنوب ، و ٨ر٥ قدم من الشرق الى الغرب ، وكلها من الحجر الجيري ، ويتركب سقفها من طبقات مركبة فوق بعضها على شكل سقف متداخل .
ورصفت الأرضية أيضا بكتل من الحجر الجيري نزع بعضها الآن من مكانه ، وفي جدارها الجنوبي ثقب أحدثه اللصوص وقت البحث عن الكنز الذي اعتقدوا أنه مخبأ هناك .

ونجد في كل من البئر والحجرة كتلا من الخشب التي ربما استعملت في أغراض البناء أو كانت لازمة لنقل المعدات الجنازية الثقيلة مثل التابوت الحجري . الا أن سير جاستون ماسبرو Sir Guston Maspero الذي دخله سنة ١٨٨١ كأول عالم أثري في العصر الحاضر لم يجد أثرا لهذا التابوت .

ونرى المبنى الملحقة بهذا الهرم تشبه مثيلاتها في مباني المجموعة الهرمية للهرم المنحني . فقد كان يحيط بالهرم أرضية عريضة من طبقة طينية رقيقة داخل سور من الحجر ، وهناك هرم اضاني بين ذلك الهرم السور والواجهة الجنوبية للهرم ، ولم يبق الآن من ذلك الهرم الا اقسامه الا بضعة أحجار فوق الجزء الذي يقع تحت الأرض منه . وكان السور يضم في الناحية الشمالية منه مصطبة ضخمة - وعذا أمر غير عادي في مثل هذا المكان - وقد اختفت عن آخرها . وفي وسط الواجهة الشرقية من الهرم ، معبد جنازي بنى كله من حجر طره الجيري ، وما زال قائما كاملا حتى الآن ، وهو بناء بسيط جداً ولا تزيد مساحته عن ٣٤ قدما مربعا ، وأقصى ارتفاعه ٩ أقدام ، ويقع مدخله في الركن الجنوبي من حائطه الأمامي ويفضي الى ممر يكون زاوية قائمة مع المدخل (شكل ١٣ - ١) . وهناك غرفة واحدة موازية للممر (شكل ١٣ - ٢) ثم فناء مكشوف أمام الهرم مباشرة ، ولم تزين جدران المر أو الحجرة بأى نوع من النقوش ، ولم يكن لكليهما أية فتحة يدخل منها الضوء سوى الباب . وفي وسط الفناء في مواجهة البناء المؤدى الى الحجرة يوجد مذبح منخفض أعد لوضع قرابين الطعام والشراب للملك المتوفى (شكل ١٣ - ٣) ، وترتفع لوحستان طويلتان كل منهما قطعة واحدة من الحجر الجيري ذات قمة مستديرة فوق تاعدتين مستطيلتين من الحجر نفسه ، وتقوم كل منهما على جانب



شكل ١٣ - المعبد الجنائزى لهرم ميدوم

من جانبى المذبح . ومع أنه لم تنقش أية كتابة على هاتين اللوحتين ، إلا أنه واضح من شكلهما أنها على شكل لوحيتين جنائزيتين ربما أعدنا لتكتب عليهما أسماء الملك وألقابه . واحدى الصيغ التقليدية التى تعده بأن يكون له ما يريد فى الحياة الأخرى ، ولا بد أن عدم وجود مثل هذه الكتابة وترك الأحجار المكونة للمدمك السفلى لجدران المعبد دون تسوية يجعلنا نميل الى الظن بأن هذا المعبد لم ينته العمل فيه . وهذا التفسير أيضا ربما ينطبق على عدم وجود الباب الوهمى الذى كان من المعتاد اقامته أمام الواجهة الشرقية للهرم ، لكى يسمح بخروج الملك من قبره ليتلقى نصيبه من القرابين الموضوعه فوق المذبح .

ولما كان من الطبيعى وضع الأحجار اللازمة لمثل هذا الباب داخل الفناء قبل أن تقام الجدران ، فيمكننا تقديم تفسير آخر أكثر احتمالا وهو أن ذلك الباب الوهمى كان من أحجار الجرانيت ، وهى أعلى قيمة من الحجر الجيرى . ولهذا أخذها من مكانها من اعتدوا على هذا المعبد دون أن يتركوا أثرا لها .

أما المسافة بين المعبد الجنازى والجدار الشرقى للسور (شكل ١٣ - ٤) فتبلغ ٨٠ قدماً ، وقد غطوها كلها بطبقة من الطين . وعند نقطة فى السور تكاد تكون مواجهة لمدخل المعبد ، نرى فتحة تؤدى الى الطريق الجنازى الذى يصل منطقة الهرم بمبنى يقع عند حافة الوادى كما هو الحال فى مجموعة الهرم المنحنى . والشئ الوحيد الباقى الآن من الطريق الجنازى انخفاض غير عميق مازال واضحاً ، وقد أثبتت الحفائر أن طوله عند تشييده كان ٢٣٥ ياردة ، أما أرضيته فكانت مرصوفة بالطين الذى وضعوه فوق طبقة عرضها ١٠ أقدام قادت فى الأرض الصخرية ، ويحفها من كلا الجانبين جدار من الحجر ارتفاعه سبعة أقدام ، ينقص سمكه من خمسة أقدام عند القاعدة الى أربعة أقدام عند القمة (شكل ١٣ - ٥) . وكانت الفتحة الوحيدة فى هذين الجدارين قريبة من نهاية الطريق عند نهايته العليا ، حيث نرى بابين يؤديان الى الطريق الجنازى من الجانبين . وعند ملتقى الطريق الصاعد بالسور الخارجى للهرم ، نرى دخلتين عميقتين ربما كان فى كل منهما تمثال للملك : الجنوبى منها يمثل ملكا للوجه القبلى ، والشمالى منها يمثل ملكا على الوجه البحرى ، ولكنه من المحتمل أيضا أن يكونا لأجل القيام ببعض الطقوس أثناء الاحتفال الجنازى . وعند نهاية الطريق الجنازى وعلى مقربة من المكان الذى يتصل فيه بمبنى الوادى ، كان يوجد باب ذو ضلعتين كان عقباه يدوران فى حفرتين فى الأرض

الصخرية تحت الأرضية المرصوفة بالطين . ومن الصعب أن نفسر سبب وجود باب في مثل هذا المكان ، ولكن يمكن التكهن بأن المقصود منه منع أولئك الذين لم تكن وظائفهم تسمح لهم بأن يتجاوزوا مبنى الوادى .

وقد أثبتت الحفائر التى قام بها الأثريون حتى الآن فى مبنى الوادى أنها غير مجدية ، نظراً لطبيعة الأرض الرخوة بسبب ارتفاع مستوى مياه النيل عما كانت فى الأيام التى بنيت فيها هذه المجموعة ، وتوحى بساطلة المعبد الجنازى ومقاييسه أن مبنى الوادى كان بسيطاً أيضاً . ولم يعثر فى ميدوم على كتابات معاصرة تعطى اسم بانى هذا الهرم . ولكن يوجد عدد من الكتابات فى مهر وحجرة المعبد الجنازى كتبها الزائرون دون عناية على جدران ذلك المعبد فى الأسرة الثامنة عشرة ، ونفهم منها أنهم كانوا يعتبرون الهرم فى ذلك الوقت من عمل سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة ، وها هى ترجمة إحدى الكتابات : « فى اليوم الثانى عشر من الشهر الرابع من شهر الصيف فى السنة الواحدة والأربعين من حكم تحوتيس الثالث أتى الكاتب . عاخبر رع سنن بن آمون مسو (Amen Mesu) الكاتب وكاهن الملك المتوفى تحوتيس الأول] ليرى المعبد الجميل للملك سنفرو ، فوجده كما لو أن السماء كانت مستقرة فيه والشمس تشرق فيه ، فقال : ليت السماء تمطر مرأ طازجاً ، وليتها تسقط بخوراً على سقف معبد الملك سنفرو » . وذكرت إحدى الكتابات الأخرى فى المعبد ، ويرجع تاريخها الى الأسرة السادسة ، اسم سنفرو ولكنها لم تقرر صراحة أن المعبد خاص به . وتكفى الكتابات التى على الجدران وحدها لتكون دليلاً كافياً على نسبة هرم ميدوم الى سنفرو اذا لم يكن له هرم آخر منسوب اليه(*) ، ولكننا نعلم أنه يوجد هرم فى دهشور وعلى مقربة منه مصاطب اكتشفها ج. دى مورجان J. De Morgan فى عام ١٨٩٤ - ٩٥ ، وهذه المصاطب ليست خاصة بأفراد عائلة سنفرو وموظفيه ، بل بينها مصاطب لكهنة كانوا يقومون بعملهم فى معبده الجنازى ، ومثل هذه المصاطب توجد عادة قريبة من قبر الملك الذى ينتمون اليه أو يعملون فى خدمته .

ولهذا يتحتم علينا أن نعتبر ذلك الهرم قبراً للملك سنفرو ، ولحسن الحظ أن المسألة أسهل مما تبدو ، لأن نقوشاً من عصر الدولة القديمة تثبت أن سنفرو بنى فعلاً هرمين سمي أحدهما الهرم الجنوبي ، وبين هذه النقوش مرسوم صدر من الملك بيبي الأول من الأسرة السادسة

(*) ثبتت الآن نسبة هرم ميدوم الى حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة . ويبدو أنه قد توفى قبل أن يكتمل ، فأكمله له خليفته - (الحرر) .

يعنى سكان مدينتى هرمى سنفرو من التزامات معينة . وقد تمكن « بورخارت » من تعيين المكان الذى عثر فيه على ذلك المرسوم بأنه كان قريبا من هرم دهشور ، وهذا دليل واضح على أن دهشور كانت احدى مدينتى هرم سنفرو ، وربما عرفنا معلومات أوفى عند الكشف عن المجموعة الهرمية . وبالرغم من أننا لا نملك اثباتا على أن هرم ميدوم هو الهرم الجنوبى ، الا أن موقعه الجغرافى بالنسبة لدهشور ووجود الكتابات على جدرانه يرجحان ذلك رجحانا كبيرا .

ولم يكن سنفرو الملك الوحيد الذى بنى لنفسه أكثر من قبر واحد ، فمن المحتمل أن عحا - ثانى ملوك الأسرة الأولى - بنى لنفسه مصطبة فى سقارة وأخرى فى أبيدوس ، كما أننا متأكدون من أن زوسر بنى كلا من الهرم المدرج ومصطبة فى سقارة ، وربما بنى أيضا مصطبة أخرى فى بيت خلاف . وبنى سنوسرت الثالث وأمنمحات الثالث هرمين فى دهشور وقبرين فى مكانين آخرين ، الا أنه من الواضح أن مقبرة واحدة فقط يمكن أن تكون مكانا للدفن ، بينما يتحتم علينا أن نفرض أن المقبرة الأخرى كانت مقبرة مؤقتة رمزية ، ولكننا لا نعرف على وجه التحقيق الغرض منها . وانقسمت الآراء بالنسبة لمكان دفن سنفرو . فيرجح « بترى » أنه دفن فى هرم ميدوم ، بانيا وجهة نظره على أساس اكتشاف بعض قطع من التابوت الخشبى داخل الهرم تشبه فى أسلوبها التوابيت التى كانت تصنع فى عصره .

ومن جهة أخرى رجح « بورخارت » هرم دهشور ، موضحا أن مقابر كهنة سنفرو عثر عليها فى دهشور ولم توجد واحدة منها فى ميدوم . وعلاوة على ذلك فليس المعبد الجنازى هو الشيء الوحيد فى ميدوم الذى ترك دون اتمام ، بل نرى هناك أيضا عددا كبيرا من المصاطب المحيطة به لم يتم بناؤها ولم تستعمل للدفن مطلقا . ويعتقد بورخارت أن وجود المباني غير كاملة يرجح العدول عن دفن الملك فى الخطة الأصلية ، بأن هرم ميدوم ودفنه فى دهشور . أما « الن رو » فأراد أن يوفق بين اكتشاف « بترى » لقطع التابوت الخشبى فى ميدوم وبين حجة « بورخارت » الدامغة عن هرم دهشور ، فتقدم برأى يقول بأن هرم دهشور لم يكن قد تم عند موت سنفرو ، ولذلك وضعوا جسده فى هرم ميدوم مؤقتا ، ثم نقلوه بعد ذلك الى دهشور عندما تم بناء الهرم . ولكن هذا الموضوع ليس من المواضيع التى يمكن الاجابة عنها نهائية اذا لم يتيسر لدينا من الأدلة غير ما نعرفه حتى الآن .

ويقع هرم سنفرو في دهشور على مسافة قليلة الى شمال الهرم المنحني ، وهو أقدم قبر معروف صمم ونفذ ليكون هرمًا كاملاً (١) . وأبرز معالمه المميزة لمظهره الخارجى زاوية ميله القليلة ، فبدلاً من أن تكون زاوية الميل ٥٢° تقريباً حسب المعتاد نرى زاوية الميل ٤٣° و ١٦ تقريباً ، أى أنها تقرب جداً من الجزء الأعلى من الهرم المنحني . وفي الواجهة الشمالية على ارتفاع بضعة أقدام من سطح الأرض نرى الفتحة التى تؤدى الى الممر المنحدر حيث توجد ثلاث حجرات (٢) ، واحدة بعد الأخرى ، تقع ثنائيتها تحت قمة الهرم مباشرة ، والحجرتان الأولى والثانية في حجم وشكل واحد تقريباً ، وطول كل منهما ١٣ قدماً من الشمال الى الجنوب ، و ١٢ قدماً تقريباً من الشرق الى الغرب . وكلتا الحجرتين على الأرض الصخرية ولهما سقفان مرتفعان على طريقة السقوف المتداخلة ، وتصل الى الحجرة الثالثة عن طريق ممر قصير يبدأ في الجدار الجنوبي من الحجرة الوسطى على ارتفاع ٢٥ قدماً تقريباً من الأرضية ، وهى أرحب الحجرات الثلاث وتبلغ ١٣٥ قدماً من الشمال الى الجنوب ، و ٣١ قدماً من الشرق الى الغرب ، ويرتفع سقفها المتداخل الى علو ٥٠ قدماً .

وإذا شربنا صفحا عن عدد وحجم حجراته ، فان هرم دهشور لا يكاد يحتوى على تقدم فنى عن هرم ميدوم . فتصميمه منذ البداية ليكون هرمًا كاملاً يحمل على الظن بأن بنائيه قد أفادوا من التجارب التى اكتسبوها من هرم ميدوم ، الذى لم يصل الى شكله الأخير الا بعد عدة تغييرات . وفي كل من الهرمين نجد كتابات على بعض أحجار الكساء الحجرى مؤرخة في نفس السنة من حكم ملك غير مذكور . ويترتب على فلك أنه اذا انتمى هذان الهرمان الى ملك واحد فلا بد أن العمل في بنائهما كان جارياً في وقت واحد لفترة من الفترات . ولسنا نعرف الموضع المضبوط الذى كانت فيه أحجار الكساء الملقاة الآن على الأرض قرب هرم ميدوم ، وفي أى جزء منه كانت قبل هدمها ، ولكن ما دام الجزء الأسفل من الكساء ما زال سليماً فيمكننا القول بأنها من الجزء

(١) ربما كانت الأهرام الصغيرة الاضافية التابعة للهرم المنحني وهرم ميدوم أهراماً كاملة ، ولكن ينقصنا الدليل على أنها شيدت لتكون مقابر للدفن .

(٢) نظراً لكمية الرمل والرديم الهائلة التى تتراكم فى أسفل الممر المنحدر ، لا يمكن الوصول الى الحجرتين الأولىين الا بصعوبة . أما الثالثة فربما كانت حجرة الدفن ، ولا يمكن دخولها الا بسلم لا يمكن وضعه الا بعد تنظيف الممر . وقد وصل « برنج » الى هذه الحجرة ، ولذا فان الوصف المذكور هنا مأخوذ من تقريره .

العلوى منه . أما في هرم دهشور فالأحجار المذكورة موجودة في الداميك السفلية من الكساء . ولهذا يصبح من المعقول أنهم عندما وضعوا تلك الأحجار في أماكنها كان العمل في هرم ميدوم قد قطع شوطا بعيداً أكثر من العمل في دهشور .

وبدون أن نبحث الآن عن الدوافع التي حملت سنفرو على بناء أكثر من هرم واحد ، فمن الميسور أن نتكهن بالحوادث التي أدت الى ذلك التطور . فمن المحتمل أن حوني (Huni) ترك تصميم الهرم المدرج في سبيل تصميم آخر يختلف فقط في نقطة واحدة عن الهرم الكامل ، ولكن سنفرو الذي خلفه في الحكم عاد الى تصميم الهرم المدرج عندما شيد مدفنه الأول في ميدوم . ولكنه قبل أن يتم بناء ذلك المدفن حسب التصميم الموضوع قرر أن يبني قبراً آخر في دهشور ، واضعاً تصميمه منذ البداية ليكون هرماً كاملاً . وبدلاً من أن يتشبه بخطته الأصلية وأن يصبح له هرمان من نوعين مختلفين ، قرر تحويل هرم ميدوم الى هرم كامل . ونحن اذا تساءلنا عن ضرورة كل هذه التغييرات في التصميم ، فإن الاجابة عن هذا التساؤل لا يمكن أن تكون على وجه التأكيد ، إذا اعتمدنا على ما لدينا من معلومات ضئيلة عن الحوادث السياسية والدينية لذلك العهد . وسنحاول في فصل ثامن أن نقدم بعض التفسيرات الفرضية لتوضيح بعض الحقائق المعمارية (1) .

(1) كتب إدواردز ، ما كتبه في هذا الفصل قبل أن يتقدم العمل في حفائر مصلحة الآثار في منطقة دهشور ، وقد تركنا تفسيراته كما هي دون تغيير لما تستويجيه الأمانة في الترجمة . ونحن نعرف الآن على وجه التحقيق أن هرمي سنفرو هما الهرمان الحجريان في دهشور ، وأن الهرم اللينحي هو هرم سنفرو القبلي . أما هرم ميدوم فيرجح الدكتور أحمد فخري - الذي قام بحفر المعابد وقصص أهرام دهشور - أن الملك حوني آخر ملوك الأسرة الثالثة هو الذي بدأ تشييده ، ولكن حوني مات قبل أن ينتهي العمل فيه فاتمه سنفرو . وما من شك أن كتاب الأسرة الثامنة عشرة الذين زاروا ميدوم قرأوا اسم سنفرو هناك فكان ذلك سبباً في تحدثهم عنه ، خصوصاً وأن ذكرى سنفرو كملك عادل رحيم بقيت عالقة في ذهن المصريين الى آخر أيامهم . أما الهرم الذي دُفن فيه سنفرو فالأرجح أنه الهرم الجنوبي ، وهو على بعد ميل واحد من الهرم الشمالي الذي ساعدت طبيعة الأرض على تشييده مصاطب أفراد عائلة سنفرو وكهنته على مقربة منه .

وأول محاولة قام بها المعماريون المصريون لبناء الهرم الكامل كانت في الهرم الجنوبي على أيام سنفرو ، ثم بدأوا في الوقت نفسه - وقبل الانتهاء من الهرم الجنوبي الذي غيرت زاوية ميله أثناء العمل - في بناء الهرم الشمالي . (المعرب) .

الفصل الرابع أهرام الجيزة

كان خوفو (أو كيوبس كما يسمى باليونانية) ابنا لسنفرو ، خلفه على عرش البلاد ومن المحتمل أنه نشأ متأثراً بعظمة مبانى والده فى ميدوم ودهشور ، فوقع اختياره على منطقة تقع على حافة الصحراء على بعد خمسة أميال غرب الجيزة ، وأقام فى ركنها الشمالى الغربى هرمًا حجمه أكبر من حجم هرم أبيه . وتبعه ملكان آخران من الأسرة الرابعة وهما خفرع (أو خفرن Chephren) ومنكاورع (أو ميكريمينوس Mycerinus) فبنيا هرميهما فى نفس المنطقة على مسافة قصيرة إلى الجنوب . وتكون هذه الأهرام الثلاثة مع بعضها أشهر مجموعة أثرية فى العالم (لوحة ١) .

وهرم خوفو ، أو الهرم الأكبر ، يمثل أعظم ما وصل إليه بناء الأهرام من حيث الحجم والصناعة . ولو أردنا حساب الحجم لوجدنا أن الأحجار التى استخدمت فى بناء هرمي سنفرو تساوى تقريباً تلك التى فى الهرم الأكبر ، ولكن بناء كل منهما على حدة يجعل كلا منهما أقل كثيراً من الهرم الأكبر . ولسنا نستطيع أن نحسب تماماً كمية الأحجار التى لزمنا لبناء الهرم الأكبر أو تقدرها تقديراً صحيحاً ، لأن قلب بنائه يحتوى على نواة صخرية لا يمكن تحديد حجمها بالضبط . ومع ذلك فقد قدر بعض الباحثين أنه عندما كان كنهلاً كان يحوى من الأحجار المحلية فى قلب بنائه ومن الأحجار الجيرية من طوره فى كسوته عدداً يبلغ ٢٣٠٠٠٠٠ كتلة حجرية تقريباً تزن كل منها ٢ طن فى المتوسط تقريباً ويصل وزن بعضها إلى ١٥ طناً (١) .

وحاول كثير ممن كتبوا عن الهرم الأكبر أن يعقدوا مقارنات بين حجمه وحجم بعض المباني الأخرى المشهورة ، فحسبوا مثلاً أن مبانى البرلمان البريطانى وكنيسة القديس بولس فى لندن يمكن وضعها جميعاً داخل مساحة قاعدته وتبقى منها مساحة كبيرة خالية . وفى حساب

Sciners Clarke and Re Engelbach- Ancient Egyptian Masonty (١)
Frontispiece.

آخر عن مساحة الهرم أنها تسع كاتدرائيات فلورنسا (Florence) (St Peter) وميلان والقديس بطرس (Milan) في روما ، كما تسع دير وستمنستر (Westminster) وكنيسة القديس بولس (St. Paul) (١) . كما حسبوا أيضا أنهم اذا قطعوا كمية أحجار الهرم الى مكعبات بحجم قدم مربع ووضعت هذه المكعبات في صف واحد فانها تمتد الى مسافة طولها ثلثا محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء . ونسب تقدير من هذا النوع الى نابليون أثناء حملته على مصر عندما نزل بعض قواده بعد تسليقهم قمة الهرم ، فقد رحب بهم نابليون — الذى لم يصعد بنفسه — وقال لهم انه يقدر أن أحجار أهرام الجيزة الثلاثة تكفى لبناء جدار ارتفاعه عشرة أقدام وعرضه قدم واحد حول فرنسا كلها . وقرر العالم الرياضى مونج (Monge) — ويقال انه أحد العلماء الذين صحبوا نابليون في حملته — أنه أمن على هذا الحساب (٢) .

ولم يحظ أثر في مصر بما حظى به الهرم الأكبر من رسوم ومقاييس وفحص ، وحتى قبل الوقت الذى بدأت فيه النظريات القائلة بأن لزواياه وأبعاده معانى خفية قام ادميه فرنسوا جومار (Edmé François Jomard) — أحد علماء حملة نابليون — والكولونل هوارد فيس (Colonel Howard Vyse) وج. س. برنج (J. S. Perring) عام ١٨٢٧ — ١٨٢٨ وغيرهم من أوائل علماء المصريات بقياس أبعاد هذا الأثر بدقة تامة كما يتطلبها البحث الحديث فى الحفائر العلمية . وأول دراسة شاملة لهذا الأثر قام بها السير فلندرز بترى (Flinders Petrie) الذى قضى جزءاً كبيراً من موسمين (٨٠ — ١٨٨٢) فى هذا العمل . وظلت نتائجه التى نشرها مسلماً بها فى هذا الموضوع حتى سنة ١٩٢٥ ، عندما حل محل بعض منها نتائج دراسة أحدث استخدم فيها ج. ه. كول (J. H. Cole) من مصلحة المساحة المصرية (٣) آلات مساحية دقيقة من أنواع حديثة

(١) E. Baldwin Smith, Egyptian Architecture as a Cultural Expression, p. 96.

(٢) J. Capart and Marcelle Werbrouck, Memphis) l'ombre de pyramides

(٣) Survey of Egypt, paper No. 39 « The determination of the exact size and orientation of the Great Pyramid at Giza »

تحديد الحجم والاتجاه المضبوطين لهرم الجيزة الأكبر ، وقد أعطيت الأبعاد فى هذا التقرير بالأمتار وأجزاء المتر وحولت عنها الى أقدام وأجزاء القدم من أجل توحيد المقادير .

أثبتت أن الأبعاد الأصلية للجوانب الأربعة عند القاعدة كالآتي : الشمالى ٧٥٥ر٤٣ قدما ، والجنوبى ٧٥٦ر٠٨ قدما ، والشرقى ٧٥٥ر٨٨ قدما ، والغربى ٧٥٥ر٧٧ قدما . وفى الوقت الذى لا يتفق فيه جانبان فى الطول نجد أن الفرق بين أطولها وأقصرها لا يتعدى ٧ر٩ بوصة . واتجاه كل جانب من جوانب الهرم يكاد يكون مضبوطاً على خطوط الشمال والجنوب والشرق والغرب الحقيقية . وفيما يلي الخطأ الذى حقق فيها .

الجانب الشمالى ٢٨^٢ الى الجنوب من الغرب ، والجانب الجنوبى ٥٧^١ الى الجنوب من الغرب ، والجانب الشرقى ٣٠^٥ الى الغرب من الشمال ، والجانب الغربى ٣٠^٢ الى الغرب من الشمال ، وكذلك نرى الدقة فى الأركان الأربعة ، اذ تكون زوايا قائمة ومقاساتها المضبوطة كالآتى :

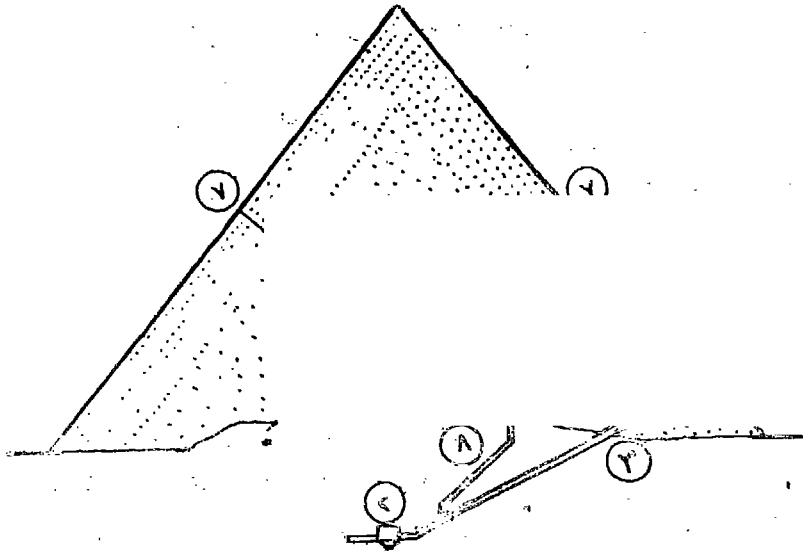
الشمالية الشرقية ٢٢^٣ ° ، الشمالية الغربية ٥٨^{٥٩} ° ، الجنوبية الشرقية ٢٧^{٥٦} ° ، الجنوبية الغربية ٣٣^{٩٠} ° .

وعندما كان الهرم كاملاً كان ارتفاعه ٨١ر٤ قدما ونقص الآن ٢١ قدما من قمته ، وتميل جوانبه الأربعة بزوايا مقدارها ٥٢^{٥١} تقريبا نحو الأرض ، وتغطى قاعدته مساحة قدرها ١٢ر١ فداناً .

وإذا نظرنا الى الهرم الأكبر من مسافة بعيدة خيل لنا أنه فى حالة من الحفظ تكاد تكون كاملة ، ولكن اذا فحصناه من مسافة قريبة نرى أنه قد عانى كثيراً من أيدي العابثين . فمن المحتمل أنه كان ينتهى بهريم من الجرانيت فى قمته ، وبائتى عشر مدمكاً من الجرانيت أيضاً . وقد زالت كلها من أعلاه ، ونزعت من جوانبه كل أحجار الكسوة الجيرية المجلوبة من طره باستثناء بعض الأحجار عند القاعدة . ونرى نحت المدخل الأصلى فى الواجهة الشمالية فتحة كبيرة قادت بدون عناية فى قلب البناء . وبناء على بعض الأخبار المتواترة من العصر الإسلامى فان تاريخ هذه الفتحة يرجع الى الجزء الأخير من القرن التاسع ، وأنها صنعت بأمر من الخليفة المأمون بن هارون الرشيد الذى ذاعت شهرته بما كتب عنه فى قصص ألف ليلة وليلة ، وذلك تحت تأثير الاعتقاد الخاطيء بأن الهرم يحوى كنزاً مخبوءاً ، فقد بقى الهرم حتى عهد المأمون سليم البناء بالرغم من نهب محتوياته ، وبعد ذلك العهد أصبح الهرم الأكبر محجراً ميسوراً لا ينضب معينه يمد

من يشاء بالأحجار اللازمة لبناء القناطر فوق الترع ولتشبيد المنازل والأسوار والمباني الأخرى القريبة من الجيزة والقاهرة .

وإذا صح فهنا لترتيب حجرات وممرات الهرم الأكبر ، فانها يجب ان تفسر على أساس تطور تشييد هذا الهرم . فاذا قارناه بهرم ميدوم ، نجد ان التغييرات التي حدثت في الهرم الأكبر أثناء بنائه كان أكثرها (ان لم يكن كلها) - تغييرات في الداخل ، فشكله من الخارج وأبعاده هي حسب التصميم الأصلي منذ الابتداء . ويقع المدخل في الواجهة الشمالية على ارتفاع نحو ٥٥ قدما فوق مستوى الأرض (شكل ١٤ - ١) ، ولا يقع بالضبط وسط الواجهة بل عند نقطة تبعد بمقدار ٢٤ قدما تقريبا من الوسط . ويفتح من المدخل ممر عرضه ٣ أقدام و ٥ بوصات وارتفاعه ٣ أقدام و ١١ بوصة تدريجيا بزوايا قدرها 23° $31'$ $26''$ يسير أولا في قلب بناء الهرم ثم يستمر بعد ذلك في الصخر . وعلى مسافة ٣٤٥ قدما تقريبا من المدخل الأصلي يصبح الممر مستويا ويستمر أفقيا لمسافة ٣٩ قدما قبل ان ينتهي الى حجرة (شكل ١٤ - ٢) . وعلى الجانب الغربي من الجزء المستوي في الممر بالقرب من مدخل الحجرة يوجد بروز لم يتم قطعه أبداً . ولم يكمل بناء الحجرة أيضا ، فأرضيتها غير المستوية وجدرانها التي لم يتم نحتها تجعلها أشبه بمحجر . وربما كانت الحفرة المربعة الفائرة في أرضيتها هي الخطوة الأولى في مشروع لم يتموه ، وهو تعميق هذه الحجرة . وبناء على رأى



شكل ١٤ - الهرم الأكبر . قطاع في اتجاه الناحية الغربية

غير (Vyse) وبرنج (Perring) اللذين قاما بقياس هذه الحجرة في سنة ١٨٢٨ فان أبعادها كالتى : الارتفاع ١١ قدما و ٦ بوصات ، ومن الشرق الى الغرب ٤٦ قدما ، ومن الشمال الى الجنوب ٢٧ قدما وبوصة واحدة . ولم يتم أحد بمراجعة هذه الأرقام منذ هذا التاريخ ، لأنهم في أثناء الحفائر المتعاقبة ملأوا الجزء الأكبر من هذه الحجرة حتى السقف تقريبا بكتل من الأحجار ، ما زالت في مكانها ولم يتم أحد حتى الآن بتنظيفها .

وفي الجدار الجنوبي لهذه الحجرة وفي مواجهة المدخل فتحة تؤدي الى ممر مقفل نقر دون عناية ولم يتموه ، وان وجود هذا الممر يجعلنا نظن أن التصميم الأصلي ربما كان يقضى بنحت حجرة أخرى بعد الأولى وتتصل بها بممر . ويشبه ذلك ما اتبعوه في هرم سنفرو بدهشور ، غير أن الفرق الأساسى هو أن الحجرة الثانية في الهرم الأخير تقع مباشرة تحت القمة ، وأن الأولى تقع الى شمالها ، بينما في الهرم الأكبر فان كلا الحجرتين تتعان في نقطة جنوب الخط الساقط عموديا من القمة .

ولا يخلو من الفائدة أن نقارن الحجرة الصخرية التى لم تتم بعد بالوصف القصير الواضح للجزء السفلى من الهرم الأكبر الذى كتبه هيروdotus (Herodotus) عندما زار مصر في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد . فقد قيل لهيروdotus ان تحت الهرم أقبية بنيت على شيء يشبه الجزيرة تحيطها مياه تاتى من النيل بواسطة قناة ، وأن القدماء وضعوا جسم خوفو فوق هذه الجزيرة ، ولكنه لم يوجد حتى الآن أى أثر للقناة أو للجزيرة ، والأرجح أنهما لم يوجدتا أبداً .

ومع أن هذا الهرم قد فتح بكل تأكيد وبغثرت محتوياته قبل أيام هيروdotus بوقت طويل ، فمن المحتمل أنه منذ ثمانية أثناء العصر الصاوى حينما رمم عدد كبير من الآثار القديمة . والقصة التى يحكيها هيروdotus والتى لم يقل بأنه تثبت من صحتها بمشاهداته الخاصة ، ربما كان مرجعها الى ما نسجه خيال أدلاء الهرم جيلا بعد جيل وتناقلوه على مر القرون .

وعندما جاء الوقت الذى تقرر فيه تغيير تصميم المشروع الأسمى واستبدال حجرة الدفن السفلية المنحوتة فى الصخر بأخرى ضمن بناء الهرم ، كانت المبانى العلوية للهرم قد وصلت الى ارتفاع بضعة أقدام ،

ولهذا عملوا ثقباً في بناء سقف المر المنحدر السابق عند نقطة تبعد حوالى ٦٠ قدماً من المدخل ، ثم نحتوا ممراً جديداً صاعداً الى أعلى في قلب البناء (شكل ١٤ - ٣) وملئت فوهة هذا الممر بعد الدفن بكتلة واحدة من الحجر الجيري ، فأصبحت لا تفترق في شيء عن باقى السقف في الطرف العلوى للممر المنحدر ، ولكنهم لم يحكموا تثبيت هذا الحجر لأنه وقع عندما قام رجال المأمون بنحت النفق الذى نحتوه بالقرب منه . وبناء على آراء بعض الكتاب المسلمين فان الصوت الذى أحدثه سقوط هذه الكتلة على أرضية الممر المنحدر مكن العمال من معرفة مكان ممرات الهرم ، اذ أدركوا أنهم كانوا يعملون بعيدين بمسافة كبيرة غربى الممر الحقيقى .

ويتفق الممر الصاعد الذى يبلغ طوله ١٢٩ قدماً تقريباً مع عرض وارتفاع الممر النازل ، ويطابق ميل زاويته وقدرها ٣٠° ٢' ٢٦" انحدار الممر النازل ولا يختلف عنه بأكثر من جزء من درجة .

وعند نهايته السفلى فوق الفتحة التى حدثت من انزلاق كتلة الحجر الجيرى مباشرة ، توجد ثلاث سقاطات كبيرة من الحجر الجرانيتى وضعت كل منها خلف الأخرى . وتملأ هذه السقاطات الممر الأسمى تماماً ، وقد تفادها رجال المأمون بأن قطعوا في الحجر الجيرى السهل ممراً في الجدار الغربى حتى وصلوا الى نقطة تبعد عن أعلى تلك السقاطات الثلاث . وعندما قام بورخارت Borchardt بدراسة جدران هذا الممر لاحظ أن الأحجار في الطرف السفلى قد وضعت موازية تقريباً للأرضية ، بينما كل الأحجار في الطرف العلوى كانت موازية لانحدار الممر ، فاستنتج من ذلك أن النقطة التى تغيرت عندها الزاوية هى أقصى ما وصل اليه ارتفاع بناء الهرم عندما أرادوا أن تكون حجرة الدفن في البناء العلوى للهرم . ولاحظ بورخارت أيضاً أن لحامات الأحجار عند الطرف السفلى غير منتظمة ، بينما نرى لحامات الأحجار عند الطرف العلوى محكمة تماماً ، مما أيد اعتقاده بأن الجزء السفلى من الممر قطع في قلب جزء كان قد تم بناؤه ، في حين أن الجزء العلوى بنى كالمعتاد مع باقى الهرم . وسميت الأحجار التى لم توضع في الجزء العلوى موازية للانحدار « بالأحجار الرابطة » ، وهذا التفسير يستعمل لوصف حجر واحد أو حجرتين موضوعين فوق بعضهما ينحت فيهما ممر . وهذه « الأحجار الرابطة » التى وضعت على مسافات منتظمة وتبعد عن بعضها ١٧ قدماً وبوصتين ربما تفسر لنا السر في التكوين الهندسى للهرم الأكبر الذى سنقوم بشرحه في فصل آخر .

وفى أثناء تشييد الممر الصاعد ربما كان قصد البنائين أن تحتل حجرة الدفن مكاناً في وسط الهرم في الجزء العلوى منه دون أن ترتفع كثيراً فوق مستوى الأرض . وقد بنوا تلك الحجرة مُعلا في نهايه ممر يبدأ من أعلى الممر الصاعد (شكل ١٤ - ٥) وسماها المصري « حجرة الملكة » ، وهى تسمية خاطئة ظلت حتى الآن . وتقع هذه الحجرة في الوسط تماماً بين جانبي الهرم الشمالى والجنوبى ، وأبعادها ١٨ قدماً و ١٠ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٧ قدماً وبوصتان من الشمال الى الجنوب ، ولها سقف مدبب يعلو الى ارتفاع ٢٠ قدماً و ٥ بوصات ، وفى جدارها الشرقى فجوة ذات جوانب متدأخلة يبلغ عمقها الأسمى ٣ أقدام و ٣ بوصات فقط ، ولكن جدارها الخلفى نزعها الباحثون عن الكنوز ، وارتفاعها ١٥ قدماً و ٤ بوصات ، وعرضها عن القاعدة ٥ أقدام وبوصتان .

وربما كان الغرض منها أن يوضع فيها تمثال ، ولكنه لم يوضع قط على الأرجح . وهناك أدلة عديدة على أن العمل فى حجرة الملكة أوقف قبل أن تتم ، فأرضيتها مثلاً خشنة للغاية ، فلو ان هذه الحجرة أكملت لبلطت بأحجار ملساء . ومرة ثانية نجد فى الجدارين الشمالى والجنوبى منها فتحات صغيرة مستطيلة يتفرع منها منافذ تمتد أفقياً لمسافة تبلغ نحو ٦ أقدام و ٦ بوصات ، ثم تنحرف الى أعلى بزاوية مقدارها ٣٠° تقريباً (شكل ١٤ - ٦) . وهذه الفتحات لم تنحت فى الوقت الذى بنيت فيه الحجرة ، وهذا يثبت أن العمل لم ينته فى هذه الحجرة ، وذلك ما ظننه فى سنة ١٨٧٢ مهندس يدعى وايمان ديكسون (Wayman Dixon) ، وقد جعله يبحث عنها وجود ما يماثلها فى حجرة الملك العليا . ولكن تلك الثقوب التى فى حجرة الملك تختلف عن تلك التى فى حجرة الملكة ، إذ ان الأخيرة لا تنفذ الى السطح الخارجى للهرم ، وهذه الحقيقة تمدنا ببرهان آخر على تغيير التصميم الأسمى . ويفسر لنا هذا الغرض أيضاً اختلاف السطوح فى أرضية الممر الذى يربط الممر الصاعد بالحجرة . ففى بدايته لا يزيد ارتفاع هذا الممر عن ٣ أقدام و ٩ بوصات ، ولكن بالقرب من الحجرة نجد انخفاضاً فى الأرضية يزيد من ارتفاعه الى ٥ أقدام و ٨ بوصات .

وأدى تغيير تصميم البناء وعدم الانتهاء من تشييد حجرة الملكة الى بناء عمليين من أشهر الأعمال الهندسية التى بقيت لنا من الدولة القديمة ، وهما الدهليز الكبير وحجرة الملك . وقد بنى الدهليز الكبير (شكل ١٤ - ٤) كاستمرار للممر الصاعد ، ويبلغ طوله ١٥٣ قدماً

وارتفاعه ٢٨ قدما . وترتفع جدرانه المبنية بالحجر الجيري المصقول راسيا الى ارتفاع ٧ أقدام و ٣ بوصات ، ثم تبتدىء المداميك الباقية — وعددها سبعة — يميل كل منها الى الداخل أكثر من المدمك الذى يرتكز عليه بمقدار ٣ بوصات ، فيكون من ذلك سقف متداخل ذو أبعاد أعظم من أى سقف آخر من هذا النوع ، والمسافة بين المداميك العلوية فى الجانبين عند السقف مقدارها ٣ أقدام و ٥ بوصات عرضا ، وسقفها مكون من أحجار وضع كل منها بزاوية تقل عن انحدار الدهليز . ويقول السير فلنדרز بتري معقبا على هذه الطريقة فى وضع الكتل ، بأنها عملت لكى تكون الحافة السفلية من كل حجر كسقطة التروس بحجزها من محفور فى أعلى الجدران حتى لا يضغط أى حجر على الحجر الذى يليه فيحدث ضغط كلى على السقف ، بل يستند كل حجر على انفراد على الجدران الجانبية الموضوع فوقها (١) ، وفى أسفل كل جدار يوجد افريز منحدر سطحه مستو وارتفاعه قدما و عرضه قدم و ٨ بوصات يمتد على طول الدهليز من أوله الى آخره . ويجرى ممر — أبعاده مثل أبعاد السقف وعرضه ٣ أقدام و ٥ بوصات — بين الافريزين المنحدرين . ويوجد الآن فى الطرف السفلى لهذا الممر ثغرة سببها ازالة الأحجار التى كانت تربط فى الأصل أرضية الممر بأرضية الممر الصاعد ، وكانت تغطى فى الوقت نفسه فتحة الممر الأفقى المؤدى الى حجرة الملكة . وفى هذه الثغرة نجد أن الحجر الذى فى أسفل المنحدر الغربى قد أزيل ، فكشف عن البئر التى تهبط تارة عمودية وتارة أخرى تميل أولا فى قلب بناء الهرم ثم فى الصخر حتى ينفذ فى الخدار الغربى للممر النازل (شكل ١٤ — ٨) . وستحدث عن الفرض منه وعن بعض الظواهر فى الدهليز الكبير بعد شرح حجرة الملك .

وتؤدى درجة سلم مرتفعة فى الطرف العلوى من الدهليز الكبير الى ممر ضيق منخفض يفضى الى حجرة الملك ، وبعد مساحة تبلغ ثلث طوله يرتفع هذا الممر ويتسع فيصبح شبيها بردهة بنيت جدرانها الجنوبية والشرقية والغربية من حجر الجرانيت ، ونحتت أربع دخلات عريضة فى كلا الجدارين الشرقى والغربى من هذه الغرفة ، ثلاث منها ممتدة من الأرضية وواحدة منها — الواقعة فى أقصى الشمال — تنتهى عند مستوى سقف الممر . وأعدت الشقوق الطويلة

W. M. Flinders Petrie, The Pyramids and Temples of Giza. (١)
p. 72.

ثلاث سقاطات لم يبق لها من أثر . وفي الدخلتين التصيرتين ما زالتا كتلتان من الجرانيت في أماكنهما في عرض الردهة ، أحدهما فوق الأخرى . وربما كانت هناك كتلة ثالثة تملأ المسافة الباقية بين الكتلة العلوية والسقف . ولولا وجود مثل هذا الحاجز لتمكن اللصوص من الصعود خلال الثغرة والمرور بدون عائق بين السقاطتين الأوليين .

وبنيت حجرة الملك كلها بالجرانيت ، وتبلغ أبعادها ٣٤ قدماً و ٤ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٧ قدماً وبوصتين من الشمال الى الجنوب ، وارتفاعها ١٩ قدماً وبوصة واحدة . ويوجد في الجدارين الشمالي والجنوبي - على ارتفاع نحو ٣ أقدام من الأرضية - فتحتان مستطيلتان لمنفدين ، يختلفان عن مثيليهما في حجرة الملكة بكونهما يخرقان بناء الهرم وينفذان الى سطحه الخارجى . ويميل الشمالي منهما بزاوية قدرها ٣١° والجنوبى بزاوية قدرها ٤٥° (شكل ١٤ - ٧) . ولا يعرف بالضبط الغرض من وجودهما ، وربما كان الغرض منها تهوية الحجرة أو لغرض دبنى مازال العلماء مختلفين في تحديده . ويقوم بالقرب من الجدار الغربى تابوت مستطيل من الجرانيت بدون غطاء ، كان يحوى يوماً ما جثة الملك في تابوت آخر من الخشب . وسطح التابوت خشن وكثير من علامات نشر الحجر عند قطعه ما زال واضحاً . واكتشف السير فلنדרز بترى أن عرض هذا التابوت يزيد بوصة عن عرض المر الصاعد عند فوهته ، واستنتج من ذلك أنه وضع في مكانه عندما كان العمل جارياً في الحجرة .

ولا يوجد لسقف حجرة الملك ما يماثله من الناحية المعمارية ، إذ يوجد فوق سقفها المسطح - الذى يتكون من تسع كتل تزن في مجموعها ٤٠٠ طن - خمس حجرات منفصلة ، سقف الأربع الأولى منها مسطح ، أما سقف الحجرة الخامسة فمديب . ويظهر أن الغرض من بنائها كان لتفادى خطر انهيار سقف الحجرة تحت ثقل المبانى فوقها . وسواء تطلبت طبيعة البناء اتخاذ مثل هذه الاحتياطات الشديدة أو كانت أمراً قابلاً للأخذ والرد ، فقد أثبتت الأيام ما يبرر بناءها ، فان كلا من الكتل الجرانيتية التسع التى يتكون منها سقف الحجرة ، وكثيراً من تلك التى فى الحجرات التى فوقها للتخفيف عنها قد تصدع على الأرجح بسبب زلزال ، الا أنها بقيت كلها فى أمكنتها ولم تسقط واحدة منها .

ويمكن الدخول الى الحجرة السفلى من الحجرات الاضافية عن طريق ممر يبدأ من فتحة فى أعلى الجدار الشرقى للدلهيز الكبير ، ونحن

لا نعرف الوقت الذى قطع فيه هذا المر ، ولا نعرف من قسام به .
ولكن أول من اثار اليه الرحالة الأوروبى دافيسون (Davison)
الذى زار الهرم فى عام ١٧٦٥ . ولم تكتشف الحجرات الأربع العلوية
حتى عام ١٨٢٧ - ٢٨ عندما فتح الكولونل هوارد فيس و . ج . س .
برنج طريقا اليها بتفريغ ممر يصعد اليها من أسفل . وقد بنيت بعض
جدران هذه الحجرات العلوية من الحجر الجيرى ، ولما كان المفروض
ألا يراها احد ، لم يهتموا بتسوية سطح جدرانها ، ولهذا فلا زالت
معظم الكتل تحتفظ بالعلامات التى خطت عليها بالمغرة الحمراء فى
المحجر . وعلى أحد هذه الأحجار ورد اسم خوفو مكتوبا للمرة الوحيدة
فى هذا الهرم .

ونظرا لانحدار المر الصاعد فى الهرم الأكبر الى أعلى فان عملية
سده بعد الانتهاء من الدفن كانت عملية شاقة غير عادية . فالممرات
فى الأهرام الأخرى اما منحدره الى أسفل أو مستوية تقريبا ، لذلك
استطاعوا بسهولة كبسها بأحجار السدادات التى كانت توضع خارج
الهرم حتى يحين وقت الحاجة اليها . وقد سدوا المر الهابط فى الهرم
الأكبر بهذه الطريقة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك فى المر الصاعد . ولم
تكن عملية رفع السقاقات الجرانيتية الثقيلة من الفتحة التى فى سقف
المر الهابط هى التى سببت كثيراً من الصعوبات الآلية فحسب ، بل
ان ادخال السقاقات بهذه الطريقة لا يؤدى الغرض منها ، لأنه لا يمكن
احكام وضعها فى أماكنها . ولم يبق اذن مجال للخيار سوى
تخزين السقاقات فى مكان ما داخل الهرم أثناء البناء ثم دفعها الى أسفل
المر الصاعد بعد وضع الجثة فى حجرة الدفن . والذى يثبت أنهم
لجأوا الى هذه الطريقة وجود السقاقات الثلاث التى مازالت فى مكانها
عند الطرف الأسفل للمر الصاعد ، وهى اعرض من الفتحة بنحو
بوصة واحدة ، وعلى ذلك فلا يمكن ادخالها فى المر الهابط . ومع
ذلك فتظهر أمامنا مشكلتان ، أولاهما : أين خزنت السقاقات قبل
انزالها الى داخل المر الصاعد ؟ والثانية : كيف أتت الرجال الذين
كان عليهم أن يدفنوا بهذه السقاقات من الخلف من الهرم بعد ان
انتهوا من عملهم ؟

والى أن اكتشف بترى أن المر الأفقى المؤدى الى حجرة الملكة
كان انقص ببوصة فى كل من العرض والارتفاع عن السقاقات ،
كان يظن أنها خزنت اما فى المر أو فى حجرة الملكة . ونستطيع
أن نجد العرض والارتفاع اللازمين فى الفجوة التى بين ثمة الممر

الصاعد وبين الطرف السفلى لممر الدهليز الكبير ، ولكن طبول الفجوة لا يكفي لتشوين السقاطات اذا وضعت طرفاً لطرف . وعلاوة على ذلك فهناك شيء من الشك في أنهم أقاموا على هذه الفجوة جسراً بكتل من الحجر في الوقت الذي وضعوا فيه هذه السقاطات في انتظار نقلها الى أمكتها .

وزيادة على ذلك فان الممر المؤدى الى حجرة الملك يجب استبعاده نظراً لنقص ارتفاعه ، وبالتالي حجرة الملك نفسها . ولذلك استنتج بترى أن السقاطات قد خزنت في ممر الدهليز الكبير حيث يتيسر كل ما تتطلبه من مساحة كافية . ولكن هذا التفسير — كما أدرك بترى نفسه — كان يقوم ضده أن وجود السقاطات مشونة في الممر يعوق موكب الدفن ، ويتحتم في مثل تلك الحالة اما أن يصعدوا بالجثة فوق السدادات أو تجر الى أعلى فوق الأفريزين الجانبيين . والواقع أن الاعتبارات المتعلقة بحجم السقاطات تحول دون وجود حل آخر .

ولكن بورخارت — مع اقتناعه برأى بترى في أن السقاطات قد خزنت في الدهليز الكبير — قد أشار الى أن بترى قد فشل في تفسير وجود ثمانية وعشرين ثقباً على مسافات منتظمة في السطح العلوى لكل من الأفريزين الجانبيين . وهناك ظاهرتان أخريان لم يفسرهما بترى ، ويظهر أن لهما صلة بموضوع الثقوب ، وهما أولاً كتل الأحجار الصغيرة التي حشرت في الحوائط الجانبية في مواجهة الثقوب وقد حفر بسطح كل منها شق ، وثانياً ذلك الشق الطويل المستمر الغائر في الجزء السفلى من ثالث درج بارز من قساع كل من الحائطين الجانبيين ، وهذا الشق الذي يبلغ عمقه حوالى بوصة يمتد بطول جانبي الدهليز .

وقد اقترح بورخارت — بعد أن فحص هذا الدليل جيداً — أن الثقوب والفتحات قد عملت لتوضع فيها قوائم خشبية تحمل أرضية مصنوعة أيضاً من الخشب يثبت جانباها في الشقين الطويلين ، وكان الغرض من هذه الأرضية هو تخزين السقاطات ليستطيع الموكب الجنائزى أن يصعد الممر الى أعلى بدون عائق ، ولكن طوله كان أكثر جداً مما يلزم لتخزين ثلاث سدادات فقط ، وربما كانت هناك فكرة أصلية عدلوا عنها فيما بعد وهى ملء الممر الصاعد كله بالسقاطات .

ومنذ اللحظة التي تم فيها وضع السدادة الأخيرة في الطرف العلوى للممر الصاعد ، أصبح العمال الذين كانوا مكلفين بعملية وضع السقاطات في أماكنها النهائية غير قادرين على ترك الهرم بالطريق

العدي ، ولذلك احتاطوا لذلك في عمل وسيلة الافلات بواسطة البئر التي تبدأ من النجوة عند الطرف العلوى من الممر الصاعد وتنتهى عند الممر لنازل (شكل ١٤ - ٨) . وليست هناك أى قيمة للتفكير فيما إذا كانت هذه البئر قد عملت بعلم أو بدون علم خوفو ، ولكن عادة دفن الأشخاص أحياء لم يمارسها المصريون في عصر بناء الاهرام بكل تأكيد . ولا بد أن البئر كانت مختلفة تماماً وقت الدفن تحت كتل الأحجار التي تغطى النجوة ، وكذلك الحجر الأسفل في المنزلق الغربى ، وهى لا وجود لها الآن .

ولم تكن إزالة هذه الأحجار بالشئ الصعب على العمال عندما حان الوقت ليشقوا لهم طريقاً للنزول ، وبعد أن وصل آخر عامل الى قاع البئر غطيت الفتحة التي في الجدار الغربى من الممر الناازل بكتلة من الحجر ، وبذلك لا يمكن تمييزها عن باقى الممر .

وغطوا في الوقت ذاته مدخل الممر الصاعد بعد السقطة الأولى بكتلة من الحجر ، وهى التي سقطت الى أرضية الممر الناازل عندما اقتحم عمال الخليفة المأمون طريقهم داخل الهرم .

وقد ذكر سترابو (Strabo) شيئاً عن طريقة غلق مدخل الهرم بسبب ما ذكره كثيراً من التخمينات ، فقد ورد في مؤلفه عن الجغرافيا (Geographica) الذى كتبه قبيل ظهور المسيحية ، أن الهرم الأكبر كان يحتوى على كتلة من الحجر في مكان مرتفع قليلا في احد جوانبه يمكن نزعها ، فاذا رفعت من مكانها نرى وراءها ممراً نازلا الى أساس الهرم . وفسر بترى ذلك بأنه كان للهرم الأكبر باب متحرك يسقط من أعلى الى أسفل ومكون من كتلة واحدة من الحجر مثبتة في عقبين في الجزء العلوى من الجانبين . وتدعيما لنظريته ذكر أنه يوجد في كل من الممرين الشماليين في الهرم المنحنى وهرم ميدوم تجاويف نحتت في الجدران الجانبية بالقرب من المدخل كان المقصود منها تثبيت اعقاب الأبواب فيها .

ونظراً لضيق الكسوة الخارجية أصبح من المستحيل أن نقرر ما اذا كان مدخل الهرم الأكبر مزوداً بأمثال هذه التجاويف أو لم يكن . وعلى أى حال فإن من الصعب التسليم بأن الباب الذى ذكره سترابو — اذا كانت كلماته قد فهمت على حقيقتها — يرجع تاريخه الى العصر الذى بنى فيه الهرم . فلم يكن للسدادات والسقطات أية قيمة

لسد الممرات في الأهرام ، إذا كانوا يقدرّون إمكان الدخول بعد ذلك إلى الحجرات الداخلية ، ولأن وجود الباب المتحرك يدعو إلى التفكير في أنهم كانوا يقصدون ذلك .

ومن المحتمل أن مدخل الهرم الأكبر — مثل المدخل الغربي للهرم المنحني الذي ما زال سليماً — مغطى بطبقة من أحجار الكسوة تجعله لا يمكن تمييزه عن باقي السطح الخارجي للهرم . وعندما اقتحم اللصوص الهرم لأول مرة — وربما كان ذلك أثناء عصر الفوضى التي جاءت في أعقاب الدولة القديمة — تحتم عليهم أن يشقوا طريقاً خلال الكتل الحجرية التي تغطي المدخل . ولسنا نعرف المدة التي ظل الهرم مفتوحاً خلالها ، ولكن ربما أغلق واقتحم ثانية أكثر من مرة أثناء الأسرات المتعاقبة حتى ركب له أخيراً — ربما في العهد الصاوي — باب يناسب وصف سترابو ، فإذا صح هذا القول — وهو تخمين صرف — فإنه من الضروري أيضاً أن نفرض أن يكون وجود هذا الباب قد نسي أمره ، وأما أنه سد بأحجار غطته في وقت ما أثناء المدة بين زيارة سترابو وبين القرن التاسع الميلادي ، إذ ليس هناك تفسير آخر لعدم اقتدار الخليفة المأمون على العثور على المدخل حتى لجأ إلى شق ممر جديد في أحجار مبنى الهرم نفسه .

ومع أن المبانى التي كونت مجموعة الهرم الأكبر عند تشييده قد اختلفت كلها أو بعضها ، فإن آثارها الباقية كافية لتبين على وجه العموم مطابقتها لغيرها من المبانى المماثلة . وليس هناك الآن شيء باق من جدار السور الخارجي الذي كان حول الهرم ، ولكن جزءاً من الأرضية المصنوعة من الحجر الجيري الناعم والتي تغطي المسافة بين الهرم وهذا السور لازالت في حالة جيدة من الحفظ ، وكان المعبد الجنائزي ملتصقاً بواجهة الهرم الشرقية ، وكانت أرضيته مصنوعة من حجر البازلت المصقول فوق طبقة من الحجر الجيري ، وكانت الجدران في جزء منها على الأقل موكسية بالجرانيت ، ويقع في شمال وجنوب المعبد حفرتان كبيرتان على هيئة مركبتين نقرتا في الصخر . وتقع حفرة ثالثة من هذا النوع في الجانب الشمالي من الطريق الجنائزي بالقرب من المعبد . ويبدو واضحاً أن كل هذه الحفر كانت مسقفة ، ولكن رغم هذه الحيطه لم يبق شيء من المراكب التي كانت تملؤها في الأصل ، وأن اختفاءها الكامل يحملنا على الظن بأنها كانت مصنوعة من الخشب ، وهو مادة ليست سريعة العطب فحسب ، بل في الاستطاعة حملها

بسهولة أكثر من نقل الحجر (١) . وقد عثر فعلا على أجزاء من الخشب في الحفرة التي تشبه المركب والمبنية بالطوب اللبن في مصطبة عشا بسقارة ، ومع أنه من الواضح أن هذه المراكب قصد بها مذ الملك المتوفى بوسيلة انتقال في العالم الآخر ، إلا أن المكان أو المنطقة التي تستخدم فيها مازال من الأمور الغامضة . وتتطلب ديانة الشمس وجود مركب لمرافقة اله الشمس في رحلته اليومية عبر السماء ، وفي رحلته الليلية تحت الأرض ، كما يحتاج إليها للوصول إلى المنطقة الواقعة بعد الأثق الشرقي حيث يظن أن الآلهة يسكنون فيها . وفي ديانة أزوريس لابد من وجود مركب للانتقال به إلى أبيدوس وأبو صير ، وإلى أن نعرف معلومات أوفى عن العقائد الدينية في المدة التي تسبق الأسرة الخامسة ، سيظل موضوع تلك المراكب وتفسير وجودها أمراً تختلف حياله آراء الباحثين .

وعلى زاوية قائمة من الطرف العلوي للطريق الجنازى من ناحيته القبلية ، نرى صفا من ثلاثة أهرام إضافية يلتصق بالواجهة الشرقية لكل منها هيكل صغير متخرب ، وإلى جوار الهرم الأول منها حفرة مركب صغيرة . ويعتقد ريزنر Reisner أن هذا الهرم لزوجة خوفو المنفصلة التي — طبقا للعادات المصرية — كانت شقيقته في الوقت ذاته على الأرجح ، أما عن الهرم الثانى فقد حكى هيرودوت القصة التالية :

« وصلت شرور خوفو إلى الحد الذى جعله يفعل الآتى . . . فبعد أن صرف كل أمواله وأراد المزيد أرسل ابنته إلى بيوت الدعارة وأمرها أن تحضر له مبلغاً معيناً من المال — ولست أستطيع معرفة كميته لأتى لم أسمع ذلك من أحد — وحصلت على المبلغ . . . وفي الوقت ذاته رغبت في أن تترك أثراً يخلد ذكراها ، فطلبت من كل رجل أن يقدم لها هدية من حجر ليفيدها في العمل الذى كانت تفكر فيه . . . وبهذه الأحجار بنت الهرم الذى يقع في وسط الأهرام الثلاثة التى أمام الهرم الأكبر ويبلغ طول ضلعه مائة وخمسين قدماً » (١) .

ولحسن الحظ لا يوجد سبب واحد يحملنا على الظن بأن تفاصيل هذه القصة تمت إلى الختائق التاريخية بأية صلة . فنحن نعرف أن

(١) عثر في صيف ١٩٥٤ على مركبين سليميتين في الجهة الجنوبية من الهرم الأكبر . (العرب) .

Herodotus, II, 126 (Rawlinson's translation).

(١)

الهرم الثالث نسب في العصور المتأخرة الى الملكة حنوتسن (Henutsen) التي ربما كانت أختا غير شقيقة للملك . وفي أثناء الأسرة الواحدة والعشرين قدست مع الالهة ايزيس وأطلق عليها اسم « محبوبة ايزيس الأهرام » . وفي هذا الوقت أيضا وسعوا الهيكل الصغير الملاصق للهرم ليصبح معبداً يتناسب مع مكانة الالهة ايزيس .

ويتكون الطريق الجنازى من ممر بنى اما فوق الصخرة مباشرة ، أو في تلك الأماكن ، حيث ينخفض كثيراً مستوى الصخر ، فوق جسر من المبنى . وبناء على ما ذكره هيرودوت فقد استغرق بناء الطريق الجنازى والمبنى الأخرى عند قاعدة الهرم عشر سنوات . والآن لم يبق سليما من هذا الممر شيء ، ولكن مازال بعض الجسور قائما في الحجر الصغير الذى يمر فوقه ، ثم عند عبوره حافة الهضبة . ولا يزال الجزء الأسفل من الطريق الجنازى ، وما عساه أن يكون قد بقى من مبنى الوادى دون كشف ، تحت منازل القرية الحديثة المعروفة باسم نزلة السمان . وبالتقرب من وسط الطريق الجنازى أقيم نفق ليستطيع من يريد العبور أن يفعل ذلك دون أن يلف طويلا حول الهرم أو مبنى الوادى .

وذكر هيرودوت عند وصفه للطريق الجنازى أنه بنى بأحجار مصقولة حفرت عليها صور حيوانات . وقد شك بعض الأثريين في صحة ذلك ، لأنه لم يعثر على أى أثر لنقوش في أى هرم من أهرام الأسرة الرابعة ، أو حتى في مبانيهم الملحقة بها ، مع أن بعضاً من المصاطب الخاصة المعاصرة قد اشتملت بكل تأكيد على نقوش . وربما كان السبب في عدم وجودها ، هو أن المهندسين في ذلك العصر كانوا مشغولين باتقان صناعة استخدام الحجر الجرانيتى ، واتقان فن تشييد المبنى الضخمة . الا أن و . ستيفنس سميث (W. Stevenson Smith) — الذى ساعد ريزنر في حفائره بجبانة الجيزة — قد قرر حديثاً اكتشاف بعض قطع من النقوش الجميلة البارزة وسط خرائب المعبد الجنازى عند قمة الطريق الجنازى . فاذا سلمنا على أساس هذا الاكتشاف بأن جدران المعبد الجنازى كانت محلاة بنقوش بارزة فذلك دليل على صحة ما ذكره هيرودوت عن الطريق الجنازى (١) .

(١) عشر فى معابد سنفرو بددهشور على نقوش كثيرة فى عام ٥١ . ١٩٥٢ .

(العرب) .

والى جنوب الطريق الجنائزى وعلى مقربة من الهرم الاضافى
الأول عثر ريزنر Reisner فى عام ١٩٢٥ على حجرة دفن من
عصر الدولة القديمة لم يعرف اللصوص طريقهم اليها ، ولم يكن أحد
قد عرف مكانها من قبل ، وتقع فى قاع بئر عمودية عمقها ٩٩ قدماً
ملئت كلها بالمباني . وفى داخل هذه الحجرة وضعا التابوت المرمرى
الجميل والاثاث الجنائزى للملكة حتب - حرس (Hetep-heres)
زوجة الملك سنفرو وأم الملك خوفو . ومع ان التابوت وجد خالياً
الا أنه عثر على الأحشاء التى استخرجت من الجسد ، لتساعد على
الاحتفاظ به ، فى صندوق من المرمر يطلق عليه اسم الصندوق الكانوبى .
(Canopic chest)

وحاول ريزنر أن يفسر عدم وجود الجسد ما دامت الحجرة لم
تمس فتال ان حتب - حرس دفنت فى مقبرة بدهشور بالقرب من
هرم سنفرو ، ولكن بعد دفنها مباشرة اقتحم اللصوص قبرها وأخذوا
الجسد بما عليه من جواهر وحلى ذهبية ، الا أنهم قبل أن يتمكنوا من
سرقة باقى الاثاث وصلت أخبار اقتحام المقبرة الى سمع الملك .
وأملأ فى تبادى تكرار ذلك ، عزم خوفو الذى ربما لم يخبره أحد باختفاء
الجثة على نقل مقبرة أمه - سراً - الى الجيزة ، حيث تصبح فى
أمان ورعاية مثل هرمه . وزيادة فى الحيطة لم يبن فوق القبر الجديد
أى مبنى علوى ، وعندما تراكمت الرمال فوق فوهة البئر لم يظهر
من معالمها أى أثر ، ولهذا بقيت غير معروفة المكان حتى القرن العشرين
عندما قام المكتشف الأمريكى بكنس الرمال عن الأرض الصخرية .
وفى ذلك أحسن دليل على نجاح فكرة خوفو .

ومن بين الأشياء التى عثر عليها فى هذه الحجرة أوان من المرمر ،
وابريق من النحاس ، وثلاث أوان ذهبية ، وأمواس وسكاكين من
الذهب ، وأدوات من النحاس ، وآلة ذهبية لتقليم الأظافر مدببة من
أحد طرفيها لتنظيف الأظافر ومقوسسة من الطرف الآخر لضغط
أطراف اللحم عند الظفر الى أسفل ، واحتوى صندوق الزينة على
ثمان أوان صغيرة من المرمر ملىء بالعطور والكحل . وكان فى داخل
صندوق الجواهرات عشرون خلخالاً من الفضة ، رصع كل منها
بفراشات من الدهنج واللزورد والعقيق الأحمر . ومن بين الأشياء
الكبيرة الحجم اطار خيمة مصنوع من الخشب ومغلف بالذهب ،
وكرسيان بمساند ، وسرير غلف جزء منه بصفائح من الذهب ،
أما ناحية القدمين من السرير فهى لوحة من الذهب مرصعة برسوم

نباتية ذات رسوم زرقاء وسوداء . وهناك أيضا محفة مصنوعة من الخشب وكسى جزء منها بصفائح من الذهب محلاة بكتابات هيروغليفية من الذهب ، مثبتة في لوحات من الأبنوس ومكررة أربع مرات وترجمتها : « أم ملك الوجه القبلى والبحرى ، تابعة حورس ، رائدة الحاكم ، العزيزة التى تنفذ كل أوامرها ، ابنة الاله [المولودة] من صلبه ، حنوب حورس » .

ومهما أظننا فى الوصف فان ذلك لا يفى بحق المهارة الفنية ودقة صناعة الأثاث الجنازى الخاص بالملكة حنوب . حرس ، فإذا قارنا أثاث هذه المقبرة بأثاث مقابر العصور التالية فانه ببساطته المتناهية يجعل ما عداه يبدو مجردا من الذوق . ولم يتأثر غير الخشب فقط بمرور الزمن ، فتحلل أو تقلص حجمه الى درجة حالت دون اعادته استخدامه عندما أراد اخصائيو بعثة بوسطن — هارفارد اعاده تركيب الأثياع كما كانت قبل تسليمها الى المتحف المصرى بناء على قوانين الحفر المصرية .

ومن رأى ريزنر أن بعضا من هذه الأثياع على الأقل قد استعملته حنوب . حرس أثناء حياتها . وهو رأى محتمل الى حد كبير ، فان الأدوات الشخصية من هذا النوع كانت لا توضع فى المقبره حتى يحين وقت الدفن ، أما الأواني والجرار التى يضعون فيها المأكولات وغيرها فكانت توضع فيها مقدما . وسواء اكانت هذه الأثياع جزءا من أثاث جناح الملكة فى القصر أم لا ، فانه أمر ذو أهمية ثانوية . فأهمية هذا الاكتشاف الحقيقية هى فى الضوء الذى ألقاه على ما وصلت اليه الجهود العملية والفنية فى الأسرة الرابعة ، وفيما أمدنا به من دليل لا يقبل الشك عن أنواع الأثاث الذى كان يوضع فى المقابر الملكية من ذلك العصر .

ومما زاد فى التأثير الفنى للهرم الأكبر تنسيق ما حوله من مباني . فقد كانت الأهرام الأخرى محاطة بمقابر موظفى وأقارب وأصحاب تلك الأهرام ، ولكنهم لم يعنوا الا قليلا بتنظيم أمكنتها وترتيبها ، ولكننا نرى فى شرق وغرب السور الذى كان يحيط بالهرم الأكبر جبانة كبيرة رتبت مصاطبها فى صفوف متوازية يبعد كل منها عن الأخرى بضعة أقدام . ولم يبن فى جنوب الهرم الا صف واحد منها بينما انعدم وجودها فى الشمال . وعنوا أيضا بتخصيص المقابر ، فتلك التى فى الجبانة الشرقية وزعت على أقرب أقرباء الملك ، وتلك التى فى الجبانة الغربية — وهى الأكثر عدداً — وزعت على الموظفين .

ومع أن معظم هذه المصاطب قد تعرت من كسوتها الخارجية كلها إلا أنه يجب أن نتصور أنها كانت كلها في الأصل مكنسية بأحجار طره الجيرية . وكان لونها كلها على نمط واحد يتفق ولون الهرم الكبير الذى يرتفع عاديا في وسطها . ولاحظ هرمان يونكر (Herman Junker) الذى قام بحفر جزء من الجبانة الغربية ملاحظة جديرة بالاعتبار . وهى أن الفكرة المصرية عن رغبة الملك المتوفى بأن يظل محاطا في العالم الآخر باقاربه وأتباعه الخلاء ، لم توجد بهذه الصورة الواضحة كما وجدت في ترتيب مقابر هذه الجبانة . وربما قال قائل - وهو محق أيضا في قوله - بأن الفارق بين الحاكم الالهى وبين رعائيه المتوفين لم يمثل بصورة أوضح وأقوى من الفارق بين ذلك الهرم المتسامى في الارتفاع وتلك المصاطب المسطحة البسيطة .

ويبدو أن ما قصد اليه خوفا من التنظيم المعماري لقبره لم يلق الا قليلا من التقدير من الأجيال التى جاءت بعده ، ففى الأسترتين الخامسة والسادسة اختل النظام الأساسى للجبانة ببناء مصاطب أصغر حجما فى المسننات التى بين صفوف المصاطب الكبيرة ، وكان أصحاب هذه المقابر اما موظفين فى الجبانة أو من كهنة الموتى الذين كانوا يقومون فى حياتهم بالواجبات المختلفة المعتبرة ضرورية لرفاهية الملك المتوفى وعشيرته . وفى العصور المتأخرة ، وبالأخص فى العصر الصاوى ، ساد الاعتقاد بأن الدفن فى منطقة أهرام الجيزة الثلاثة يفيد الموتى فوائد خاصة ، ونتيجة لذلك أصبحت المنطقة أشبه بخليعة النحل تملؤها المقابر المختلفة ، وترتب على ذلك أن تصميمها الأول المنتظم أصبح خافيا على الأنظار من جراء ما استجد عليه .

ويقع تمثال أبى الهول جنوبى مجموعة الهرم الأكبر وعلى مقربة من مبنى الوادى للهرم الثانى (لوحة ٦ ب) . وهو عبارة عن ريسوة من الصخر تركها بناؤو الهرم الأكبر عند قطع الأحجار لبنائه ، ثم شكلت فى عصر خفرع فى صورة أسد رابض هائل الحجم ذى رأس إنسانية . وأغلب الظن أنه كان مغطى بطبقة من الجبس لونها بعد ذلك . وطول هذا التمثال يبلغ نحو ٢٤.٠ قدما ، وارتفاعه ٦٦ قدما ، ومتوسط عرض الوجه ١٣ قدما و ٨ بوصات . وفوق راسه لباس الرأس الملكى وشعاران آخران للملكية هما حية الكوبرا على جبهته واللحية ، وقد ضاع جزء كبير منها الآن . ومع أن الوجه قد تغير كثيرا إلا أنه ما زال شبيها بصورة الملك خفرع ، ولم يكن مجرد صورة رسمية عادية . وربما كان أمام صدر أبى الهول تمثال للملك ،

ولكن لم يبق له من الأثر اللهم الا اليسير ، وبين يديه الممتدتين لوحنة كبيرة من الجرانيت الوردى عليها نقش يسجل رؤيا للفرعون تحوتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة ، قبل أن يعتلى العرش .

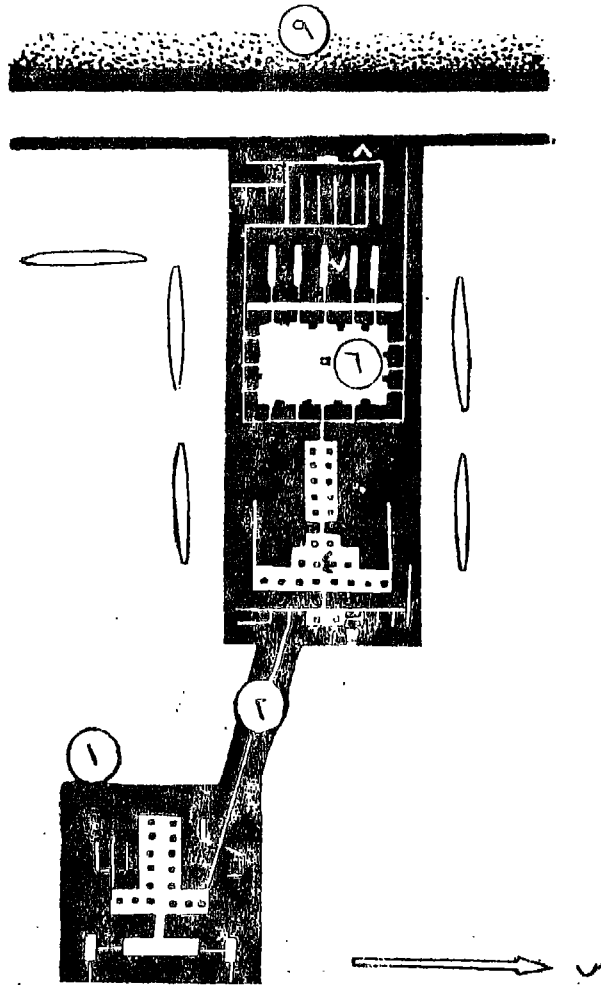
ويذكر النص أن الأمير خرج ليصطاد ، وعزم على أن يستريح وقت الظهيرة في ظل أبي الهول . وأثناء نومه وعده أبو الهول - الذي كان معتبراً في ذلك الوقت رمزاً لاله الشمس حرما خيس Hormachis - بمنحه تاج مصر المزدوج إذا أزاح عنه الرمال التي كادت تبتلع جسمه . ولسوء الحظ تأثر الجزء الأخير من النقش بالجو تأثراً بالغاً إلى الحد الذي يجعل قراءته متعذرة ، ولكن يمكن الظن بأنه يحكى كيف أن رغبة الاله قد تحققت ، وأن الأمير قد كوفئ بتاج الوجهين . وعلاوة على ازاحة الرمال ربما قام تحوتمس الرابع بترميم الأجزاء المتهدمة من الجسم بوضع قطع صغيرة من الحجر الجيري في الأجزاء التي تهدمت ، وكررت هذه العملية في عهد البطالسة وأيام الرومان عندما أزيحت الرمال للمرة الثانية وأقيم مذبح أمام التمثال . وأول من قام بحفر أبي الهول في العصر الحديث هو الكابتن كافيليا (Captin Caviglia) عام ١٨١٨ وتكلفت حفائره ٥٠ جنيها . وبعد مضي ثمانية وستين عاماً من هذا التاريخ رفع جاستون ماسيرو Gaston Maspero ما حوله من رمال ، وأخيراً في عام ١٩٢٥ قامت مصلحة الآثار بتنظيفه وترميمه .

ويمثل الاسد في الأساطير المصرية حارس الأماكن المقدسة ، ولا يعرف كيف ومتى ظهرت هذه الفكرة ولكن يحتمل أن تاريخها يرجع إلى عهد مترام في القدم . وكثير من المعتقدات البدائية الأخرى أمجج كهنة عين شمس في مذهب الشمس ، فاعتبروا الاسد حارساً لبوابات العالم السفلى في الأثمين الشرقي والغربي . واستمر الاسد في مهمته في الحراسة ولكن على صورة أبي الهول له وجه اله الشمس أتوم Atum . وفي نقش ربما يرجع تاريخه إلى عصر أحدث من عصر خفرع يقول ما يأتي على لسان أبي الهول : « انى أجافظ على هيكل مقبرتك ، وأحرس حجرة دفنك ، وأطرد عنها الغربساء المتطفلين ، وأرمى بالأعداء إلى الأرض وأسلبتهم معهم ، وأطرد الشرير من هيكل تبرك ، وأهلك خصومك من مخابئهم سادا أياها فلا يخرجون منها مرة ثانية » . وربما كان السبب في توحيد صورة اله الشمس مع صورة الملك المتوفى هو الاعتقاد بأن الملك سيصبح بعد موته اله الشمس نفسه حسب ديانة الشمس في هليوبوليس ،

ولهذا فان ابا الهول يمثل خفرع كلاله للشمس ويقوم بعمل الحارس
لجبانة الجيزة .

وفي الجهة الجنوبية الشرقية من ابي الهول مبنى كان يظن في وقت
من الاوقات انه معبد خاص بابى الهول ، ولكننا نعرف الآن انه مبنى
الوادى في المجموعة الهرمية الخاصة بالملك خفرع . واكتشف اوجست
مارييت Auguste Mariette مؤسس المتحف المصرى هذا البناء
في عام ١٨٥٣ ، ومع انه نظفه كله من الداخل الا ان كمية كبيرة من
الرمال ظلت حول الجدران الخارجية ، وقام مارييت بتنظيف آخر في
عام ١٨٦٩ عندما أصبح هذا المبنى من اهم اماكن الزيارة التى يفد
اليها الزائرون الذين اتوا لحضور افتتاح قناة السويس . واخيراً في
موسم ١٩٠٩ - ١٩١٠ ازلت بعثة فون سيجلين Von Sieglin
الرمال عن الجدران الخارجية تحت ادارة اوفو هولشر Uvo Hölscher
وجورج شتيندورف George Steindorff أثناء قيامهم بالكشف
عن المجموعة الهرمية كلها .

وإذا جعلنا في اعتبارنا قدم تاريخ مبنى الوادى فاننا لا نملك انفسنا
من الاعجاب بما هو عليه من حالة جيدة جدا . ولا يوجد مبنى آخر في
الاسرة الرابعة - اذا استثنينا المعبد الجنائزى غير الكامل لهرم ميدوم -
ظل محتفظا بحالته مثل هذا المبنى . وهو مشيد فوق أرض تبلغ أبعادها
١٤٧ قدما في كل اتجاه ، ويعلو الى ارتفاع ٤٣ قدما ، وبنيت جدرانه
الضخمة من مداميك من الحجر الجيرى المحلى ، وكسيت من الداخل
والخارج بأحجار منحوتة من الجرانيت الوردى المصقول المجلوب من
أسوان (شكل ١٥ - ١) ولم تبين الجدران الأربعة الخارجية عمودية ،
بل مائلة حسب الطراز السائد في ذلك العهد . ولهذا المبنى بابان
في الواجهة الشرقية ربما اقيم على جانبيهما تماثلان لأبى الهول ، ويؤدى
هذان البابان الى مدخل البناء من رصيف قد فى الصخر ، وحول كل باب
شريط من الكتابة الهيروغليفية فيه اسم الملك والقيا به ، ولا نعرف
غيرها من كتابات أو نقوش فى أى مكان من المبنى . وتؤدى الممرات
القصيرة من البوابة - عن طريق يشبه الدهليز البسيط - الى رواق
طويل وجد « مارييت » فى أرضيته حفرة عميقة تحتوى على تماثيل
لخفرع من الديوريت ، وهو من أحسن الأمثلة فى فن النحت فى الدولة
القديمة التى كشف عنها حتى الآن (لوحة ٨) .



شكل (١٥) - معبد الوادي والمعبد الجنائزى لهرم خوفو.

وكان هذا التمثال — الذى يزيد قليلا عن الحجم الطبيعى — موضوعا فى الأصل فى الصالة التى تشبه فى شكلها حرف T التى تقع فى الجهة الغربية من الرواق المستطيل . وتاريخ نقله الى هذه الحفرة غير محقق ، وربما يرجع الى الرغبة فى الاحتفاظ به من العبث والضياع . وفى يوم من الأيام كان فى هذا المعبد مجموعة من ثلاثة وعشرين تمثالا ملكيا مصنوعة من الديوريت والاردواز والمرمر كانت تستند الى جوانب الصالة ، سبعة عشر تمثالا منها فى جذع حرف T والستة الباقية فى مواجهة الشرق فى الجزء الباقى من الصالة . وكان الضوء يدخل الى الصالة من شقوق مائلة ، فتتح جزء منها فى أعلى الجدران والجزء الآخر فى أعلى السقف الجرانيتى المسطح ، بحيث لا تقع الأشعة مباشرة على التماثيل ولكن تنعكس عليها من الأرضية المرمرية ومن الأعمدة المربعة الضخمة المصنوعة من الجرانيت الوردى التى تحمل السقف . ويبدو أن مثل هذا التور غير كاف لإظهار جمال التماثيل التى كانت آيات فنية رائعة ، اذا حكمنا عليها من التمثال الذى بقى سليما منها .

ولكن التماثيل المصرية لم تكن لتصنع للزينة بل لتكون للروح بديلا لا يسهل تحطيمه . ولم يكن للنور المعتم أو الظلام الكامل أى تأثير على وظيفة ذلك البديل عن الجسم البشرى ، ونعرف ذلك تمام المعرفة من عادة وضع التماثيل فى سراديب . ولم يتضح تماما الدور الذى كان يؤديه مبنى الوادى فى تأدية الطقوس الجنائزية ، ورأى ريزنر Reisner عند مناقشته لشكله المعماري أنه مأخوذ أساسا من سرادق مكون من حصير محمول على قوائم ربطت مع بعضها بحبال ، وحدد ب. جردساوف (B. Grdseloff) — الذى أضافت أبحاثه الحديثة مادة علمية لما هو معروف عن الفرض من مبنى الوادى — وظيفة هذا المبنى بأنه كان يسمى فى النصوص المصرية سح . نثر (سرادق الاله) .

وفى رأيه أيضا أنه يجمع غوائد بناءين أقيما فى الأصل منفصلين عندما بنيا ضمن مصاطب الدولة القديمة ، وهما الـ « أبو » (خيمة التطهير) والـ « واعبت » (بيت التحنيط) . ويفترض جردسلوف أن طقوس التطهير فى مبنى الوادى الخاص بخنفرع ، قاموا بها فى كشك مؤقت بنى فوق السقف يوصل اليه عن طريق منزلق مبلط بالمرمر من ممر يبدأ عند الركن الشمالى الغربى من الصالة التى تشبه حرف T ولا تزال الثقوب المستديرة التى ربما استعملت لتثبيت القوائم فى مثل هذا السرادق واضحة فى بلاط السقف . وافترض أيضا أن تحنيط الجثة

تم في الرواق المستطيل ، ولكن ظهرت أبحاث بعد ذلك تعكس ما افترضه-
جردسلوف ، وذلك بأن التطهير كان في الرواق المستطيل وأن التحنيط-
كان فوق السقف .

ولعب التطهير بالغسل دورا هاما في الطقوس المصرية في كل
العصور ، فكانوا مثلا يغسلون جسم الملك في احتفال في البحيرة
المقدسة الخاصة بمعبد رع في عين شمس قبل أن يدخل المبنى ، وكذلك
لا بد أن تطهر جثته بالغسل قبل أن تدخل الى النطاق المقدس من قبره .
واعتقدوا علاوة على أن عملية التطهير تجدد الملك المتوفى ، تماما
كما كان يظن أن اله الشمس يولد كل صباح بالاستحمام في « بحيرة
الزنبق » قبل القيام برحلته عبر السماء . وتعاد الحياة الى أوزيريس
أيضا - بناء على إحدى القصص - بتطهير جسده ، ولذا كان يظن
أن الملك المتوفى عندما وحدوه مع أوزيريس ينال حظا مماثلا اذا
فعلوا له الشيء نفسه .

وبعد اتمام مراسم التطهير تؤخذ جثة الملك للحنيط ، وذلك اما في
الرواق المستطيل أو في السرادق المقام فوق السقف ، أى في المكان
الذى يقوم مقامه الـ « واعبت » . ولم تكن عمليات التحنيط المتقن في
الدولة الحديثة قد عرفت واستخدمت في عصر بناء الأهرام ، ومع أنه
لا يوجد أى دليل على استخدام ما يحفظ الجسم من التحلل فان وجود
الصندوق الكانوبى محتويا على أحشاء الملكة في مقبرة حتب . حرس
يثبت أن معظم الأعضاء القابلة للتعفن كانت تزال من الجسم . ونعرف
أيضا من بعض مقابر الدولة القديمة أن الجسد كان يلف في لفائف من
الكتان بحيث يلف كل عضو على حدة ، وكانت تحشر في بعض
الأحيان وسائد من الكتان تحت اللفائف حتى يظل الجسم محتفظا
بشكله الطبيعى ، وأحيانا أخرى تشكل صور بعض الأعضاء الأخرى
- مثل الأنف والشفاه والصدر وأعضاء التناسل - بالكتان وهى أشياء
لا ضرورة لها لو أنهم كانوا قد عرفوا وسيلة فعالة لحفظ الجسم .

وكان ثالث المراسم التى تتم في مبنى الوادى ما يسمى « فتح الغم » ،
فبعد عملية التطهير ولف الجسد في اللفائف يؤخذ الى الصالة التى تشبه
حرف T حيث كانت تقوم الثلاثة والعشرون تمثالا ، فيدنو الكهنة
- ومن بينهم واحد على الأقل من أبناء الملك المتوفى - من كل تمثال ،
الواحد بعد الآخر ، فينثرون عليها الماء ويعطرونها بالبخور ويقدمون
امامها الذبائح ويلمسون أفواهها بآلات مختلفة ، من بينها القدم
والازميل ، ويمسحون أفواهها باللبن ثم يزينونها بشمعائر الملك .

وفيما تلا من عصور كانت هذه المراسم تؤدي أيضا على جسد المتوفى ، ولكن هذه العادة لم يبق بها المصريون الا بعد الدولة القديمة ، وكان يظن أن اجراءها يمنح التمثال أو المومياء حواس الشخص الحى .

وكان أنجاز هذه الطقوس الثلاثة في مبنى الوادى يستغرق بضعة أسابيع ، فقد جاء في نقوش مقبرة الملكة مرسنخ (Meresankh) — التى ربما كانت احدى زوجات خفرع — أن تحنيطها قد استغرق مائتين واثنين وسبعين يوما . وهذا ما يتطلبه تحنيط الملك على الأقل ، وبعد ذلك توضع الجثة في تابوت خشبى ، ثم يحملونها الى خارج مبنى النوادى عن طريق الممر الذى يصل بين الصالة والطريق الجنازى (شكل ١٥ - ٢) .

وكان يتحتم أن يمر الموكب في طريقه داخل الممر على مدخل ممر ضيق يؤدي الى حجرة صغيرة بنيت من المرمر ، ولكن الغرض من هذه الحجرة ما زال مجهولا ، وقد أراد هولشر أن يفسرها بأنها كانت حجرة البواب الذى كان من واجبه حراسة المدخل الى الطريق الجنازى ، الا أن جردسلاف رأى أنها كانت تستعمل لتخزين الطعام والقرايين التى يحتاجون اليها أثناء القيام بالمراسم الثلاثة ، كما فسرها أيضا وجود ستة مخازن طويلة مرتبة في طابقين — ثلاثة في كل طابق — وتقع في نهاية ممر يفتح في الجانب الجنوبى من الصالة ، بأنها كانت مخصصة لوضع المواد المختلفة والأدوات الدينية التى يحتاجون اليها أثناء الطقوس الثلاثة وأن كلا منها كان يحتاج الى مخزنين .

ولكيلا تكون هناك ضرورة لبناء جسر فوق منخفض عميق شرق المعبد الجنازى مباشرة بنى الطريق الجنازى على حافة الصخرة ، ويمر مائلا من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ، وطول هذا الطريق أكثر من ربع ميل وعرضه نحو ١٥ قدما . ولم يبق شيء منه سوى جزء من الأساس الصخرى وبعض كتل من أحجار طره الجيرية من جدران وأرضية ممره . وعندما كان سليما ارتفعت جدرانه عمودية عن الداخل ، أما وجهها الخارجى فكان يميل ميلا واضحا . وإذا كان هيزنوت على صواب فيما كتبه من أن الطريق الجنازى للهرم الأكبر كان محلى بنقوش ، فلا بد أن تكون الجدران الداخلية للممر هذا الطريق الجنازى محلاة بنقوش أيضا . وكان مسقوما بكتل من الحجر وضعت مسطحة ، وربما يرحم تاريخ تسقيف الطرق الجنازية الى الوقت الذى بدأوا فيه يضعون النقوش على جدران ممراتها . ويبدو أن

الطريقين الجنائزين للهرم المنحنى وهرم ميدوم قد خلا كلاهما من النقوش فلم يسقنا بكل تأكيد ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون الطريق الجنائزى للهرم الأكبر ، هو أول طريق سقف ليحمى النقوش الملونة على جدرانه ، وكان الضوء يدخل الى هذا المر من شقوق أفقية فتحت وسط السقف من اوله الى آخره .

وبما أن المطر كان يحتمل دخوله أيضا من هذه الشقوق ، وإذا لم يصرف فانه يتجمع منحدرأ الى مبنى الوادى ، لهذا عملوا مجرى ضيقا فى الأرضية عند الطرف الأسفل من الطريق الجنائزى ليوجه الماء فيخرج خلال فتحة فى الجدار الجانبى .

فإذا نقلت جثة الملك الى المعبد الجنائزى لم يعد فى استطاعة من يقف خارج الطريق الجنائزى أن يرى الاحتفال ، ولا شك أن مثل هذا الحجب كان متعمدا ، ولو أن الباعث الذى دعا اليه لا يمكن استنتاجه بدقة . ويبدو أن التفسير المعقول هو أنهم كانوا يظنون أنه من الضرورى حماية الجسد الميت بعد تطهيره ، فى مبنى الوادى ، من نظرات أولئك الذين لم يتطهروا وفق طقوس خاصة . ولم يكن وضع الجسم داخل تابوت خشبى كافيا لحمايته من التدنس ، وربما كان لزاما على غير الكهنة من الأشخاص الذين كان عليهم مرافقة النعش الى المعبد الجنائزى ، أن يتم تطهيرهم قبل انضمامهم الى الموكب . أما الكهنة — واسمهم فى اللغة المصرية وعب ، أى « طاهر » — فانهم كانوا متطهرين فى كل وقت من الأوقات .

ولم يبق من المعبد الجنائزى غير خرائب ، وكان مبنى منخفضا مستطيل الشكل يبلغ طوله نحو ٣٧. قدما وعرضه ١٦. قدما ، بنيت جدرانه بالأحجار المحلية وكسيت من الداخل بالجرانيت ، ولكن باقى البناء كان ذا كساء من أحجار طره الجيرية .

وهناك خمس حفر للمراكب فى الصخر قريبة من الجدارين الشمالى والجنوبى ، ولا تزال حفرتان منها تحتفظان بأسقفهما من كال الحجر الجيرى ، ولكن لم يوجد أثر للسفن الخشبية .

وفى جميع المعابد الجنائزية التى تم الكشف عنها لا يوجد معبد جنازى واحد نستطيع أن نقول انه صورة مماثلة لغيره ولكنها تختلف فى الترتيب وفى التفاصيل المعمارية فقط .

ومنذ عصر خفرع حتى نهاية الدولة القديمة نرى أن كل معبد يحتوى على خمسة عناصر أساسية : صالة المدخل ، وفناء مكشوف ، وخمس كوات للتماثيل ، ومخازن ، ومقدس . ومن المحتمل أن المعبد الجنائى للهرم الأكبر كان ذا تصميم مشابه ، ولكن حالته الخربة تجعلنا لا نستطيع تحديد تفاصيل رسمه .

وفى معبد خفرع لا يودى الطريق الجنائى الى صالة المدخل مباشرة بل الى ممر طويل ، وتفتح على هذا الممر بضع حجرات ربما تصد منها أن يضعوا فيها الأدوات المستعملة فى احتفالات المعبد .

وفى الجزء الأوسط يتسع الممر فيصبح شبيها بالردهة (شكل ١٥ - ٣) التى تتصل بصالة المدخل عن طريق ممر ضيق ، وتتكون الصالة من جزأين : الأول مستعرض (شكل ١٥ - ٤) والثانى طولى (شكل ١٥ - ٥) ، وتحمل سقف كل من الدهليز وصالة المدخل أعمدة مستطيلة كل منها من كتلة واحدة من الحجر الجرانيتى الوردى ، تشبه تلك التى فى مبنى الوادى ، وفى كل طرف من طرفى الجزء المستعرض من صالة المدخل حجرة طويلة ضيقة فى داخل قلب البناء . ولما كان الحائط الخلفى فى كل حجرة مكونا من كتلة واحدة من الجرانيت فقد ظن هولثر أنهم نحتوا سطحها على صورة ما يشبه تمثال الملك ، فاذا صح هذا التخمين فان هذه الحجرات كانت سراديب من نوع ليس له مثل فى المعابد الجنائية الملكية .

ويقع خلف صالة المدخل الفناء المكشوف الذى كانت جدرانه من الجرانيت الوردى أيضا وأرضيته من المرمر (شكل ١٥ - ٦) ، وعثر فى وسط هذا البناء على أثر بالوعة يوحى بوجود مذبح فى هذا المكان . وكانت هذه البالوعة لازمة لتصريف دماء ما يقدمونه قربانا من الحيوانات والسوائل المختلفة التى تقدم فى الطقوس الدينية ، ولكن من جهة أخرى ربما كانت وظيفة هذه البالوعة قاصرة على تصريف مياه الأمطار التى قد تتراكم فى المعبد . وكانت تماثيل الملك موضوعة على مسافات منتظمة حول جدران الفناء ، وربما كانت فى الهيئة التى تختص بها تماثيل الاله أوزيريس ، وكان بين التماثيل أبواب تفضى الى ممرات قصيرة تصل الفناء بممر يحيط به .

وأمام كل من الأبواب الغربية الخمسة التي كانت أمام الممر نرى كوة عميقة كانت تحوى تمثالا للملك . ولم يتغير عدد التماثيل في أى معبد جنازى بعد ذلك ، ومن المحتمل أن كل تمثال منها كان منقوشا عليه اسم من أسماء الملك الخمسة الرسمية التي انتحلها الملك يوم اعتلائه العرش .

وكان الفناء المكشوف هو الحد الذى لا يسمح بعده لأحد . — غير الكهنة — بأن يتقدم . وفى أثناء احتفالات المعبد يتحتم على من يكون حاضراً من غير رجال الدين أن يبقى فى الفناء ، بينما تتقدم الكهنة عن طريق الممر أمام كوات التماثيل الى المقدس (شكل ١٥ — ٨) .

وكان الشيء الأساسى للمقدس وجود باب وهمى فى الجدار الغربى ، ومذبح منخفض عند قاعدته ، وكان الكهنة يضعون القرابين يومياً على هذا المذبح . ولما كانت روح الأشياء المقدسة هى ذات أهمية للميت وليست صفتها المادية ، فان بقاء القرابين فى أماكنها دون أن يمسسها أحد حتى يغيروها لم يكن بالأمر الذى يشغل بال المصريين القدماء . وهناك خمسة مخازن بين المقدس وكوات التماثيل الخمس . وربما كان هذا التوافق فى العدد أمراً غير عرضى أو مصادفة . وكذلك فى البناء ، فقد شاركت المخازن خصائص الكوات فى كونها الأجزاء الوحيدة فى المعبد التى لم تكس أوجهها بالجرانيت وبلطت أرضيتها بالمرمر . واحتوت المخازن على أوان حجرية ومؤنة احتياطية من الطعام ربما احتاجها الملك اذا أهمل الكهنة واجبهام اليومى وهو تجديد القرابين التى تقدم اليه .

ويؤدى منزلق طويل من الركن الشمالى الغربى الى الممر المحيط بالفناء المكشوف المرتفع الذى يقوم الهرم فوقه . وان موقع المدخل من موقع المنزلق يجعلنا نعتقد ان الوصول الى داخل سور الهرم كان مباحا للأشخاص الذين لم يكن مرخصا لهم بالدخول الى الأجزاء الداخلية من المعبد الجنازى ، ولذلك فعند القيام بالمراسم الجنازية ربما دخل الحفل كله الى الهرم (شكل ١٥ — ١) بعد أن تتم عملية « فتح الفم » على التماثيل التى فى الكوات . ولا بد أن البنائين والعمال الذين كانوا يقومون بسد وقفل مدخل الهرم كانوا يصلون الى داخل حرم الهرم عن طريق هذا المنزلق . وقد منع الجدار العالى الذى يحيط بالهرم الوصول اليه عن طريق مباشر آخر .

وجد بين الهرم والجدار المحيط به رصيف يبلغ عرضه نحو ٣٤ قدما من ناحية الشمال والشرق والغرب ، أما من ناحية الجنوب

فيزداد عرضه قليلا حيث أقيم هرم اضافى أمام منتصف هرم الملك تقريبا . وبين المعبد الجنازى وواجهة الهرم الشرقية طريق مرصوف . ونجد فى داخل أسوار الأهرام الأخرى أن المبنيين متلاصقان ، ولذلك لا توجد مسافة بين الباب الوهمى والهرم . وتفسيرا لهذا الشذوذ عن القاعدة ظن « بورخارت » أنه كان يوجد باب وهمى ثان أقيم فى واجهة الهرم الشرقية ، ولكن لم يوجد أى أثر لهذا الباب أثناء الحفائر .

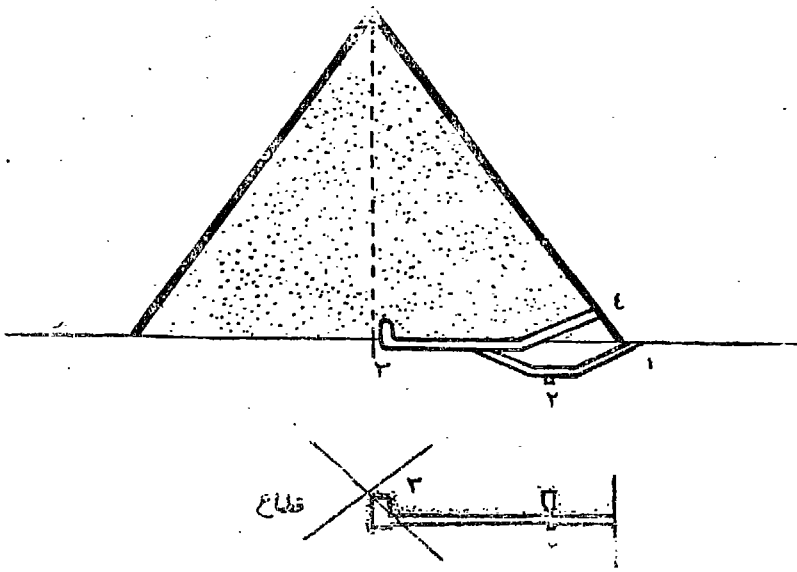
وأهم المعالم الخارجية المميزة لهرم خفرع هى حجمه ، وذلك الجزء الباقى من كسائه الخارجى الذى ما زال باقياً بالقرب من القمة ، وقد حفظت بعض أجزاء الكسوة أيضا عند القاعدة ، الا أن الحجر المستعمل يختلف فى المكانين ، فالبقية العلوية مكونة من حجر طره الجيرى ، والسلفية من الجرانيت الوردى وهى المادة التى استعملت فقط لكساء المدماك الأسفل . وذكر هيرودوت فى وصفه للهرم أن خفرع استعمل الحجر متعدد الألوان الوارد من اثيوبيا Ethiopia (١) لبناء الجزء السفلى منه ، وربما كان ذلك راجعا الى الاعتقاد الخاطيء بأن الجرانيت لم يكن للكسوة فقط بل انه استخدم كرصيف بنى عليه الهرم . وربما كان حجر القمة ، الذى اختفى الآن ، مصنوعا من الجرانيت أيضا .

ونظرا لتشديد هذا الهرم فوق أرض مرتفعة قليلا ، فان بعض الناظرين اليه يظنون خطأ أنه أكثر ارتفاعا من الهرم الأكبر ، ولكن ارتفاعه الحالى ٤٤٧م قدما أى أنه أقصر من ارتفاع الهرم المجاور بقدمين ونصف قدم . وفى الأصل كان ارتفاعه ٤٧١ قدما ، ولذا كان أقل ارتفاعا من الهرم الأكبر بنحو ١٠ أقدام عندما كان الأخير أيضا كاملا . والمساحة التى يشغلها هرم خفرع اليوم تبلغ حوالى ٦٩٠م^٢ قدما فى كل ضلع ، وكان يبلغ طول كل ضلع فى الأصل ٧٠٧^٣/_٤م قدم ، لذا فان أبعاد القاعدة كانت ثقل بنحو ٤٨ قدما فى كل اتجاه عنها فى الهرم الأكبر . وترتفع أوجه الهرم بزواوية مقدارها ٢٠° - ٥٢° أى أن زاويته أكبر من زاوية الهرم الأكبر ، وهذه الحقيقة تفسر الفرق البسيط فى الارتفاع بين الهرمين ، إذ قارنا ذلك بالفارق الكبير فى طولى قاعدتيهما .

(١) Herodotus, Book III, p. 127.

ولا يكاد هرم حمرع يتشابه في نظامه الداخلى مع الهرم الاكبر ،
 فله مدخلان : واحد في الواجهة الشمالية على ارتفاع يقرب من
 ٥٠ قدما ، والآخر تحته مباشرة منحوت في الأساس الصخرى للرصيف
 المحيط به (شكل ١٦ - ١٥) . ويقع كلا المدخلين على مسافة
 تبعد نحو ٤١ قدماً الى شرق محور الهرم الشمالى - الجنوبى ، ومن
 المدخل العلوى ينحدر ممر منخفض ضيق بزواية مقدارها ٥٥ ٢٥ -
 داخل قلب بناء الهرم حتى يخترق الصخر ثم يصبح أفقياً ، ويستمر
 كذلك حتى حجرة الدفن (شكل ١٦ - ٣) . وقد كسى سقف وجدران
 وأرضية القسم المنحدر بأكمله وجزء صغير من القسم الأفقى بأحجار
 من الجرانيت الوردى ، وبالتقرب من نهاية التكسية الجرانيتية نرى
 شقوقاً رأسية فى الجدران لوضع سقاطة من الجرانيت لا تزال
 بقاياها المهشمة فى مكانها حتى الآن . أما حجرة الدفن فقد نحتت كلها
 - ما عدا السقف - فى الصخر ، ويتكون سقفها الهرمى المدبب من
 كتل من الحجر الجيرى تميل بزواية مماثلة لزواية أوجه الهرم .
 ويبلغ طول الحجرة ٤٦٥ قدما من الشرق الى الغرب ، وعرضها
 ١٦٥ قدما ، وارتفاعها ٢٢٥ قدما . وفى جانبها الغربى نرى تابوتا
 مستطيلاً دقيق الصنع من الجرانيت المصقول موضوعاً فى أرضية
 الغرفة الى مستوى غطائه ، أما الغطاء نفسه فما زال ملقى الى جانب
 التابوت مكسوراً الى قطعتين ، وهى الحالة التى وجده عليها فى عام
 ١٨١٨ جيوفانى بلزوني (Giovanni Belzoni) أول باحث أوروبى
 دخل هذا الهرم فى العصر الحديث .

أما جثة خفرع فلم يعثر على أثر منها فى التابوت ، ويسير الممر
 السفلى (شكل ١٦ - ١) فى بدايته فى اتجاه مشابه للممر العلوى ،
 الا أنه منحوت كله فى الصخر ، وبعد سيره بانحدار بدرجة ٢١ -
 يصبح أفقياً لمسافة قصيرة ، ثم يرتفع ثانية بزواية كبيرة ليتصل بأرضية
 القسم الأفقى من الممر العلوى . وفى هذا الممر أيضاً سقاطة من
 الجرانيت ، ولكن الجدران لم تكس بالجرانيت . وفى الجدار الشرقى
 من القسم الأفقى من الممر نرى دخلة أمامها ممر منحدر يؤدي الى
 حجرة طولها ٣٤ قدما و ٣ بوصات ، وعرضها ١٠ أقدام و ٤ بوصات ،
 وارتفاعها ٨ أقدام و ٥ بوصات (شكل ١٦ - ٢) . وما من شك فى
 أن الغرض من هذه الحجرة عند بنائها هو أن يوضع فيها تابوت الملك ،
 ولذا يجب أن نجد تفسيراً للعدول عن ذلك .



شكل (١٦) هرم خفرع • قطاع في اتجاه الناحية الغربية ، مع رسم قطاع أفقى

إذا فحصنا هذه الحجرة يلفت يظننا وجود أمرين غير مألوفين ربما ساعدانا على حل الموضوع ، أولهما أن الحجرة قريبة جداً من مدخل الهرم ذاته خارج حدود البناء العلوى للهرم . وفى الأهرام الأخرى المعاصرة نرى حجرة الدفن تقع تقريباً تحت القمة ، والمدخل فى الواجهة الشمالية . فلو فرضنا أن التصميم الأول للهرم هو أن يكون الى الشمال من مكانه الحالى بمسافة تقرب من ٢٠٠ قدم ، لأصبح كل من الحجرة والممر فى مكانهما المعتاد . والسبب المحتمل للتغيير فى التصميم هو العثور على أساس صخرى مناسب للطريق الجنائزى كان مختلفاً تحت الرمال الى الجنوب من المكان الذى كان قد وقع عليه الاختيار .

وهناك مشكلة أخرى من الصعب أن نجد لها حلاً مقبولاً ، وهى الغرض من الممر المنحدر الذى يصل الأماكن السفلى بالممر العلوى . فالتفسير الوحيد الذى أمكن التفكير فيه هو أنه استعمل لنقل التابوت من الحجرة القديمة الى الحجرة الجديدة ، ولكن يبدو أن عملية قطع ممر جديد فى الصخر عمل شاق ولا داعى له ، اذ كان من الميسور اخراج التابوت من الحجرة القديمة عن طريق ممر المدخل الأسفل ثم ادخاله الى الحجرة الجديدة من أعلى قبل بناء السقف الهرمى (جمالون) . على أن الحقيقة التى ستظل باقية هى أن الممر قد أعد لغرض من الأغراض ، وأنه بعد تأديته لذلك الغرض سد بكتل من الحجر

الجيرى ما زال الكثير منها في مكانه الاصلى ، وقد سد المر السفلى بهذه الطريقة سدا محكما حتى انه لا يمكن دخوله الآن (١) .

والى الغرب من الهرم ، وفي خارج السور ، كان هناك عدد كبير من الأروقة التى حدد سير فلنדרز بترى وظيفتها بأنها كانت ثكنات يعيش فيها البناعون والعمال الذين كانوا يعملون فى تشييد المجموعة الهرمية . وقد اختفت الآن هذه الأروقة كلية تحت الرمال ، ولكن بترى — الذى قام بمسح المنطقة بين ١٨٨٠ و ١٨٨٢ — قرر أن عددها واحد وتسعون رواقا ، يبلغ طول كل منها ٨٨ قدما وعرضه ٩ أقدام وارتفاعه ٧ أقدام (٢) . وبنيت جدران هذه الأروقة من أحجار غير منحوتة من الحجر الجيرى ، وكانت مطلوسة بطبقة من الطين . كما غطيت الأرضية بطبقة من نفس المادة . وتقوم دعائم عريضة من الحجر الجيرى بمثابة أطراف الجدران عند المدخل . وسد الطرف الشرقى من كل رواق بجدار واحد يكون زاوية قائمة مع الأروقة ، ويكاد يكون موازيا للجانب الغربى من الهرم .

وإذا أردنا مقارنة هرم خفرع بالأهرام التى بنيت قبله ، فان هذا الهرم هو أول واحد منها نستطيع أن نتعرف فيه على جميع أجزاء المجموعة الهرمية التى تظهر فيها جميع العناصر المعمارية على أتم صورها . ففى المجموعات الهرمية السابقة ، وبالأخص مجموعة الهرم الأكبر ، فان كثيراً من معالمها البارزة لم تكن فى حالة من الحفظ تسمح بمقارنتها وبالمثل المعبد الجنازى لهرم ميدوم الذى كان لا يزال فى حالة ابتداء ، اذا تحدثنا عنه من الناحية المعمارية . أما فى مجموعة هرم خفرع فان معظم مبنى الوادى سليم ، وأساسات الطريق الجنازى وأضحة تماما ، وبقي من المعبد الجنازى قدر كاف يساعد على تحديد تخطيطه تحديدا تاما . ويحوى كل من هذه المباني فى تصميمه كل العناصر الأساسية لمجموعات الأهرام التى بنيت بعد ذلك ، مع ادخال بعض التعديلات فى التفاصيل أو عمل تجديدات زخرفية ، ولكن الهيكل الأساسى ظل دون تغيير .

ويقع الهرم الثالث من مجموعة أهرام الجيزة فى الركن الجنوبى من الهضبة (لوحة ١) ، وبالرغم من أن هيرودوت وديودور الصقلى — الذى زار مصر فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد — قد نسباه الى منكاورع ، الا أن ذلك لم يتحقق بصفة قاطعة الا فى عام ١٨٣٧ — ٢٨

(١) قامت مصلحة الآثار المصرية فى عام ١٩٤٩ بتنظيف هذا المر ويمكن دخوله الآن بسهولة . (العرب) .

Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, pp. 101-3. (٢)

عندما وجد الكولونل هوارد فيس اسم منكاورع مكتوبا بالمغرة الحمراء على سقف حجرة الدفن في ثاني الأهرام الثلاثة الاضافية لمجموعته الهرمية . ثم جاءت الأدلة الأخرى من حفائر بعثة جامعة هارفارد ومتحف بوسطن للفنون الجميلة التي قامت بحفر المنطقة بين عامي ١٩٠٥ ، ١٩٧٢ تحت ادارة ج. ا. ريزنر .

ولم تلق النصوص المعاصرة أى ضوء على حياة وطباع منكاورع ، ويظهر أن ذكراه بين المصريين في العصور المتأخرة جداً كانت طيبة ، وكان متصفاً بالقوى والعدل ، بينما اعتبروا خوفاً وخفراً ملكين شريرين مستبدين .

ويتحدث هيرودوت — الذى ردد تلك الأحاديث المتواردة عن منكاورع — بالعبارات الآتية : « ... واستنكر هذا الأمير (يعنى منكاورع أخلاق أبيه ففتح المعابد ، وسمح للشعب الذى وصل الى أحط دركات التعاسة ، بأن يعود كل الى عمله ، وأن يعودوا الى تقديم القرابين . فسبق في عدالته جميع الملوك السابقين ، وامتدحه المصريون بسبب ذلك أكثر من أى ملك آخر من ملوكهم الآخرين ، مجاهرين بأنه لم ينصف في أحكامه فحسب ، بل انه عندما كان يرى أحد الناس غير راض بحكمه يعطيه تعويضا من ماله الخاص لكي يهدىء من سسورة غضبه » (١) . ولكن الآلهة كانت قد قررت أن يحكم مصر حكام مستبدون لمدة مائة وخمسين سنة ، فبناء على هذه القصة ، ولما كان حكم خوفاً وخفراً قد دام مائة سنة وستاً ، فقد كان على المصريين أن يتوقعوا أربعاً وأربعين سنة من العذاب عندما اعطى منكاورع عرش البلاد . ولكيلا تغير الآلهة ما حكمت به ، قررت أن يكون حكم منكاورع العادل الرحيم حكماً قصيراً ، ولكن مع انذاره بأن منيته قد قربت . .

وها هى كلمات هيرودوت : « .. وجاءته نبوءة من مدينة بوتسو تائلة له : « ستعيش على الأرض ست سنوات وستنتهى أيامك في العام السابع » ، وغضب منكاورع وأرسل رسالة ملأى بالغضب الى النبوءة معلناً فيها عدم عدالة الاله قائلاً : « ان كلا من أبى وعمى قد أغلقا المعابد ، ولم يأبها للآلهة ، وأهلكا جموعاً كثيرة من الناس ، ومع ذلك فقد تمتع كل منهما بحياة طويلة . وأنا التقى أموت بعد وقت قليل ! » فوصله الرد من النبوءة في رسالة ثانية : « ولهذا السبب بالذات تنتهى حياتك سريعاً . . فانك لم تفعل ما كان ينبغى عليك أن تفعله ، فقد قدر على مصر أن تقاسى المحنة مائة وخمسين سنة ، وقد فهم الملكان

Herodotus, Book II, p. 129 (Rawlinson)

(١) ترجمه رولنسن .

الذان سبقاك على العرش ذلك ، بينما لم تفهمه أنت ! » . وعندما وصلت الى منكورع هذه الرسالة أحس أن قضاءه أصبح محتوما ، فأمر بتجهيز المصابيح لايقادها كل يوم عند المساء ، وأقام المآذب ومتع نفسه بدون انقطاع طول الليل والنهار ، متنزها في الأحرش والغابات ، ومرتحلا الى الأماكن التي سمع بطيب العيش فيها ، وكانت رغبتنه اثبات كذب النبوءة باحالة الليل الى نهار ، وهكذا عاش ست سنوات كأنها اثنتا عشرة سنة « (١) » .

وليس هناك ما يبرر الاعتقاد بأن القصة التي اقتبسها هيرودوت مستمدة في أصلها من حقائق تاريخية ، رغم وجود الدليل على موت منكورع المفاجيء ، بعد حكم ربما دام ثمانى عشرة سنة ، إذ نرى ذلك في جميع مبانى مجموعته الهرمية . ولا بد أن منكورع كان يريد السير على نهج خفرع في اقامة مبنى الوادى ومعبده الجنازى من الحجر الجيرى المكسى بالواح من الجرانيت المصقول ، وأن يكون طريقه الجنازى مشيداً من الحجر الجيرى . الا ان حفائر ريزنر قد أظهرت أن الخطة لم تنفذ ، وأن الجزء الأكبر من العمل قد تم بسرعة ب مواد من نوع رخيص ، أو أنها تركت دون اتمام . وبنيت أساسات مبنى الوادى بالحجر فقط ، بينما بنيت كل مبانيه تقريبا بالطوب اللبن ، أما الطريق الجنازى فقد كان رصيفا مكونا من الأحجار بنى عليها مهر من الطوب اللبن المطلوس من الداخل والخارج بالملاط الأبيض ، وكان مسقوفا بكتل من الخشب ، وأعدت أساسات المعبد الجنازى والقلب الداخلى لبعض مبانيه من الحجر الجيرى . وقد بدىء في وضع بلاطات من الجرانيت في الأرضية ، وكسوا بعض الجدران بالجرانيت ، ولكن الطوب اللبن كان المادة التي عم استخدامها في انجاز الجزء الأكبر من البناء .

وهناك عدد من المقابر والآثار التي تركها أصحابها دون أن يتموها وقام بعدهم أبناؤهم أو خلفاؤهم باتمامها ، وعلى هذا يكون أمراً متمشياً مع المنطق اذا قلنا ان الملك شبسسكاف — الذى يعتقد أنه خلف منكورع على العرش — هو الملك الذى أتم بالطوب اللبن المجموعة الهرمية لسلفه منكورع . وأحد النصوص التي عثر عليها في المعبد الجنازى يدل على أن شبسسكاف هو الذى أخذ على عاتقه اتمام المجموعة الهرمية ، إذ يقرر أنه « صنع (المعبد) كتذكار لوالده ملك الوجه القبلى والبحرى (منكورع) » .

Herodotus, Book II, 133.

(١) ترجمة رولنسن

ولكن كلا من مبنى الوادى والمعبد الجنازى قد ربما وعدل تصميمهما في عصر متأخر . ونسب ريزنر هذه الاصلاحات وهذه التغييرات الى الكهنة الذين كانوا قائمين بالخدمة في المعبد في عصر الأسترتين الخامسة والسادسة . وأشار الى أن عملهم ربما لم يصدر عن شعورهم بالواجب فحسب ، بل بدافع من المصلحة الشخصية . إذ أنهم - ككهنة جنائزيين - كان لهم الحق فى التمتع بإيرادات الوقف السخى الذى أوصى به الملك المتوفى ، فى مقابل خدمته فى المعبد ، وكان لهم أيضا الحق فى سكنى مدينة الهرم ، وهى عبارة عن مبان مسورة الصقت بمبنى الوادى ، كان يعنى سكانها من دفع ضرائب معينة . ولكى يضمنوا لأنفسهم هذه الامتيازات أصبح من الواجب عليهم أن يحتفظوا بكيان المبانى سليما ، وأن يفعلوا بعض ما يظهرهم بأنهم قائمون بالطقوس اللازمة فى المعبد . واختلفت الاصلاحات القديمة والجديدة من الناحية المعمارية والترتيب الداخلى عن مبانى خفرع ، ولكن لم تدخل عليها أية تغييرات أساسية فى تكوينها العام .

واكتشف ريزنر أثناء حفائره فى مبنى الوادى وفى المعبد الجنازى عددا كبيرا من التماثيل الكبيرة والصغيرة ، معظمها يمثل الملك اما بمفرده أو كفرد فى مجموعة ، إذ كان من بين ما عثر عليه فى مبنى الوادى بعض مجموعات تماثيل من حجر الاردواز تحوى كل منها ثالوثا مكونا من الالهة حاتحور والملك وأحد آلهة الأثانيم (لوحة ٩) . ولا شك أن منكاورع كان يريد أن يكون لديه اثنتان وأربعون من هذه المجموعات الثلاثية ، تمثله كل منها فى صحبة اله والهة من آلهة الأثانيم ، غير أنه لم يعثر الا على أربع فقط منها وبعض أجزاء أخرى ، وربما لم يتم عمل العدد الباقى أبدا .

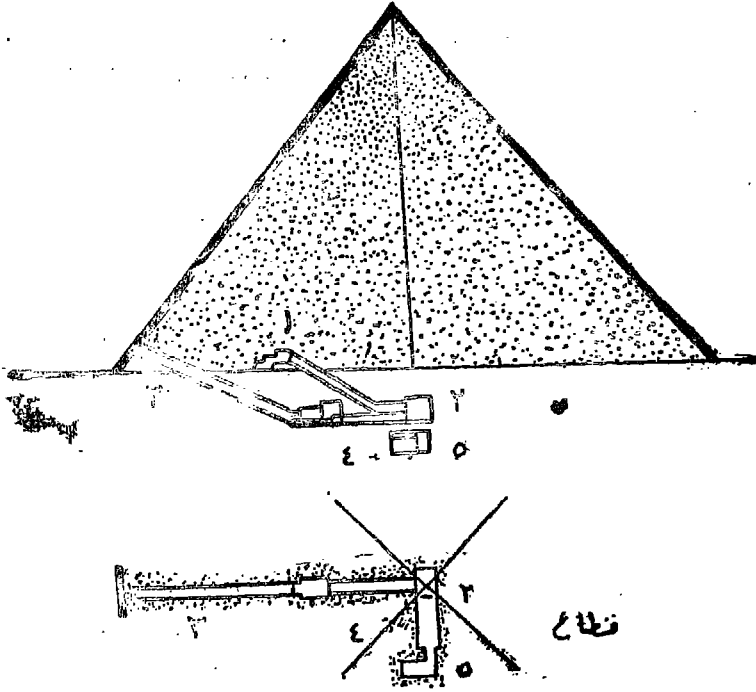
وعثر ريزنر أيضا على قطع فنية أخرى فى مبنى الوادى ، منها تماثيل يجمع بين الملك منكاورع والملكة خع - مرو - نبتى الثانية ، (لوحة ١٠) . وهذه التماثيل كلها أعمال فنية ممتازة يمكن مقارنتها بأحسن القطع الفنية التى عرفت من نوعها حتى الآن ، فقد نحتت كلها على أساس الطراز الفنى الطبيعى الذى يميز تماثيل هذه الدولة . وكان من نتيجة ذلك أنها وصلت الى درجة عالية من العناية باظهار بعض المميزات الفردية فى كل منها . ففى الأشكال الثمانية التى نرى فيها وجه الملك لا نجد اثنين منها يتشابهان تماما ، ولكن معظمها يبين الوجه بعينين منتفتحتين قليلا ، وأنف مكسور ، والشفة السفلى مدلاة ، ويشبه

الوجه في كثير من مظهره وجه خفرع كما نراه في تمثاله الشهير المصنوع من الديوريت (لوحة ٨) ولكن عظام الخدين في الأخير أعلى والوجه أضيق .

وهناك خمسة عشر تمثالا صغيرا. لهذا الملك تركت دون اتمام ، ويمكن تفسير ذلك بموت الملك المفاجيء وشح خلفه . ولئن كان ترك هذه التماثيل الصغيرة دون اتمام أمرا يؤسف له دون شك يجرمنا مما كنا نتوقعه من جمال فنى ، الا أنها بحالتها الراهنة تلقى كثيرا من الضوء على الطريقة الفنية التى كان يستخدمها المثالون المصريون ، ولهذا فهى الآن أهم مما لو كانوا قد أتموا نحتها . وقد قام ريزنر بفحص دقيق لهذه التماثيل ، وتمكن من تمييز ثمانى خطوات فى تطور العمل ، يماثل بعضها الخطوات المختلفة التى نراها فى التماثيل غير التامة فى مناظر صناعة التماثيل فى نقوش جدران المقابر .

ويشغل هرم منكورع أقل من نصف المساحة التى أقيم عليها الهرم الأكبر . ويبلغ طول كل ضلع فى القاعدة ٣٥٦٥ قدم ، والارتفاع العمودى له الآن ٢٠٤ أقدام ، وكان عند تشييده يزيد أربعة عشر قدما . وكسى الجزء الأعلى منه بالطريقة العادية بأحجار منحوتة من أحجار طره الجيرية . ولكن الستة عشر مدماما السفلية كانت مكسية بالحجر الجرانيتى الوردى ، وقد ترك بعض منها دون اتمام . ومن المرجح أن منكورع كان يريده كساء الهرم كله بالجرانيت ، ولذا يمكن أن نقول ان تغيير المادة بين الحد الذى وظل فيه العمل عند وفاته . ومن ناحية أخرى فربما كان الجمع بين الحجر الجيرى والجرانيت عن قصد ، وفى هذه الحالة يكون البرهان الوحيد على موت الملك المفاجيء هو وجود أحجار الجرانيت غير المصقولة عند القاعدة .

أما فى الداخل ، فهناك على الأقل تغيير واحد فى التصميم ، وربما تغييران . فالتصميم الأول يتكون من ممر منحدر من النوع المعتاد (شكل ١٧ - ١) قطعوه فى الصخر ويؤدى الى حجرة الدفن المستطيلة الشكل ومحورها الأطول من الشرق الى الغرب ، وعندما عدلوا هذا التصميم عمقوا أرضية حجرة الدفن (شكل ١٧ - ٢) ونحتوا ممرًا ثانيا تحت الأول (شكل ١٧ - ٣) . ويظهر أن السبب الوحيد لهذا التغيير فى التصميم كان عزمهم على تكبير البناء العلوى للهرم ، وما يحتمه ذلك من تشييد الممر فى مستوى منخفض ، لكى يحتفظوا بموقع المدخل فى اواجهة الشمالية الجديدة فى مستوى مرتفع عن سطح



شكل ١٧ - هرم منكاورع . قطاع في اتجاه الناحية الغربية ، مع رسم قطاع أفقي

الأرض تقريبا ، وقد كسى المر الجديد من المدخل بالجرانيت الى النقطة التي يبدأ عندها دخوله في الصخر . وعند أسفل المنحدر اتسع الجزء الأفقي من امتداد المر ، وأصبح ردهة زينت جدرانها الصخرية بدخلات وخرجات منحوتة في الصخر ، ووضعت ثلاث سقطات من الجرانيت في هذا المر بين تلك الردهة وبين حجرة الدفن .

ولم يشمل التصميم الثالث والأخير أى تغيير في المشروع الأول ، بل اقتصر على اضافة حجرتين : اولاهما لوضع الاشياء التي رغب الملك في أن تكون قريبة من جثته ، أما الثانية فهي حجرة دفن جديدة . ويمكن الوصول الى هاتين الحجرتين عن طريق منزلق ينحدر جهة الغرب من وسط أرضية حجرة الدفن الأصلية وينتهي بمر قصير أفقي . أما المخزن الذي يقع على الجانب الأيمن من المر فيمكن الوصول اليه عن طريق بضع درجات (شكل ١٧ - ٤) ، وهو حجرة مستطيلة فيها أربع حجرات صغيرة عميقة في الجدار الشرقي واثنتان في الجدار الشمالي ، والحجرة كلها مقطوعة في الصخر . وتقع حجرة الدفن الجديدة في نهاية المر (شكل ١٧ - ٥) وقد شيدت كل جدرانها

وأرضيتها وسقفها من الجرانيت . وقطعوا الجانب الأسفل من سقفها
المديب على شكل مدور لتثبته بذلك السقف المقبى (الشبيه بالبرميل) .

وقد عثر الكولونل هوارديفيس داخل هذه الحجرة على تابوت
مستطيل من حجر البازلت زينت أوجهه على شكل دخلات وخرجات .
ولسوء الحظ ضاع هذا التابوت الجميل — الذى كان يحوى أصلا جثة
مناورع — عندما غرقت السفينة التى كانت تنقله الى إنجلترا أمام
شاطئ اسبانيا . واكتشف الكولونل فيس فى حجرة الدفن الأضلية
بعض العظام الآدمية ، وغطاء تابوت خشبى على هيئة انسان
(Anthropoid) عليه اسم مناورع . وهذا الغطاء موجود الآن فى
المتحف البريطانى ، ولا يمكن أن يكون قد صنع فى عهد مناورع لأنه على
نمط لم يستخدمه المصريون قبل العصر الصاوى .

أما تحديد صاحب العظام فهى مسألة شائكة ، لأنه لا يوجد أى
برهان على أنها خاصة بذلك الملك . واعتقد « بورخارت » — وهو تحت
تأثير تاريخ غطاء التابوت — أن كل التصميم الثالث للهرم كان من
عمل المرممين الصاويين ، الذين وجدوا عند دخولهم الهرم أن حجرة
الدفن العلوية فى حالة فوضى ، وأن بقايا الجثة مبعثرة ومعرضة
للأنظار . ولكن بعد أن أعلن « بورخارت » وجهة نظره هذه كشفت
الحفائر عن مقبرة شبسسكاف وثبت أنها تحتوى على مخزن وحجرة للدفن
يشبهان فى طرازهما مثيليهما فى هرم مناورع .

ومن ذلك لا نرى أى داع للشك فى أن التصميم الثالث يرجع
تاريخه الى عهد مناورع نفسه . أما ما قام به الصاويون فلم يزد على
وضع الجثة فى تابوت داخلى جديد ، ثم اعادتها الى تابوتها الأضلى ،
ولم يقوموا بعمل أى تغييرات فى البناء من أى نوع كان .

ويقع الى جنوب هرم مناورع صف من ثلاثة أهرام اضافية ،
لم يتم العمل فى أى واحد منها على الأرجح ، ويقع أكبرها فى الطرف
الشرقى من هذا الصف ، وكسى جزء منه — مثل الهرم الأضلى —
بالجرانيت . ولكن العمل فى الهرمين الثانيتين لم يتقدم بعد البناء
الحجرى ، إذ أهمل العمل فيهما . وفى الناحية الشرقية من كل هرم بنوا
معبدا جنازيا صغيرا من الطوب ، ولذا فمن المحتمل أن يكون شبسسكاف
هو الذى بناها بعد موت مناورع .

ولم يظهر أى دليل على شخصية أصحابها أثناء حفائر ريزنر لهذه
الأهرام ، ولكن حجم الأول منها يجعلنا نظن أنه كان للملكة خع
— مرر — نبتى الثانية ، وهى الزوجة الملكية الأولى . واكتشف

الكولونل فييس في الهرم الثانى منها تابوتا صغيرا من الجرانيت وبعضى العظام الآدمية التى قال انها كانت لامرأة شابة ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون هذا الهرم قبرا للملكة شابة أو أميرة . أما صاحب الهرم الواقع فى أقصى الغرب من هذا الصف فلا يعرف عنه شىء .

وعلاوة على الأهرام الثلاثة الكبيرة فى الجيزة وهرمى سنفسرو فى ميدوم ودهشور ، فما زال هناك هرم آخر للملك من ملوك الأسرة الرابعة وبانيه هو « ددف - رع » الذى حكم بين خوفو وخفرع ، وقد اختار له مرتفعا يشرف على الوادى عند أبو رواش على بعد خمسة أميال الى الشمال من منطقة أهرام الجيزة . ولم يبق من بنائه العلوى الا النزر اليسير ، ومن المستحيل أن نقدر أبعاده الأصلية أو نجرؤ حتى على القول بأنه تم بناؤه . ويتكون بناؤه السفلى من خندق مكشوف ، ينحدر الى أسفل نحو قاع بئر عمودية يبلغ عمقها نحو ٣٠ قدما ، وعرضها ٣٠ قدما من الشمال الى الجنوب ، وطولها ٧٠ قدما من الشرق الى الغرب .

ومن الغريب أن ددف - رع اختار العودة الى تصميم الخندق المكشوف والبئر العمودية الخاصين بالأسرة الثالثة ، فى حين أن سلفه خوفو قد نجح فى بناء الأجزاء السفلية من قبره بطريقة تستنفد مجهوداً أقل من مجهود عمل خندق ، ولكن ربما كان اختلاف نوع الصخر فى الهضبتين هو السبب فى ذلك .

ولا شك أن الاعتبارات الخاصة بطبيعة المنطقة هى التى حددت خط الطريق الجنازى ، الذى بدلا من أن يسير من الشرق الى الغرب نراه يتصل بالمعبد الجنازى من الشمال ، وذلك لأنه باتباع هذا الخط أمكن استخدام إحدى الهضبات الصخرية ، وبذلك قلت كمية البناء اللازمة للعلو به الى المستوى المطلوب . وقدر بترى - الذى قام بدراسة هذا الطريق الجنازى - أن طوله كان حوالى ميل وارتفاعه فى بعض المواقع ٤٠ قدما . ولا يظهر الآن أى أثر لبنى الوادى ، ولكن قدراً كافياً من المعبد الجنازى ما زال قائماً كالمعتاد أمام الواجهة الشرقية للهرم ويكفى لاستخلاص رسمه التخطيطى . وبنيت جدرانها من الطوب اللبن ، مما يرجح أن هذا المبنى شيد بسرعة بعد موت صاحبه . وتقع الى جنوب هذا المبنى مباشرة حفرة عميقة ينبئ شكلها أنها حوت يوماً مركبا من مراكب الطقوس الدينية .

ولم يبين شيبسكاف ، الذى أكمل مجموعة منكاورع الهرمية ، لنفسه هرماً . وقد قام مرييت فى عام ١٨٥٨ بفحص قبره فى سفارة ، ولكنه

قال خطأ ان صاحبه هو الفرعون أوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة ،
ثم قال بعد ذلك انه قبر أتي (Aty) خليفة أوناس .

و في عام ١٩٢٤ قامت مصلحة الآثار المصرية بعمل حفائر في المنطقة
تحت ادارة جوستاف جيكييه (Gustave Jequier) فتوصل الى
معرفة صاحبه الحقيقي ، ويعرف هذا القبر باسم « مصطبة فرعون » ،
وقد شيد على شكل تابوت ضخم مستطيل فوق رصيف واطيء على
الأرجح . وتميل جوانب هذا التابوت الى الداخل بدرجة تبلغ حوالى
٦٥ ° ، وترتفع نهايته المربعة فوق مستوى سطح سقفه المقبى . ولم يبق
منه الآن الا قلب البناء المبنى بالحجر المطى ، ولكنه كان فى الأصل
مكسيا بأحجار طرة الجيرية ، وعملت له « وزرة » من الجرانيت .
وأقيم فى الجانب الشرقى منه معبد جنازى صغير ، يخرج من ركنه
الجنوبى الشرقى طريق جنازى طويل بنيت جدرانه بالطوب اللبن
ويتجه الى أسفل ويصل الى مبنى الوادى .

وبنت ملكة تسمى خنت كاسوس — التى ربما كانت زوجة
لشبسسكاف — فى المساحة الواقعة بين الطريقين الجنائزين لخفرع
ومنكاورع قبرا يشبه تماما مصطبة فرعون . وظن فى وقت ما أنه
هرم لم يتم ، ولكن الحفائر الحديثة التى قام بها الأستاذ سليم حسن
على نفقة جامعة القاهرة اثبتت أن بناءه العلوى كان على شكل تابوت
فوق قاعدة مربعة عالية . ونحت معبده الجنازى — الذى يتكون من
ثلاث حجرات فقط — فى قلب صخرة القاعدة ، أى أنه ليس بناء
منفصلا . ويجرى الطريق الجنازى أولا نحو الشرق ، ثم ينحرف
بزاوية قائمة تماما نحو الجنوب ، وينتهى عند مبنى الوادى الذى يمتد
حتى يصل الى نهاية طول مبنى الوادى الخاص بمنكاورع .

وإذا القينا نظرة عامة على أهرام الأسرة الرابعة نجد أنها امتازت
دون شك بالليل الى الضخامة فى البناء ، وقدر ريزنر أن بعض الكتل
من الأحجار المحلية المبنية فى جدران معبد منكاورع الجنازى تزن
أكثر من ٢٢٠ طنا ، فى حين ان بعض كتل الجرانيت التى جاؤوا بها
من أسوان — أى من مسافة تبعد ٥٠٠ ميل — يزيد عن ٣٠ طنا .
ولاستخدام مثل هذه الكتل الهائلة فائدتان رئيسيتان ، أولاهما
الحصول على متانة أكثر ، وثانيتها تقليل عدد اللحامات فى المبانى .

وما كان في استطاعة خوفو — الذى ربما كان مجنوناً بحب العظمة — أثناء حكم دام نحو ٢٣ سنة أن يقيم بناء في حجم ومثانة الهرم الأكبر ، لو لم يكن بناؤه قد بلغوا قدراً عظيماً من التقدم الفنى أعانهم في معالجة رفع الأحجار المفرطة في ثقل الوزن وعظم الحجم ، وليس أدل على اتقانهم الكامل لهذا الفن من ملاحظة بترى بأن سمك اللحامات في كسوة الهرم الأكبر واحد على خمسين من البوصة .

والى جانب اتقانهم الكامل لفن رفع كتل الأحجار الثقيلة فقد أتقنوا أيضاً فن قطع ونحت الأحجار الصلبة . فمنذ وقت مبكر ، يرجع الى الأسرة الأولى ، استخدموا الجرانيت في تخطيط حجرة ، بينما بنيت حجرات الدفن الصغيرة في هرم زوسر المدرج وفي المصطبة الجنوبية كلها من هذه المادة ، ولكنهم لم يبنوا الا في الأسرة الرابعة نقط مبانى في حجم مبنى الوادى أو معبد خفرع الجنائزى يكسونها كلها بالجرانيت . واستخدموا حجر البازلت أيضاً من حين لآخر قبل الأسرة الرابعة بمدة طويلة ، ولكنهم لم يستخدموه بالكمية التى نراها في تخطيط أرضية معبد خوفو الجنائزى أو تابوت منكورع المقفود .

وقد كان من رأى بترى أنه كان لأحد الأهرام الاضافية للهرم الأكبر حواجز من البازلت تمتد أسفل كل ركن ، لتحول دون ما يتعرض له من التهدم أو التأثيرات الجوية .

وتقدم صنع التماثيل أثناء الأسرة الزابعة تقدماً محسوساً في الكم والقيمة ، وحسب ريزنر — بعد أن فحص كل أجزاء التماثيل المكتشفة في مبنى الوادى ومعبد خفرع الجنائزى — أن مجموعة الهرم الثانى وحدها كانت تحتوى بين مائة تمثال ومائتين . وربما صنع عدد مماثل من التماثيل للهرم الأكبر وهرم منكورع ، وبذا يصل المجموع الإجمالى للتماثيل في المجموعات الهرمية الثلاث الى عدد لا ينقص الا قليلاً عن خمسمائة تمثال . وقد ظهر الأثر الكامل لهذه النهضة الفنية في صنع التماثيل التى شجعها أولئك الملوك ، عندما جاءت الأسرتان التاليتان واحتوت كل مقبرة خاصة في الجيزة وسقارة على تماثيل لصاحبها . وتثبت تلك التماثيل القليلة نسبياً التى عثر عليها في مجموعات الأهرام الثلاث في الجيزة ، أن المصريين كانوا قد وصلوا الى اظهر الملاح كما كانت في وجوه أصحابها أكثر من أى تماثيل صنعت فيما سبق ذلك من عصور .

ومما يستلفت النظر كثرة انتاج التماثيل وعدم وجود أى أثر للنقوش فى المجموعات الهرمية الخاصة بالأسرة الرابعة ، والأمثلة الوحيدة لتلك النقوش هى التى كشفت عنها الحفائر فى معبد خوفو الجنازى وفى هيكل الهرم الثانى من أهرامه الجانبية ، ولكنه قد عثر على أحجار منقوشة من معابد خوفو وخفرع فى مبان من الدولة الوسطى فى اللشت كانوا قد أخذوها من الجيزة . وتبين كل هذه النقوش أن فن نحت الأحجار بالنقوش البارزة - التى نرى أمثلة منها فى ممرات الهرم المدرج والمصطبة الجنوبية - لم يندثر أثناء الأسرة الرابعة ، وما لم يخبىء لنا المستقبل بعض اكتشافات غير منتظرة فيجب أن نقرر أنها لم تكن مستعملة على نطاق واسع (١) .

(١) اكتشف الدكتور أحمد فخرى فى مبنى الوادى لهرم سنفرى بدمشور كثيرا من النقوش التى كانت تغطى مساحات كبيرة من جدرانه وأعمدته ، وهى غاية فى الاتقان والجمال الفنى والأهمية - (العرب) .

الفصل الخامس

أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة

وبالرغم من افتقارنا الى وجود وثائق تاريخية فان في امكاننا التكهن بطبيعة الحوادث السياسية التي أحاطت بنهاية الأسرة الرابعة من عدد من المعلومات غير المباشرة ، فقد أفصح خلفاء خوفو الثلاثة (ددفرع وخفرع ومنكاورع) عن اعتراقهم باله الشمس رع بوجوده في تكوين أسمائهم . وهناك أيضا بعض القرائن على أن خفرع ومنكاورع اتخذوا اللقب « ابن رع » ، وهو لقب ملكى أخذ يظهر في أسماء الفراعنة ابتداء من الأسرة الخامسة . ولهذا فمن المعقول أن نستنتج من ذلك أن عبادة الشمس كانت قائمة في عهد هؤلاء الملوك ، وأنها حلت محل عبادة أتوم التي كانت أقدم منها في هليوبوليس ، ولكن عند نهاية الأسرة الرابعة نرى أن شبسسكاف لم يخالف من سبقوه في اختيار طراز دفنه فحسب ، بل انه - حسب ما وصلت اليه معلوماتنا - لم يتبع ما كانوا يسيرون عليه من اعترافهم الصريح بصلتهم بالاله رع في أسمائهم والقباهم . وسواء أكان منقاداً في ذلك بدوافع دينية أو ضرورة سياسية فان هذا لا يمكن أن يقلل من الحقيقة الواقعة . ولكن نظراً لما نعرفه عن المصريين في جميع العصور من حذر ومحافظه في الأمور التي تتعلق بالدين والحياة في العالم الآخر ، نجد من الصعب أن نعتقد أن شبسسكاف كان سيدخل مثل هذه التغييرات الأساسية ما لم يفكر في أن قوة كهنة رع المطردة تهدد تهديدا مباشرا سلطة واستقلال العرش . وفشل نضال شبسسكاف - الذي كان في أغلب الظن ساليا ولم تصحبه عداوات مريرة - في احراز أى نجاح دائم ، لأنه بعد وفاته ، بعد حكم دام أقل من أربع سنوات ، اعتلى العرش طائفة من الملوك الذين رفعوا من شأن عبادة الشمس وجعلوها دين الدولة الرسمي .

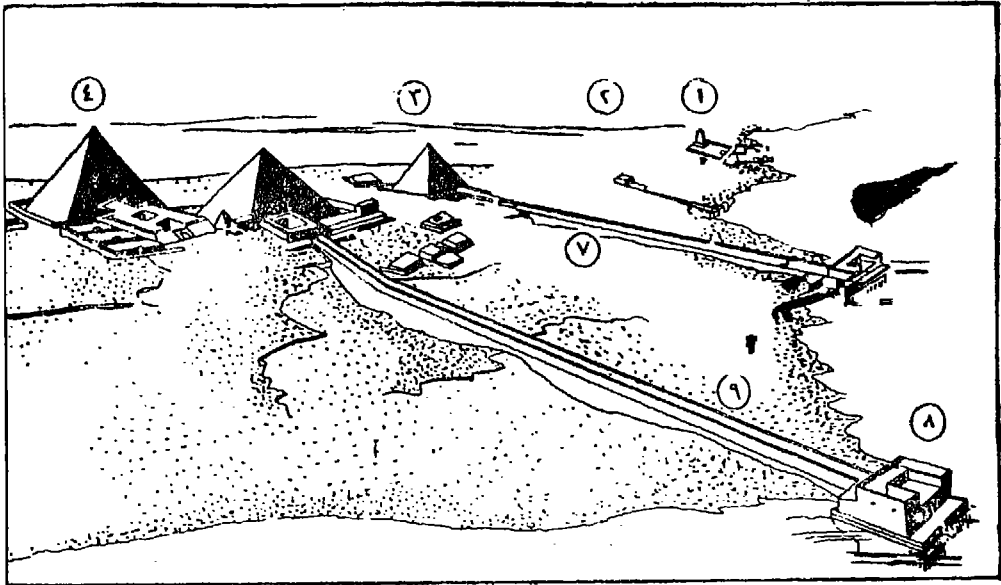
وحفظت لنا بردية في متحف برلين تسمى « بردية وستكار » أسطورة عن أصل الأسرة الخامسة ربما كان فيها شيء من أصل الحقيقة،

وتاريخ البردية نفسها يرجع على الأرجح الى عصر الفترة الثانية ، ولكنها كانت بكل تأكيد نسخة من مخطوط أقدم منها . وبناء على هذه الأسطورة كان الملوك الثلاثة الأول لهذه الأسرة - أوسركاف وساحورع ونفرار كارع - توائم ثلاثة للاله رع ولدتهم زوجة كاهن من كهنة رع . وربما كان أوسركاف من عائلة كهنة ووصل الى منصب الكاهن الأعظم في هليوبوليس قبل اعتلائه العرش .

أما أمه نفرحتبس Neferhetepes فيرجح أنها كانت بنتا لدندرع ، ومن المرجح أيضا أن ساحورع ونفرار كارع كانا أخوين من أبناء شبسسكاف وختت - كاوس ، ولكنها لم يحاولا أن يعيدا ما يدها أبوهما من خروج على الدين .

وبنى كل من هؤلاء الملوك الثلاثة وثلاثة من خلفائهم معابد خاصة للشمس تمجيدا لرع . وقد ذكرت الكتابات المعاصرة ستة معابد ، ولكن لم يعثر الا على معبدي نى - أوسر - رع وأوسركاف (شكل ١٨ - ١ و ٢) ، والمعبد الأول في حالة حسنة جدا اذا تورن بالآخر ، وهو مشيد بالحجر وتم حفره في الأعوام ١٨٩٨ - ١٩٠١ بمعرفة لودويج بورخسارت وهانريش شيفر (Heinrich Schaefer) على نفقة البارون فون بيسينج (Baron von Bissing) وجمعية الشرق الألمانية (Deutsch Orient-Gesellschaft) (شكل ١٩) ، وقد أقيم على قمة منخفضة يقع على حافة الصحراء في أبو غراب ، على مسافة ميل تقريبا الى الشمال من بلدة أبو صير حيث بنى أوسر رع هرمه .

ويبدأ الطريق الجنائزى من مبنى صغير (مبنى الوادى) أقيم داخل مساحة كبيرة مسورة ، وبنوا فوق هذا الطريق ممرا مسقوفا يصل الى أعلى التل . وعند الطرف العلوى من الطريق الجنائزى ما زالت توجد بقايا فناء مبلط طوله ٣٣٠ قدما وعرضه ٢٥٠ قدما ، ومن أهم ما فيه قاعدة مستطيلة فوقها مسلة غير مرتفعة ، وهى الرمز المقدس لاله الشمس . وعند أسفل القاعدة يقوم مذبح منخفض لتقديم القرابين . مكون من خمس كتل من المرمر . وحفرت بالوعات فى البلاط لتصريف دم الحيوانات المقدمة قرابين على المذبح الى تسعة أحواض كبيرة من المرمر . وفى الجانب الشمالى من الفناء يوجد مكان مسور لتقديم القرابين وعدد من المخازن ، وفى خارج الفناء وفى الجهة الجنوبية منه نرى الى ناحية الجنوب أساسات من الطوب اللبن لحفرة كانت تحوى



شکل (۱۸) - اهرام أبو صیر . رسم تصویری لما كانت علیها عند تشييدها

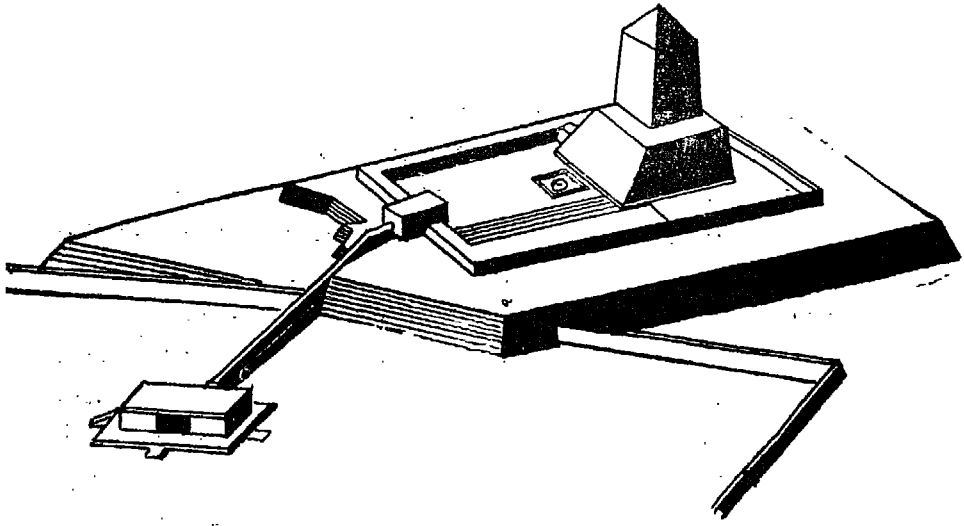
تمونجا للمركب التي كان يستخدمها اله الشمس في رحلته اليومية عبر السماء .

وكانت المعابد والمباني الجنازية في الأسرة الخامسة مليئة بكتوش ملونة على الجدران على أعظم جانب من الأهمية والقيمة الفنية . وفي المعبد الشمسي للملك نى - أوسر - رع نجد نقوشا بارزة ، نقلت الآن الى المتحف المصرى ومتحف برلين ، وكانت في ممر الطريق الجنازى ثم حول الجانبين الشرقى والجنوبى من الفناء ، وفي الهيكل الذى يقع بين نهاية الممر والمسلة . وتمثل هذه النقوش مواضيع مختلفة ومتنوعة ، ففيها كثير من النباتات والحيوانات التى خلقها اله الشمس ، وفيها أيضا مناظر الاحتفالات المتصلة بتأسيس المعبد واحتفالات الحب سد للملك . ويدل وجود مناظر الحب سد على أن هذا المعبد تم بين الا بعد عدة سنين - ربما ثلاثين سنة - بعد اعتلاء الملك للعرش . وليس من المعقول أن يكون نى - أوسر - رع قد تباطأ في بناء معبد الشمس حتى ذلك الوقت المتأخر من حياته ، ولهذا فربما يكون المبنى الحجرى قد بنى بدلا من معبد سابق من الطوب اللبن ، وأقامه لأجل استخدامه في حفلات الحب سد .

وقد عاد ملوك الأسرة الخامسة الى عادة بناء الأهرام التى نبذها شيسسكاف ، الا أن حجم هذه الأهرام ومراعاة الانتقان في تشييدها يقلان كثيرا عما كان في أهرام أسلافهم ، لأن قلب الهرم مبنى بأحجار صغيرة ثم كسوه بأحجار طره الجيرية . ونظراً لرداءة بنائها فقد حل الخراب بأهرام هذه الحقبة وتأثرت تأثراً بالغاً ، بل ان بعضها تقلص الى كومة من الرمل والرديم .

وبنى أوسركاف هرمه في سفارة على مقربة من الركن الشمالى الشرقى لسور الهرم المدرج ، ومن المحتمل أن قبر زوسر أصبح له تقديس خاص ، وربما اعتقدوا أن الدفن في حرمة يضى عليهم منافع خاصة ، وهذا يفسر لنا اختيار أوسركاف لمنطقة تبدو من وجوه عدة غير لائقة لاقامة هرم عليها .

فالى الشرق مباشرة ، حيث يقام المعبد الجنازى عادة ، ترتفع الأرض ارتفاعا كبيرا ، ولهذا لم يشيد الا هيكل صغير في الناحية الشرقية من الهرم ، وأقام المعبد الجنازى في الناحية الجنوبية مخالفا بذلك القاعدة العامة . وقد أثبتت الحفائر التى قام بها س . م . فيرث

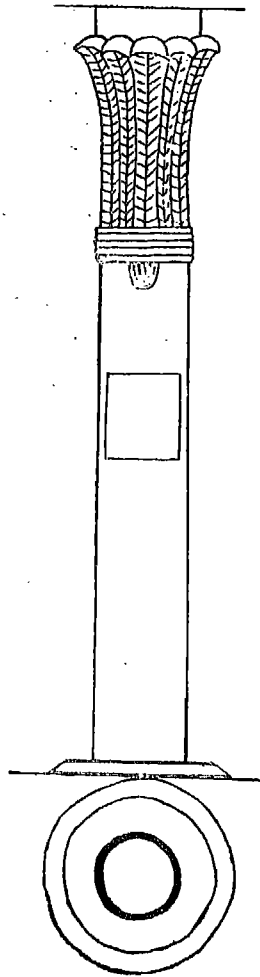


شكل (١٩) - معبد الشمس للملك نى • أوسر • رع

لحساب مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٢٨ - ٢٩. أن هذا المعبد تخرب في العصور القديمة ، واستخدموا موقعه في العصر الصاوى لبناء المقابر ، فشيّدوا مبانيها العلوية من أحجار معبد أوسركاف من الأهرام المجاورة . وكان تخريب المعبد كاملاً ، حتى أن كثيراً من تفاصيل رسمه التخطيطى - التى كانت غير عادية على ما يظهر - لا يمكن معزفتها الآن على وجه اليقين . وعثر الحفارون وسط الخرائب على أجزاء من مناظر نقشت بعناية نقشاً بارزاً ، تمثل الملك أمام الآلهة ، وفيها بعض مناظر من رحلات لصيد الطيور في أحراش الدلتا . واكتشفوا أيضاً رأس تمثال ضخم من الجرانيت الوردى للملك ، ولهذا الرأس أهمية خاصة لأنه الرأس الملكى الوحيد في الأسرة الخامسة ، وأقدم الأمثلة في التماثيل المصرية ، باستثناء تمثال أبى الهول ، التى تزيد على الحجم الطبيعى .

واختار ساحو رع ، ونفر اركارع ، ونى أوسر رع لأهرامهم هضبة على حافة الصحراء بالقرب من أبو صير (شكل ١٨ - ٣ و ٤ و ٥) ، وبينما تتفق مجموعتا هرمى ساحو رع ونى - أوسر رع في نظامهما مع القواعد المتبعة ، نراهما يفوقان في فخامتها الفنية كل ما بنى قبلهما . وقد قدر لودويج بورخارت الذى كشف عن هذه المجموعات الهرمية لحساب جمعية الشرق الألمانية بين أعوام ١٩٠٢ - ١٩٠٨ أن

مساحة سطح الجدران المغطاة بالنقوش البارزة في مجموعة ساحورع الهرمية وحدها بلغت نحو ١٠.٠٠٠ متر مربع . ولكن من سوء الحظ كان سكان المنطقة قد اكتشفوا أن حجر طره الجبى المنقوش يخرج أحسن أنواع الجير ، وكانت نتيجة ذلك أنه لم يبق من المساحة الأصلية الا حوالى ١٥٠ متراً مربعاً نجت من أولئك المخربين وكانت مكسرة الى قطع صغيرة لا حصر لها . وكان تخريب مجموعة نى أوسر رع الهرمية أكثر مما حدث لمجموعة ساحورع . أما مجموعة نفر اركارع الهرمية فمن المحتمل أن العمل لم يكن قد انتهى فيها وأوقفوه قبل تنفيذ كثير من النقوش التى كانوا يزمعون القيام بها .



شكل (٢٠) - عمود من الطراز النخيلى

وكان لمبنى الوادى فى معبد ساحورع مرفآن . أحدهما يواجه الشرق والآخر يواجه الجنوب (شكل ١٨ - ٦ ، شكل ٢١ - ١ و ٢) . وكان هناك منزلتان متصلان بالمرفان اما بقناة أو بالنيل الذى كان فى أيام فيضانته السنوى يمتد الى ما وراء مجراه العادى . وفى داخل الواجهة الشرقية من البناء شرفة مقامة فوق أعمدة ، بلاط أرضيتها من البازلت الأسود المصقول ، وسقفها من الحجر الجيرى المدهون بالأزرق ليحاكى السماء ومزين بنجوم ملونة بلون الذهب ، وكل عمود من الأعمدة الثمانية يتكون من قطعة واحدة من الجرانيت . أما الجدران فكانت من الحجر الجيرى المزين بالنقوش البارزة ولكن أفرزها الأسفل كان من الجرانيت . أما طراز الأعمدة فكان محاكاة لأشجار النخيل وقد ربط جريدها فى حزمة مكونة تاج العمود (شكل ٢٠) . وعلى كل عمود ، داخل اطار مستطيل ، وضعوا اسم الملك والقابه الهيروغليفية وملأوها بمعجون ذى لون أخضر . وشيدوا شرفة أخرى فى الواجهة الجنوبية للبناء ، وهى أقل فى اتساعها من الشرفة الشرقية ، وأرضيتها من الحجر الجيرى وأعمدتها أسطوانية ، وليس عليها أى نوع من التيجان . وكانت كل من الشرفتين تتصل ببهو على شكل حرف T ، وهذا البهو هو القاعدة الوحيدة فى هذا المبنى . وكان الملك يمثل فى النقوش التى فى هذا البهو اما على صورة أبى الهول أو بشكل أسد له رأس طائر يطاءً تحت قدميه آسيويين أو لبيبين أحضرهم الاله له أسرى مكبلين ، ويتكرر هذا المنظر - ربما مع اختلافات بسيطة - على الجدران الداخلية للطريق الجنازى فى نهايته السفلى (شكل ١٨ - ٧ وشكل ٢١ - ٣) .

واحتوى معبد ساحورع الجنازى على العناصر الأساسية الخمسة فى معبد خفرع ، وهى : بهو المدخل ، والفناء المكشوف ، وخمس كوات للمنايل ، والمخازن ، والمقدس . وبهو المدخل (شكل ٢١ - ٤) مخرب تخريباً تاماً الى درجة جعلنا عاجزين عن معرفة أى شئ عنه على وجه التأكيد ، ولكن أرضيته كانت من الحجر الجيرى وجدرانه من الحجر نفسه تغطيها نقوش بارزة ملونة ، وكان الأفرز الأسفل من تلك الجدران من الجرانيت . وبلط الفناء المكشوف (شكل ٢١ - ٥) بالبازلت المصقول ، واذا استثنينا مذبحاً من المرمر فى الركن الشمالى الغربى فقد كان هذا الفناء خالياً خلواً تاماً ، وأحيطت جوانبه الأربعة برواق يشبه فى مبناه الشرفة الشرقية فى مبنى الوادى فيما عدا سقفه المزين بالنجوم فقد كان محمولاً على صف واحد من الأعمدة النخيلية الطراز . وكانت جدران هذا الرواق مغطاة بنقوش تمثل

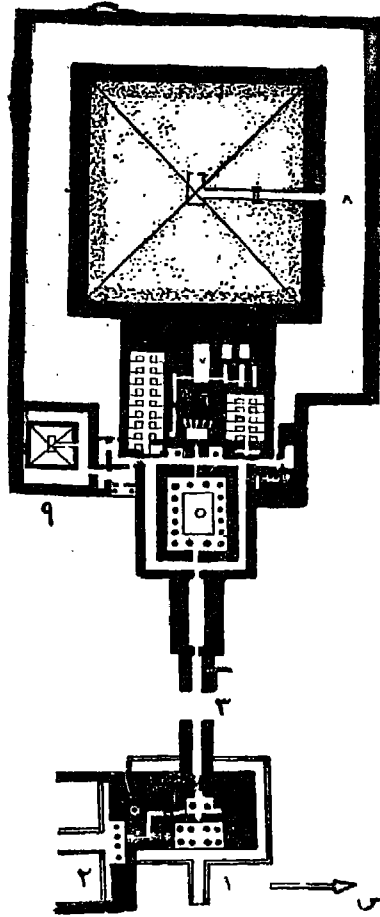
الملك ينتصر على أعدائه ، فالذين على الجانب الشمالى أسويون ، والذين على الجانب الجنوبى لبيون . وعلى أحد هذه النقوش ، التى عثر عليها فى الركن الجنوبى الغربى ، نرى ساحورع وهو يقتل زعيما لبييا أسيراً ، كما نرى اثنين من أبناء هذا الزعيم وامرأة — ربما كانت زوجته أو ابنته — يقفون متضرعين ، وهناك أسرى لبييون آخرون — بعضهم من النساء والأطفال — يتضرعون مثلهم . ونرى فى أماكن أخرى مبعثرة مناظر لحيوانات حية أخذت كغنيمة ، ذكروا عددها فى الكتابات المجاورة فمثلا ١٢٣٤٤٠ رأسا من الماشية ، ٢٢٣٤٠٠ حمار ، و ٢٣٢٤١٣ غزالا ، و ٢٤٣٦٨٨ من الغنم ، ولكنهم لم يرسموا ذلك العدد الهائل من الحيوانات بل رمزوا لها بعدد قليل من كل منها .

وهناك مناظر أخرى مشابهة يبلغ عددها أحد عشر منظرا عثر عليها على بقايا مباني هذا الرواق ولكنها محطمة الى درجة لا يمكن معها إعادة تركيبها أو فهم تفاصيلها .

وهناك مهر عريض يحيط بالفناء وهو مبلط أيضا بالبازلت ومزين بالنقوش . وأمكن بدراسة الأجزاء الباقية من نقوش هذا الممر التأكد من أنها تختلف كثيراً فى طبيعتها عن تلك التى فى الفناء أو الطريق الجنازى . فكان على الجانب الشمالى منه مناظر تمثل الملك وهو يطعن بحريته سمكة كبيرة ، أو تمثله وهو يصطاد الطيور بعصا الرماية .

وعلى الجانب الجنوبى نقوش يبلغ طولها ٣٠ قدما تقريبا تمثل الملك وهو يصيد الحيوانات ، ويقف وراءه خليفته على العرش نغر اركارع وعدد من حاشيته وأمامه مجموعة من الآرام والغزلان والأبائل وحيوانات أخرى ذات قرون ، يسوقها رجال يضربونها لتدخل الى أرض متسعة مسورة حيث يرميها الملك بسهام من قوسه ، وتمسك كلاب الصيد بعضا من الحيوانات المجروحة من نحورها لاحضارها للصيادين . ونرى هنا وهناك شيئا من التنوع فى المناظر ببعض أشياء مسلية ، كتصوير فأر الغيط (اليربوع) والقنفذ وهما يختفيان فى جحريهما أو الضبع وهو يحاول أخذ ريم جريح ليلتهم جزءاً منه . ويرجع الفضل فى حفظ هذه التحفة الممتازة من النقش الفنى الى محض الصدفة ، اذ تحول هذا الجزء من الممر فى العصور المتأخرة فأصبح هيكلًا للالهة سخمت الهة النار .

ومن أهم النقوش في المعبد كله تلك التي كانت على الجدار الشرقي للممر الغربي . فالى يسار الباب الذي نغادره من الفناء المكشوف كان يقف الملك بصحبة رجال بلاطه وهم يشاهدون رحيل اثنتى عشرة سفينة بحرية ذاهبة الى أرض غير معينة ، ربما فلسطين أو سوريا . ويقابل تلك المناظر في الناحية الجنوبية للباب منظر الملك مع حاشيته يشاهدون وصول السفن وقد عادت محملة ومعها عدد من الآسيويين . ونحن لا نعرف ان كانت هذه السفن قد خرجت في مهمة حربية أو لغرض تجارى . ولهذا ربما كانت حمولتها جزية أو بضائع تجارية ، ولا نعرف أيضاً أن كان الآسيويون أسرى حرب أو عبيداً اشتروهم . وقد



شكل (٢١) - المجموعة الهرمية لساحورع

استورد المصريون الخشب من سوريا في عهد سنفرى ، ولهذا لا يمكننا أن نعتبر هذه الحملة شيئاً جديداً استحدثه ساحورع .

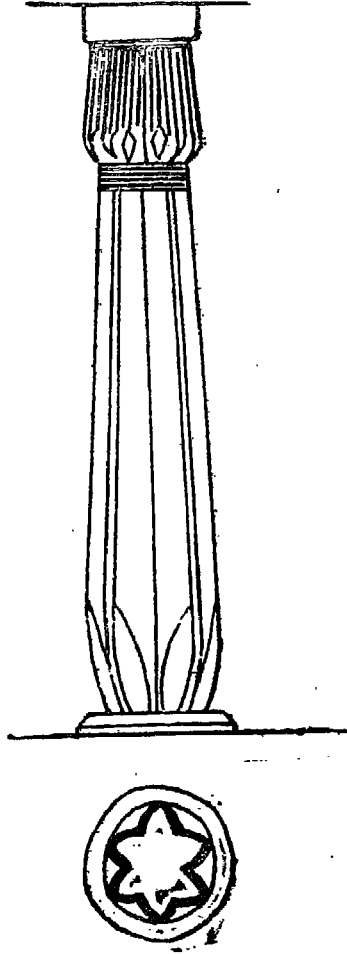
ويمكن الدخول الى جميع أجزاء المجموعة الهرمية بطريق مباشر أو غير مباشر من الممر الغربى . ويمكن الوصول عن طريق باب فى الطرف الشمالى الى داخل حرم الهرم أو الى سلالم تؤدى الى سقف المعبد ، ويؤدى باب آخر فى الطرف المقابل من الممر الى داخل حرم الهرم ، وكذلك الى فناء الهرم الجانبى (شكل ٢١ - ٩) والى مدخل جانبى للمجموعة الهرمية . وفى وسط الممر على الجانب الغربى يوجد ممر يعقبه بضع درجات تؤدى الى حجرة صغيرة فيها السكوات الخمس للتماثيل (شكل ٢١ - ٦) . وفى الجدار الجنوبى لهذه الحجرات باب هو الطريق الوحيد للوصول الى المقدس (شكل ٢١ - ٧) والى خمس حجرات خلفه كانت اثنتان منها على الأقل تستخدمان فى إقامة نوع من الطقوس فى حفلات المعبد الدينية .

ويبلغ طول المقدس حوالى ٤٥ قدما وعرضه نحو ١٥ قدما ، ويحتل أن تكون أرضيته قد بلطت بالزمر ، وهو المادة التى صنعوا منها المذبح المنخفض القائم عند أسفل الباب الوهمى الجرانيتى فى الجدار الغربى .

والجدران الشمالية والجنوبية والشرقية كانت مشيدة من أحجار جيرية ومزينة بنقوش تمثل الآلهة وهى تحضر الهدايا من الأطعمة للملك ، أما أفاريزها السفلى فكانت من الجرانيت .

ويمكن الوصول الى المخازن - وهى فى صفين متقابلين - عن طريق ممرات تبدأ من دخلتين عميقتين فى الجدار الغربى من الدهليز الغربى . وهى سبعة عشر مخزنا تصل اليها من الدخلة الجنوبية وعشرة مخازن من الدخلة الشمالية . ويحمل سقف كل دخلة عمود من الجرانيت ارتفاعه ١٢ قدما على هيئة حزمة مكونة من ستة جذوع من نبات البردى مربوطة مع بعضها ، وكونت براعمها تاج العمود (شكل ٢٢) . وبنيت المخازن فى مجموعات من طبقتين ، وكل مخزن حجرة واحدة ، ولكل مجموعة سلمها الخاص . ومن المحتمل جداً أن المجموعة الصغيرة من المخازن كانت للاحتفاظ بالأشياء النفيسة ، مثل الأوانى المزخرفة والتمائيل المذهبة التى يستعملها الكهنة الجنازيون فى مناسبات خاصة .

وعلى بعض القلع المنقوشة من جدران احدى الحجرات نرى الملك ممسكا بطية . ولهذا فمن المحتمل أن تكون هذه الحجرة مخزنا لوضع النياشين الذهبية التي كان الملك يكافئ بها موظفيه اعترافا بخدماتهم الممتازة ، وربما كانت المخازن في المجموعة الكبيرة تستخدم لتخزين بعض الاواني والأطعمة .



شكل (٢٢) - عمود من طراز حزمة البردى

ومن أهم معالم مجموعة ساحورع الهرمية ذلك النظام الدقيق لتصريف المياه التي كانت تسقط على السقف فتصرف من ميازيب على هيئة رعوس الأسود ، تبرز من أعلى الجدران الخارجية . أما في

الأجزاء المكشوفة (غير المسقوفة) فى المجموعة الهرمية فان ماء المطر الذى يسقط فيها ينصرف من فتحات عند أسفل الجدران الخارجية بعد أن يصل إليها عن طريق قنوات محفورة فى أحجار بلاط الأرضية . الا أنه كانت هناك طريقة أخرى لتصريف المياه ونقل المياه والسوائل الأخرى التى كانت تستخدم أثناء اقامة الاحتفالات فى المعبد ، والتى أصبح بعضها نجسا من الناحية الدينية ولذلك كان من الخطر لمسها . فقد وضعوا فى أجزاء مختلفة داخل المعبد خمسة أحواض من الحجر ، مغلقة بالنحاس ولها سدادات من الرصاص تحكم غلق فتحاتها . اثنان منها فى الحجرات الواقعة خلف المقدس ، وواحد فى المقدس نفسه ، وآخر فى الممر المؤدى الى المقدس ، والأخير فى مجموعة المخازن الصغرى . وركبوا فى هذه الأحواض مواسير من النحاس لتوصلها بأنابيب نحاسية تجرى تحت أرضية المعبد الداخلى والفناء المكشوف وبهو المدخل والطريق الجنازى حتى طرفه السفلى حيث تنتهى الى منفذ فى الجانب الجنوبى ، وذلك كله لتصريف المياه الى خارج المعبد ، ولا شك أن المصريين استخرجوا المعدن اللازم لهذه الأنابيب من مناجم سينا أو مناجم الصحراء الشرقية ، لأن طولها أكثر من ألف قدم . وان فى استعمال مثل هذه الكمية من هذا المعدن النفيس ، دليلا واضحا على الأهمية التى كان ساحورع يعلقها على وجودها فى معبده .

وتهدم هرم ساحورع تهتما بالغا سواء من الخارج أو الداخلى . وكان طول ضلع قاعدته عندما كان تاما ٢٥٧ قدما ، وكان ارتفاعه العمودى نحو ١٦٢ قدما ، ولم يبق من كسوته الأصلية التى كانت من أحجار طره الجيرية الا بعض قطع ، غير أن جزءا كبيرا من قلب بنائه ما زال سليما . وقد سد معظم الممر المؤدى الى حجرة الدفن سدا كاملا بانهيأ بنائه ، ولهذا لا يمكن المرور فيه . أما مدخله فهو فى الواجهة الشمالية (شكل ٢١ - ٨) عند نقطة تبعد عن شرق الوسط بقليل وفى مستوى الفناء المحيط به ، وينحدر بزواوية قدرها ٢٧° لمسافة ١٤ قدما تقريبا ، ويستمر أفقيا لمسافة ٢٧ قدما حيث سد بسقاطات من الجرانيت ، ثم يصعد بانحدار تدريجى بسيط حتى يصل الى حجرة الدفن المستطيلة . وكسيت جدران الممر كلها من الداخل بالحجر الجيرى ، أما منزلق المدخل وبضعة أقدام على جانبي السقاطات

ومسافة قصيرة في نهايته فقد كسيت بالجرانيت . وبنيت حجرة الدفن كلها من أحجار طره الجيزية ، ويتكون سقفها المدبب من ثلاث طبقات فوق بعضها . وقدر برنج الذى غص السقف أن أضخم أحجارها يبلغ ٣٥ قدما فى الطول وعرضها ٩ أقدام وسمكها ١٢ قدما . ولكن بالرغم من حجمها وثقلها فلم يبق منها سليما دون تكسير سوى اثنين فقط .

ووضع نفرار كارع Neferirkhara — الذى دام حكمه أكثر من عشر سنوات — تصميم مجموعته الهرمية على مثال مجموعة ساحورع تقريبا ، ولكنها على نطاق أعظم (شكل ١٨ — ٤) . ولكن لم يقدر له أن يراها كاملة ، فعندما حانت منيته لم يكن قد تم إلا وضع أساسات مبنى الوادى . وبنوا الطريق الجنازى ، ولكنهم لم يتموا الأمر الذى فوقه . أما العمل فى كوات التماثيل الخمسة وفى المقدس داخل المعبد فقد تم منها جزء كبير . ولم يتم بناء الهرم ، مع أن العمل فيه كان قد تقدم أكثر من أى مبنى آخر فى المجموعة الهرمية . ويبلغ طول ضلع القاعدة ٣٦٠ قدما وارتفاعه ٢٢٨ قدما . وهو بذلك يزيد قليلا عن هرم منكورع . وتبين القطع القليلة الباقية من كسوته الخارجية أن المدمك الأسفل على الأقل كان من الجرانيت الذى لم يصل سطحه . وأراد نفررع — خليفة نفرار كارع الذى لم يحكم إلا فترة قصيرة وبدأ يبنى هرما على مسافة قصيرة فى الجهة الجنوبية الشرقية لنفسه — أن يتم مجموعة نفرار كارع ، وكذلك فعل نى أوسر رع ، ولكنها استعملت فقط الطوب اللبن وعدلا فى التخطيطات الأصلية ، وتركوا مبنى الوادى والطريق الجنازى دون انجاز ، فأتمها نى أوسر رع (Niuserra) فيما بعد واتخذها لنفسه . وترتب على ذلك أن كهنة نفرار كارع الجنازيين — بدلا من أن يتبعوا القاعدة المألوفة ببناء مدينة الهرم على مقربة من مبنى الوادى — وجدوا أنفسهم مضطرين لتشييد منازلهم المبنية بالطوب اللبن خارج جدران المعبد الجنازى .

ولكى يستعمل طريق « نفراركارع » الجنازى دون عمل أى تغيير ، اضطر « نى أوسر رع » أن يبنى مجموعته الهرمية الى جانب معبد نفرار كارع الجنازى فى الجهة الشرقية . وقد اختار أرضا واقعة فى الناحية الشمالية الشرقية ، وبذلك أمكن استعمال النصف الأسفل من الطريق الجنازى فقط كما هو ، وخلع أحجار الجزء الأعلى منه وأعاد بناءه حسب الاتجاه الجديد أى فى اتجاه الشمال الشرقى (شكل ١٨ — ٩) وأصبحت هذه الزاوية الى حد ما أقل ، نظرا

لوضعهم بهو المدخل وفناء الأعمدة أمام النصف الجنوبي من الواجهة الشرقية للهرم . فإذا لم يكونوا قد فعلوا ذلك عمدا لتقصير المسافة بين المعبد والطريق الجنازى القديم ، فلا بد أن عدولهم عن بناء المعبد على خط محور الهرم من الشرق الى الغرب كالمعتاد كان نتيجة حتمها عليهم وجود عائق في المكان ، مثل وجود مقبرة مثلا أو نظراً لعدم صلاحية الأرض في ذلك المكان .

واختلفت مجموعة نى أوسر رع الهرمية عن مجموعة ساحورع في التفاصيل فقط ، غير أنها تعطى صورة واضحة للمدى الذى يمكن عمله في تعديل التخطيط المتبع ليلائم ما تفرضه طبيعة المكان في أى موقع من المواقع . وكان لمبنى الوادى شرفتان ، كبراهما تواجه الناحية الشرقية وصغراهما تواجه الناحية الغربية (شكل ١٨ - ٨) الا أنه بدلا من الأعمدة النخيلية التى نراها في مبنى الوادى لساحورع فقد زودت هاتان الشرفتان بأعمدة بردية الطراز من الجرانيت الوردى ، وقد استخدموا أيضا أحجار طره الجيرية والجرانيت الوردى والبازلت الأسود المصقول في الاسقف والجدران وأرضيات الغرف . كما استخدموا البازلت في بناء الافريز السفلى لجدران ممر الطريق الجنازى . أما الجدران نفسها فقد كسيت بأحجار طره الجيرية ، وزينت بنقوش لمناظر مختلفة منها ما يمثل الملك كأسد أو كأسد له رأس طائر يطا أعداءه تحت قدميه . وفي المعبد الجنازى تحمل الأعمدة البردية سقف الممر المحيط بالفناء . وبنيت معظم المخازن - نظرا لضيق المكان - في المعبد الداخلى خارج الجدارين الشمالى والجنوبى لبهو المدخل . وشغل المقدس مكانه المعتاد ، الى الشرق من حجرة الدفن ، وبذلك أصبح الى الشمال من المحور الشرقى الغربى للمعبد بمسافة غير قليلة . وفي جنوب شرقى الهرم الاصلى بنوا الهرم الاضافى المعتاد .

وينى دد كارع أسيسى - وهو الذى خلف نى أوسر رع على العرش - هرمه في سقارة ، وهو الهرم المسمى باللغة العربية « الهرم الشواف » . ولم تتحدد نسبة هذا الهرم الى أسيسى الا في خريف عام ١٩٤٥ عندما كشفت عنه مصلحة الآثار المصرية تحت ادارة اسكندر فارى (١) .

(١) كان المرحوم اسكندر فارى يعاون المرحوم عبد السلام محمد حسين في حفائره في تلك المنطقة . (المغرب)

واقام لونس - آخر ملوك هذه الأسرة - هرمه قريبا من الركن الجنوبي الغربي لسور الهرم المدرج ، أى فى الناحية المقابلة للمنطقة التى قام عليها هرم أوسر كاف مؤسس الأسرة ، وثبت من حفائر مصلحة الآثار - التى تمت منذ سنوات قليلة تحت ادارة الأستاذ سليم حسن أولا ثم عبد السلام حسين فيها بعد - أن جزءا كبيرا من الطريق الجنازى ما زال محتفظا بكيانه فى هذه المجموعة الهرمية أكثر من أى طريق جنازى آخر (لوحة ١١ أ) . وبالرغم من أن الطرف العلوى من هذا الطريق فقط هو الذى قد أزيحت عنه الرمال ، فإن اتجاه الطريق بأكمله أصبح واضحا على طول المسافة كلها، أى الـ ٧٣٠ ياردة التى تفصل بين مبنى الوادى والمعبد الجنازى . ولا يتبع هذا الطريق خطأ مستقيما ، ولكنه يغير اتجاهه مرتين لكى يستفيد من طبيعة الأرض . ولكن بالرغم من هذه التعديلات فقد كان من الضرورى ملء هبوط فى الأرض يبلغ عمقه نحو ٢٥ قدما واتساعه أكثر من ذلك ، وقد أخذوا بعض الأحجار التى استعملت فى ملء هذا الهبوط من مبانى الهرم المدرج ، وهذا يثبت أن آثار زوسر الشهيرة كانت قد بدأت تتهدم فى أواخر أيام الأسرة الخامسة . وبنيت جوانب الجسر منحدره فأصبح اتساعه فى سطحه العلوى ٢٢ قدما تقريبا . وفوق هذا الأساس الضخم بنوا الممر العادى المستوف ، ويبلغ ارتفاع جدرانه نحو ١٢ قدما وسمكها حوالى ٦ أقدام و ٨ بوصات، أما عرض الممر فى الوسط فلم يزد على ٨ أقدام و ٧ بوصات تقريبا . وسقفوا الممر بكتل من الحجر يبلغ سمكها قدما و ٩ بوصات ، وقد تركوا فى وسط السقف فتحة عرضها ٨ بوصات تقريبا لادخال الضوء . وإلى جنوب الطريق الجنازى حفرة المركب طولها ١٤٨ قدما ومبطنه كلها بأحجار طره الجيرية .

والجدران الداخلية للممر رسمت عليها نقوش دقيقة ومناظر كثيرة شغلت مساحات كبيرة منها ، وفى بعضها نرى سفينة تنقل بعض الأعمدة النخيلية والأعتاب المستعملة فى بناء المعبد الجنازى ، وكلها من الجرانيت جاءت بها السفينة من أسوان .

وفى مجموعة أخرى من هذه النقوش نرى بعض الصانع يطرقون الذهب ، ويصبون الأدوات النحاسية ، أو يصقلون الأوانى المصنوعة من الذهب أو الحجر . ونجد فى أماكن أخرى نقوشا تبين عمال الضياع الملكية وهم يجنون التين ويحصدون القمح ويجمعون العسل ، وهناك عدد كبير من الخدم يحضرون الأطعمة من مختلف الأنواع الى

القبر . واشتملت مناظر الصيد على صور لكل حينوان ذى قرنين معروف للمصريين ، وكذلك على رسم للزرافة والأسد والفهود والذئاب والضباع واليرابيع والقناذ . وربما كان أكثر هذه المناظر تعبيراً عن موضوعه ، ذلك النقش الذى يمثل ضحايا إحدى المجاعات ، فقد هزلت أجسامهم حتى بدت جلدا على عظم (لوحة ١١ ب) . وما يدعو الى الأسف أن هذا المنظر غير كامل ، ومن الصعب أن نتكهن بالمناسبة التى جعلتهم يرسمونه ، بل لا يمكن على وجه اليقين تحديد الجنسية التى ينتمى إليها الأشخاص المرسومون فيه .

ولما كانت نقوش المقابر توضح عادة الوقائع والحوادث التى يرغب صاحب المقبرة فى تخليدها ، فربما كان هؤلاء الناس الذين كادوا يموتون جوعاً غير مصريين ، وأن الجزء المفقود من هذا الجزء من النقوش يحتوى على مناظر المأون التى أرسلها اليهم أوناس . ولونت كل هذه المناظر بألوان زاهية بقيت بعض آثارها واضحة حتى الآن ، وزين السقف أيضا بنجوم ذهبية نقشت نقشاً بارزاً فوق أرضية تشبه السماء فى زرقتها .

أما معبد أوناس الجنائزى فقد كشفه ا. بارزانتى (A. Barsanti) عن جزء منه عندما كان يعمل هناك لحساب مصلحة الآثار فى عام ١٩٠٠ ، وأجزت مصلحة الآثار فى عام ١٩٢٩ حفائر أخرى تحت إدارة س. م. فيرث فأنمت حفرة . وهو يشبه فى تخطيطه وبنائه معبد ساحورع الجنائزى شبيهاً كبيراً ، ولكنه يختلف عنه فى وضع الممرات والمخازن داخل المعبد . وتختلف أرضيتهما ، فقد استخدم أوناس أحجار المرمر ، بينما استخدم ساحورع البازلت فى تخطيطات أرضيات معبده . وبينما وصل إلينا عدد عظيم من النقوش التى كانت فى الطريق الجنائزى ، لم تحفظ لنا الأيام من نقوش المعبد الا قطعاً قليلة عليها رسم بعض الخدم يحملون القرابين .

ولا يختلف هرم أوناس فى مظهره الخارجى عن غيره من الأهرام فى شئ ذى أهمية خاصة ، وطول ضلع قاعدته ٢٢٠ قدماً وارتفاعه العمودى ٦٢ قدماً ، وهذه مقاييس متواضعة اذا قارناها بآثار الأسرة الرابعة ، أما فى داخله فهناك عدة أشياء جديدة . فالدخل ، ولو أنه فى الناحية الشمالية الا أنه ليس فى واجهة الهرم بل تحت الأرضية . وكانت هناك ثلاث سقاطات من الجرانيت لسد الممر المؤدى من المدخل الى ردهة مربعة (شكل ٢٣ - ١) وعلى الجانب الشرقى

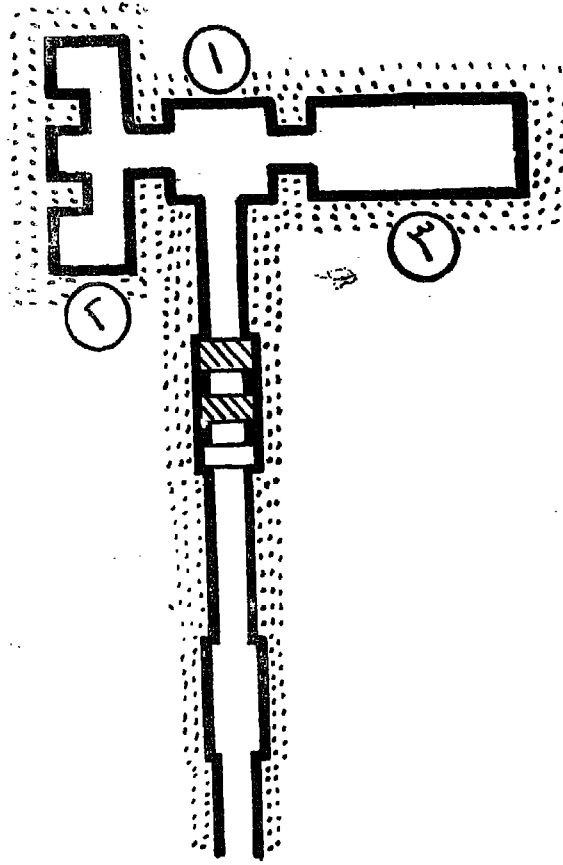
لهذه الردهة تفتح حجرة طويلة ضيقة في الجدار الشرقي منها ثلاث كوات لتمثيل (شكل ٢٣ - ١) . أما حجرة الدفن فكسنت في الناحية الأخرى غربى الردهة (شكل ٢٣ - ٣) ، وفي نهاية الحجرة نجد تابوتا حجريا مستطيلا ، وقد ظل سليما حتى الآن ولكن محتوياته سرقت من مدة طويلة قبل عام ١٨٨١ وهو الوقت الذى اكتشفه فيه ج . ماسبرو ، أول عالم أترى فتح هذا الهرم .

وبنيت كل الحجرات داخل الهرم من أحجار طره الجيرية ماعدا الجدار الغربى من حجرة الدفن ، وكذلك النصف الجنوبى من كل من الجدارين الشمالى والجنوبى أمام التابوت ، اذ بنوها بأحجار المرمر بدلا من الحجر الجيرى ، ونقشوا على المرمر زخارف تمثل دخلات وخرجات وبابا وهميا لونوها كلها .

ولكن هناك ما هو أهم من هذه التجديدات فى البناء فى هذا الهرم . وتلك هى السطور الرأسية من الكتابات الهيروغليفية التى تغطى جدران الردهة والأجزاء المبنية بالحجر الجيرى من حجرة الدفن ، ومالأوا كل حرف هيروغلىفى بمعجون أزرق اللون فجعلها واضحة جليلة فوق الأرضية البيضاء . وتعرف هذه الكتابات باسم « متون الأهرام » ، وهى غير قاصرة على هذا الهرم فقط بل وجدت أيضا فى أهرام الأسرة السادسة ، فى أهرام تيتى ، وببى الأول ، ومرن رع ، وببى الثانى ، وفى هرم ملك يسمى ايبى (Ibi) لا يعرف تاريخه على وجه التحقيق ، وفى أهرام زوجات الملك ببى الثانى الثالث .

وليس متون الأهرام قصة متصلة ، بل تحتوى على مجموعة من التعاويذ جمعت دون عناية كبرى بما تحويه ، ودون أن يكون لها ترتيب خاص . وبالرغم من أننا نجد معظم هذه المتون فى أكثر من هرم ، إلا أن الموجود منها فى هرم ما يختلف عن الموجود فى هرم آخر ، فمثلا فى هرم أوناس نجد فقط مائتين وثمانية وعشرين متنا اختيرت من مجموع الرقى المعروفة لنا والتى يزيد عددها على سبعمائة .

وكان الغرض من متون الأهرام - كإى عنصر آخر فى المجموعة الهرمية - أن تضمن للملك أو الملكة السعادة فى الحياة بعد الموت . وكان سحر الكلمة المكتوبة قويا لدرجة أن وجودها وحده يكفى ليضمن تحقيق الأفكار التى تعبر عنها .



شكل (٢٣) - الحجرات والممرات فى هرم أوناس

ولا شك أن الكلمة التى تخرج من فم شخص له أهمية التقوه بها . كان لها أيضا الأثر نفسه على الأكل . ولكن خروجها من الفم كان يتوقف على حسن قصد أو مثابرة أشخاص آخرين .

ويوجد نص يكتب عادة على الجدار الشمالى لحجرة الدفن يبين الصلوات التى يتلوها الكهنة كل يوم فى المعبد الجنازى عندما يضعون الأطعمة على المذبح أمام الباب الوهمى . فإذا ما كتبوا هذه الصلوات وملأوا مخازن المعبد بالأطعمة ، فإن الملك يأمن غائلة الجوع والعطش حتى ولو أهمل الكهنة فى أداء واجباتهم . ويصف كثير من النصوص رحلة الملك فى العالم الآخر ، ذلك العالم الذى كان مقره فى السماء بعد الأنق الشرقى ، ويصف مجهوداته عند وصوله الى هناك . وواضح أن

الملك لا يتوقع أن يلقي معونة ذات شأن من الآلهة عندما يقوم بهذه الرحلة ، ولكنه اذا تحصن بقوة هذه النصوص السحرية يستطيع أن ينجح في التغلب على كثير من مخاطرها . وبمساعده هذه النصوص أيضا يضمن الملك اشتراكه مع اله الشمس في رحلته اليومية عبر السماء . وبين هذه النصوص مجاميع من الأناشيد للآلهة ودعوات من أجل الملك المتوفى .

وأكثر نصوص الأهرام لم يكن من عمل الأسرتين الخامسة والسادسة على وجه التأكيد ، ولكنها نشأت في العصور الموعلة في القدم ، ولهذا لا نعجب اذا رأيناها تحتوي في بعض الأحيان على تلميحات لأمر لم يزاولها الناس في عهد أوناس ومن جاءوا بعده ، ففي المتن رقم ٦٦٢ مثلا نقرا هذه العبارة : « اطرح الرمل عن وجهك » وهي عبارة لا يمكن الا أن تشير الى طريقة الدفن في عصر ما قبل الأسرات ، عندما كان الملك يدفن في قبر محفور في الرمل .

وهناك خطأ مشابه ولكنه يشير الى مصاطب الطوب اللبن في العصر العتيق ، ففي المتن رقم ٣٥٥ : « أزيلت قوالب الطوب من أجلك في القبر العظيم » . وفي المتون رقم ٢٧٣ — ٢٧٤ اشارات الى عادات كانت متبعة في عصور أقدم عهدا من العصر العتيق ، تصف الملك المتوفى كصياد يمسك الآلهة ويلتهمها لكي تحل صفاتها فيه .

ولكن في الوقت ذاته نجد ذكر الهرم في كثير من هذه المتون ، ومعنى ذلك أن هذه المتون يمكن أن تكون قد نشأت قبل الأسرتين الثالثة والرابعة ، فالمتن رقم ٥٩٩ مثلا يقول : « هم (أى الآلهة) أولئك الذين يجعلون هذا العبل خالدا وسيجعلون هذا الهرم خالدا » . ونظراً للإشارة المستمرة الى عقيدة الشمس يكاد يكون من المؤكد أن هذه المتون من عمل كهنة عين شمس . فعندما وضعوها في الأسرة الخامسة أخذوا بعض تعاويذ دينية قديمة وأضافوا عليها بعض ادعية وصلوات من عصور أحدث لتلائم احتياجاتهم في العصر الذى عاشوا فيه .

ومع أن الغرض من متون الأهرام هو مساعدة الملك المتوفى ، الا أن وجودها في قبره خلق مشكلة جديدة لها خطورتها ، فنظرا لكتابتها بالهيريوغليفية فقد اشتملت على كثير من صور الكائنات الحية ، ولم يكن لهذه الصور قيمتها كسلامة من علامات اللغة

الهيروغليفية فحسب ، بل كان لها — بفضل السحر — القدرة على أن تصبح مرة ثانية المخطوقات التي تمثلها . فمثلا رسم الأسد يعبر عن العلامة التي تنطق « رو » ، وفي الوقت ذاته اسم الحيوان الحي نفسه بكامل صفاته . وكذلك صور الآميين التي تتكون منها بعض العلامات الهيروغليفية المستخدمة بكثرة تؤدي وظيفة مزدوجة . فلكي يدرأوا عن الملك خطرهما — الذي قد ينتج من وجود عدد كبير من كائنات عدوة للإنسان ومهلكة له على مقربة من المكان الذي هو فيه — لجأ الكهنة والفنانون الى عدد من الحيل المختلفة . فأحيانا يحذفون العلامات الخطرة ، أو يضعون مكانها علامات تمثل أشياء لا حياة فيها ولها نفس القيمة الصوتية في اللغة الهيروغليفية . وكثيرا ما كانوا يحذفون من صور الانسان الرجلين والجسم ، فتقتصر على الرأس والذراعين فقط . أما الحيوانات فانهم يستطيعون تفسادى ضررها بوسيلة بسيطة ، وهى بتر أجسامها ورسمها نصفين الواحد منها منفصل عن الآخر . أما الثعابين فكانوا يرسمونها كاملة ، ولكن العقارب كانت تجرد من أذنانها . وكان المخلوق الوحيد الذى لم يمسحوا بوجوده على جدران حجرة الدفن هو السمك (ولم يشنوا عن هذه القاعدة الا مرة واحدة فقط) الا أن هذا الاغفال لم يكن راجعا الى أن السمك ربما يزعج صاحب المقبرة بوجوده ، بل نتيجة اعتقادهم بأن السمك — رغم أنه غير ضار بالانسان الحي — الا أنه يدنس أى جثة .

وبقيت متون الأهرام ، ولكن في صورة معدلة ، أثناء الدولة الوسطى . فان عادة كتابة المتون على جدران الحجرات والممرات في القبر قد أهملت وكتبت بدلا من ذلك على الجوانب الداخلية للتوابيت الخشبية المستطيلة التي كانوا يستخدمونها في ذلك العصر ، وهذا هو السبب في تسميتها « متون التوابيت » . وفي هذا العصر أيضا لم تعد قاصرة على الملوك بل اغتصب النبلاء حق استعمالها ، متبعين في ذلك نفس الطريقة الديمقراطية التي اتبعوها في أمور أخرى كثيرة كانت في أول أمرها امتيازاً قاصراً على الملك . وفي عصر الدولة الحديثة ، وبعد أن دخلت على المتون تعديلات أخرى ، كتبت على ورق البردى وسميت « كتاب الخروج أثناء النهار » ، وهى التي يعرفها أكثر الناس في العصور الحديثة باسم « كتاب الموتى » .

وبنى تبتى وبيبى الأول ومرن رع أهرامهم في سقارة ، فاختار تبتى منطقة تقع في الشمال الشرقى من الهرم المدرج ، بينما اتجه خليفته الى جهة الجنوب واختارا موقعين لهرميهما على مقربة من مصطبة

ولم تشذ المجموعات الهرمية الثلاث عن النظام المتبع ، ولكن التفاصيل الكاملة لمبانيها لا يمكن التحقق منها حتى يكشف عنها تماما ، فالأهرام ذاتها تبدو صغيرة اذا قورنت بأعمال العصور السابقة ، ولكنها رغم صغر حجمها ورغم تدهورها فان أهميتها كبيرة ، نظرا لما تحويه من النصوص التي تشمل كثيراً من متون لم ترد في هرم أوناس . وأحد هذه الأهرام الثلاثة — وهو هرم بيبى الأول — جدير بأن نذكره لأن نصوصه كانت أول متون الأهرام التي عثر عليها ، وكان يظن قبل أن يكتشفها ماسبرو في عام ١٨٨١ أن الجدران الداخلية في الأهرام كانت عارية من الكتابة .

واعلى بيبى الثانى — الذى خلف من رع — عرش البلاد وهو طفل ، ومات في سن المائة ، على ما ذكره ماينتون . وقد ذكرت الوثائق التاريخية المصرية التي كتبت في العصور المتأخرة أنه حكم أربعاً وتسعين سنة ، فان صح ذلك فحكمه أطول حكم في تاريخ مصر . وتتبع مجموعته الهرمية — أو على الأصح ما تبقى منها بعد قرون من تعرضها للهدم والاعتداء — على مسافة قصيرة الى جنوب مجموعتى سلفيه ، وتبعد بمقدار ٣٠٠ ياردة عن الركن الشمالى الغربى لمصطبة شيسسكف ، وقد حفرها جوستاف جيكييه بين عام ١٩٢٦ وعام ١٩٣٦ ونجح في معرفة رسومها التخطيطية كلها ، والقليل من مبانيها . وكان من نتيجة عمله هذا أن أصبح ميسورا لنا أن نرى تخطيط المجموعة الهرمية عندما اكتملت ووصلت الى آخر تطوراتها .

وأمام مبنى الوادى رصيف عريض يبرز مسافة لا بأس بها عن حدوده الشمالية والجنوبية (شكل ٢٤ — ١) ، ولكي نصل الى هذا الرصيف من مستوى الوادى يجب أن نصعد منزلقاً قصيراً من كلا الجانبين ، ثم نواصل السير في منزلق أطول صاعد ولكنه على زاوية قائمة . واحاط بالرصيف في نواحيه الشمالية والجنوبية والغربية جدار سميك مرتفع من الحجر الجيرى ، وبُنيت سلالم ضيقة داخل المبنى عند كل طرف من الجدار ، وهى تؤدى الى « متراس » يمتد بطول الجدار كله . وفي وسط الجدار الغربى الطويل فتح باب عتبه وجانباه من الجرانيت نقشت عليه أسماء والقاب الملك ، بحروف هيروغليفيه كبيرة ، ويوصل هذا الباب الى طرقة تسير خلال سمك الجدران حتى تصل الى بهو أعمدة به ثمانية أعمدة مستطيلة كانت من الحجر الجيري على الأرجح .

ولم يبق من مباني هذا الفناء الا أرضيته وأساساته ، مثل باقى ابنية المعبد ، ولكن المكتشف وجد بين الرديم بعض قطع نقشت ولوننت بعناية نقوشا كانت يوماً من الأيام على جدران ذلك الفناء . ويبدو أن المناظر المرسومة كانت من الذع التقليدى الذى يمثل الملك وهو يذبح أعداءه أو يصطاد الطيور فى أحراش الدلتا أو فى حضرة الآلهة . ولا شك أنها كانت أهم حجرة فى المبنى كله ، إذ ان الحجرات الباقية لم تكن الا مخازن وغرفتين أخريين وكانت جدرانها عارية من النقش على ما يبدو . ولم تسفر الحفائر عن أثر لآى تمثال ، ولكن ليس من المستبعد أن هذا المعبد قد حوى عدداً من تماثيل الملك .

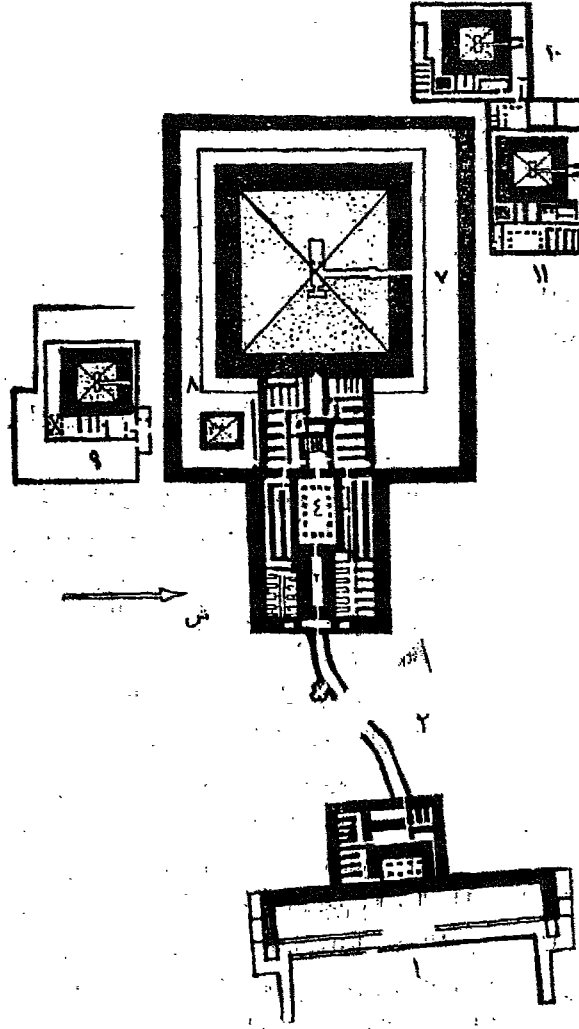
ومع أن مباني طريق بيبى الثانى الجنازى (شكل ٢٤ - ٢) على أسوأ حالة ، الا أنه يشبه طريق أوناس فى كثير من الاعتبارات ، فكلا الطريقتين غير اتجاههما مرتين ، أما لكى يستفيدوا من طبيعة المكان وأما لتقليل زاوية انحدارهما . وكذلك تقارب الممران اللذان فوقهما فى مقاييسهما أيضا . ولكن بينما عثر على كثير من بقايا النقوش فى ممر أوناس ، نجد أنه لم يعثر الا على بعض قطع قليلة بمعثرة فى ممر بيبى الثانى . ويبدوواضحا من هذه القطع أن المناظر التى كانت مرسومة فى الطرف الأسفل من الممر تشبه كثيرا تلك التى كانت فى المكان نفسه فى ممر ساحورع ، فالملك ممثلا على صورة أبى الهول أو على صورة أسد برأس طائر وهو يبطأ تحت أقدامه أعداء مصر التقليديين الذين تحضرهم اليه الآلهة كأسرى . وكان يصحب هذا المنظر ، كما فى الأماكن الأخرى ، مجموعة من النقوش تبين الآلهة سثتات وهى تسجل أسماء الضحايا وتحرر كتشوف الجزية المأخوذة .

أما المناظر التى فى الطرف العلوى من الممر فكانت تحمل طابعا جنائزيا صرفا ، فهناك صفوف طويلة من الخدم يحملون ما تنتجها الضياع الملكية الى القبر . وفى المناظر المجاورة نجد مواكب مشابهة ، لكنها تتكون من الآلهة والالهات ، تتقدم نحو الملك الجالس على عرشه . وبالقرب من أعلى الممر نرى أبوابا فى الجدران الجانبية لكى يمر منها الكهنة الذين يصلون الى المجموعة الهرمية من الشمال أو الجنوب ويريدون دخول المعبد الجنازى ، فلا يضطرون للذهاب أولا الى مبنى الوادى ثم يصعدون الطريق الجنازى كله . وكان البواب يقيم فى بيت

صغير الى جوار جدران المبر ، ليحرس الباب الجنوبي وليمنع الأشخاص غير المصرح لهم بالدخول الى الأماكن المقدسة . ولم يعثر على اثر لمثل هذا البيت الصغير في الجانب الشمالي ، اذ ان المكان متهدم الآن ولا يمكن تحقيق وجود مكان الباب نفسه ، ولكن المفروض ان مثل هذا البناء كان موجوداً .

وكان الطريق الجنازى في هذه المجموعة مفصّولا عن بهو المدخل في المعبد الجنازى بمر مستعرض لا يمكننا أن نعتبره عنصراً معمارياً جديداً لأنه ، كما يبدو ، قد قصد به فقط أن يوصل الى السلام التي تؤدي الى السقف من ممرات في كلتا الناحيتين . ولم يختلف بهو المدخل في الشكل والحجم عن التصميم المعتاد . فكانت جدرانه محلاة بالنقوش ، وفي أحدها نرى الملك وهو يصطاد فرس النهر من قارب مصنوع من البوص . ويعد بهو المدخل مباشرة نجد فناء فيه أعمدة على جوانبه ، وهو وأن كان أقل اتقاناً من الناحية المعمارية الا أنه يتفق في تخطيطه مع أبهاء المعابد الأسرة الخامسة (شكل ٢٤ - ٤) . ولم تنقش الثمانية عشر عمودا المصنوعة من حجر الكوارتزيت الأحمر والتي تحمل سقف المشى لتحاكى الأعمدة النخيلية أو أعمدة البردى ، بل صنعت من قطعة واحدة مستطيلة زين وجهها الخارجى فقط بصور الملك مع أحد الآلهة ، وحلت بلاطات من الحجر الجيرى محل بلاطات البازلت المصقول أو المرمر في معبدى ساحورع وأوناس . ومن المحتمل أنهم لم يزينوا جدران هذا الفناء بزخرفة نقوشه بالوان زاهية ، وربما كان مظهره - اذا قارناه بالمعابد التي شيدت قبله - بسيطا ومملا لا تنوع فيه .

ويعد هذا الفناء ذى الأعمدة الجانبية يقع الممر المستعرض المتوسط الذى لم يستخدم لفصل الأجزاء الداخلية من المعبد عن الأجزاء الواقعة خارج السور المحيط بالهرم فحسب ، بل كان النقطة المركزية في المجموعة الهرمية كلها . وبالرغم من أنه تطور معمارياً من الجزء الغربى من الممر الذى يحيط في المعابد السابقة بالجدران الخارجية للأبهاء ذات الأعمدة ، الا أنه أصبح الآن عنصراً مستقلاً ، وحذفوا الأقسام الجنوبية والشرقية والغربية من الممر السابق . وتؤدي الأبواب الموجودة في الطرفين الشمالى والجنوبى لهذا الممر الى داخل السور المحيط بالهرم ، حيث تقوم - في الركن الجنوبى الشرقى من الهرم الاضافى (شكل ٢٤ - ٨) والى الشرق من هذا الممر ومناخها للجانبين الشمالى والجنوبى من البهو ذى الأعمدة وبهو المدخل - مجموعة



شكل (٢٤) - المجموعة الهرمية لبيبي الثاني

كبيرة من المخازن . ونحن نعرف أن نبي أو سررع - نظراً لقلّة المساحة في معبده الداخلي - شيّد المخازن على جانبي بهو المدخل ، ولهذا لا يمكن القول بأن بيبي الثاني قد أدخل بدعة معمارية في هذا الصدد . وكانت الأجزاء الداخلية من المعبد وباقي المخازن تقع في غرب المر ، ونصل إليها عن طريق فناء صغير أو بهو يحتوى على كوابل التماثيل الخمسة (شكل ٢٤ - ٥) .

ولم يعثر جيكييه الا على بعض قطع صغيرة من النقوش في المجر المستعرض المتوسط ، ولكنه استطاع أن يبين في رسمه — الذى صور فيه هذا المرح كما كان يوم انشائه — أن تلك النقوش كانت من أهم ما فى المعبد كله . وفى الناحية الجنوبية من الجدار الشرقى نرى الملك وهو يضرب زعيما ليبيا أسيرا بدبوسه على رأسه ، ووقف خلف هذا الزعيم زوجته وولداه طالبين الرحمة . ولم يكن هذا المنظر تكراراً للموضوع المرسوم فى معبد ساحورع فحسب بل هو فى الحقيقة نسخة منه ، حتى فى تكرار أسماء الزوجة والولدين . وتثبت هذه النسخة المزدوجة لموضوع واحد فى معبدى ملكين يفصل بين حكميهما قرنان من الزمان أن نقوش المعابد لا تسجل فى الواقع حوادث تاريخية من حياة الملك بل انها تثبت أنه لم يقصد منها سوى اظهار الحياة المثالية التى كان الملك يرغب فى أن يحيهاها فى العالم الآخر .

وفى مكان آخر من هذا الجدار نفسه نرى الملك مرسوماً أربع مرات لابسا تاج مصر العليا وممسكا فى يده سوطا وشيئا مستطيلا ، وهو يؤدي شعيرة دينية تتطلب منه أن يجرى بين أحجار مرصوصة على هيئة حدوة الجواد وبعضها موضوع على مسافة من البعض . وقد سبق العثور على مثل لمنظر هذا الاحتفال فى الهرم المدرج (لوحة ١٣) وهو منظر الجزء الخاص بعيد الحب سد ، ويبدو أن الغرض منه فى الأصل على الأقل هو إعادة الخصوبة الى الأرض . وفى منظر آخر على هذا الجدار — وربما كانت له أيضا علاقة بشعائر الخصوبة — نرى الملك واقفا الى جوار عمود مرتفع مدعم بأربع سنادات من الخشب ، ورسم رجلان أحدهما فوق الآخر وهما يسفلقان هذه السنادات ، بينما يقف آخرون ممسكين بالحبال المربوطة فى السنادات والعمود . وهناك نسخ من هذا المنظر ، الذى يذكرنا الى حد ما بإحتفالات « عمود شهر مايو » فى العصور الوسطى . ونرى أيضا فى اللعصور المتأخرة على جدران معابد الكرنك والأقصر ودندرة وادفو صورا منه ، ولكننا نرى فى تلك النسخ الاله مين اله الخصب يقف فى مواجهة الملك على الجانب الآخر من العمود المرتفع ويتقبل منه خضوعه .

ومن فجوة فى الجدار الغربى المستعرض المتوسط ، يوصل سلم صغير الى البهو أو الفناء الذى توجد فيه كوات التماثيل الخمسة (شكل ٢٤ — ٥) ولكن لم يبق داخل هذه الكوات الا قاعدة تماثيل واحد مهتسة ، وهى تثبت أن التماثيل قد صنعت من الحجر الجيرى . وتمشيا مع العادة المتبعة لدى المصريين كانت هذه التماثيل ملونة ،

وكان على كل تمثال اسم الملك ولقب من القاب الخمسة على الأقل .
وكانت هناك أيضا أبواب مزدوجة من الخشب لتحجب التماثيل عن
العيون في غير أوقات الطقوس الدينية التي كانت تقام أمامها . وربما
كانت هناك أيضا مجموعة ثانية من التماثيل مخابأة ، وذلك اذا صبح
التفسير الذي يقول بأن البناء الأجوف الذي يقع داخل البناء خلف
الكوات الخمس ليس الا سردابا .

وفي كل من طرفى بهو التماثيل ممر ، الشمالى منهما يؤدي
الى مجموعة صغيرة من المخازن ، والجنوبى الى حجرة ضيقة تتصل
بدورها بمجموعة أكبر من المخازن وبردهة مربعة الى جوار المذبح
(شكل ٢٤ - ٦) . وكان من بين النقوش التي تزين جدران الحجرة
الضيقة منظر من المناظر العديدة التي تكررت في هذا المعبد وتمثل الملك
منتصرا على أعدائه ، ولم يبق من هذا المنظر الا أجزاء قليلة ولكنها
تعطينا فكرة واضحة عن المنظر كله ، لأن جيكييه قد عرف فيها انها
كانت الأصل الذي نقلت عنه نسخها ، نقلها الملك امنخوتب الثانى في
معبد الكرنك بعد موت بيبي الثانى بنحو ألف سنة . ففى الجزء
الأوسط من المنظر رسم كبير للملك ملوحا بديبوس فوق رعوس جمع
من الأسرى الأجانب ، وخلف الملك صورة آدمية صغيرة تمثل قرينه
الذى يحميه ، وفي مكان آخر من المنظر ترى الالهة ستمات تسجل
على قرطاس عدد الأسرى المذبوحين ومقدار الجزية المأخوذة .

وان تكرر وجود مثل هذه المناظر في المعبد الجنازى يجعلنا نظن
أن احتفالات في أوقات معينة كانت تقام لاحياء فكرى النصر الذي أحرزه
المصريون في العصور الأولى على جيرانهم الأجانب ، وربما كان هذا
التفسير يوضح لنا أيضا وجود بعض تماثيل في هذا المعبد وفي غيره
من معابد أسلافه ممثلة أسرى من الأجانب راكعين مكتوفى الذراعين .
ولم يعثر حتى الآن على تمثال كامل من هذا النوع من التماثيل ، ونرى
في أكثرها أثر تحطيمها عن عمد . فمن المحتمل إذن أن تلك التماثيل
كانت تستخدم أثناء تلك الاحتفالات التذكارية لتحل محل الأسرى الأحياء
الذين كان من المفروض أن يقتلوا ، إذ ان العقلية المصرية لم تستسغ
هذا النوع من القتل المجرد من أية رحمة .

ويحمل سقف البردهة المربعة عمود واحد كان فى الغالب مئمن
الشكل . وعلى كل من جدرانها الأربعة نرى الملك تستقبله الآلهة
المصرية وكبار الموظفين الدينيين والمدنيين ، الذين اجتمعوا لتحيته

عند دخوله المعبد آتياً من قبره عن طريق المقدس . فالآلهة الذين يزيد عددهم على المائة قد وقف كل منهم منتصب القامة مهيكلًا بصولجان في يد وبعلامة « الحياة » في اليد الأخرى ، والموظفون البالغ عددهم نحو خمسة وأربعين قد انحوا أمام مليكهم خاشعين ، وكذلك نرى الجزائريين وهم يذبحون الماشية استعداداً للاحتفال .


وكان المقدس (شكل ٢٤ - ٦) الذى يبلغ طوله ٥١ قدماً وعرضه ١٧ قدماً وارتفاعه ٢٤ قدماً أكبر حجراً فى المعبد الداخلى ، وزين سقفه القبة حسب المعتاد بنجوم ذهبية فوق أرضية من سماء زرقاء . ولم يبق أثر للباب الوهمى الذى يشغل النصف الأسفل من الجدار الغربى أو من المذبح المنخفض الذى كان أمامه على الأرض ، وفى الاستطاعة معرفة المواضع الكاملة للنقوش الملونة على الجدران الشمالية والجنوبية والشرقية مع أنها مهشمة الى مئات القطع . فعلى كل من الجدارين الطويلين كان الملك جالساً الى مائدة مهيكلتة بالماكولات ، وقد وقف من ورائه قرينه ، وأمام كل مائدة رهط من مائة وخمسة وعشرين حاملاً للقرابين من الكهنة وموظفى الأقاليم ورجال البلاط وأعيان البلاد . وقد ضمن هؤلاء جميعاً بتمثيلهم فى هذا المنظر أن يظلوا فى خدمة الملك فى الحياة الأخرى . ومن بين القرابين التى يقدمها هؤلاء الرجال البط والأوز والنبيذ والجمعة والفواكه والخبز والخضروات ، ونرى الماشية والغزلان والماعز وقد ربطت بحبال فى أعناقها أو أرجلها الأمامية ، أما الحمام والسمان فقد حملوه فى أقفاص . وفوق هذه النقوش الفريز عريض رسخت عليه مقادير أخرى من الأطعمة ، ويمتد هذا الأمر على الجناح الشرقى حيث نرى مناظر ذبح الماشية وقد شغلت المكان الذى شغله جملة القرابين على الجدارين الشمالى والجنوبى .

ولم يحدث أن أمكن إعادة تكوين مناظر النقوش الأصلية فى مقدس المعبد الجنائزى كما حدث فى هذا المعبد ، أو رأينا كيف كانت جدرانه كلها مغطاة بما كان يسد الحاجات المادية اللازمة لاسعاد الملك المتوفى . فنحن نرى هنا جميع أنواع الماكولات ، فاذا أهمل الكهنة فى وضع الكميات اليومية من المؤن فوق المذبح فإن الملك لن يتأثر من الجوع أو العطش ، لأن مجرد وجود الصيغة السحرية التى صاحبت النقوش والضوء تمدها بجميع خصائصها المادية . وزيادة فى

الحرص، خزنوا بعض الخمر والأطعمة الجافة في عدد من المخازن في الناحية الشمالية ، وهي متصلة بالقدس عن طريق ممر بينهما .

وقبل أن يقوم جيكييه بحفر هذه المنطقة كان كوم التراب المرتفع في الصحراء هو الدليل الوحيد على وجود هرم بينى الثانى ، الذى كان — مثل الأهرام الأخرى التى من عصره — مشيداً من أحجار صغيرة . واستخدموا فى بنائه مونة مكونة من طمى النيل وقد أمسكت بعضها ببعض كسوة سميكة من أحجار طره الجيرية . وكان لهذه الطريقة فى بناء الأهرام أضرار جسيمة ، إذ لا يوجد ما يعوق سرعته تحطيم البناء كله إذا ما أزيل جزء من الكسوة الخارجية ، وكان طول ناعدة الهرم عند بنائه ٢٥٨ قدماً تقريبا ، وارتفاعه العمودى ١٧١ قدماً تقريبا ، أى أنه أكبر من أى هرم من أهرام أسلافه المباشرين .

وكان هذا الهرم فريداً فى ظاهرة واحدة فقط ، إذ بنوا حول قاعدته كلها اطاراً مربعاً ، وكسوه بأحجار طرة الجيرية ، ولم تكن له فتحة إلا فى الناحية الشرقية فقط حيث يتصل المعبد الجنائزى بواجهة الهرم . ويرتفع هذا الاطار الذى يبلغ عرضه ٢١ قدماً الى مستوى التدمك الثانى ، أو ربما الثالث ، من كسوة الهرم . ونظراً لأنه بنى ملاصقاً مباشرة للكسوة ، فيتحتم أن يكون قد أضيف الى الهرم بعد أن تم بناء الجزء الأسفل منه على الأقل .

وهناك فى الواقع كل ما يجعلنا نعتقد أنه كان إضافة الى التصميم الاصلى لأن جيكييه وجد أن الجوانب الشمالية والجنوبية والغربية من السور المحيط بالهرم قد فك بناؤها ثم أعيد بعد ذلك على مسافة أبعد من الهرم ، وربما كان ذلك لانساح مكان لبناء الاطار . ومن الصعب أن نفهم لماذا عملت هذه الاضافة ، ولكن ربما أوجبها زلزال هز كيان البناء كله فبنوا هذا الاطار لزيادة متانته . ويرى البعض أن هذا الاطار ربما يفسر البناء المستطيل المضاف الى قاعدة الهرم عندما يستعمل كعلامة هيروغليفية  ، ولكن من الصعب الاقتناع بذلك لأن

هذا الاطار ليس له شبيه معروف ، ويبدو أن تنفيذه فى هذه الحالة جاء فيما بعد كنتيجة أملتها حادثة معينة ، وأغلب الظن أن العلامة الهيروغليفية السابق الاشارة اليها تمثل الهرم يعلو فوق جدار السور المحيط .

واكتشف جيكييه عند فك جزء من الاطار خارج مدخل الهرم أن بعضاً من الأحجار التي استخدمت في بنائه مزينة بالنقوش ، ومن المعتاد أن النقوش التي تدخل في بناء الجدران أو المبانى لابد أن تكون من مخلفات مبان أقدم عهداً تستخدم غالباً بعد مرور قرون كثيرة . ولكننا نجد أن هذه النقوش كانت دون شك من العصر نفسه كتلك التي في المعهد الجنازى المجاور ، وإن الاستنتاج المنطقي ليدل بوضوح على أنها كانت في يوم من الأيام جزءاً من البناء الذى هدم في الوقت الذى أضيف فيه الاطار الى جوانب الهرم .

ويمكن تحديد طبيعة البناء من هذه النقوش القريبة الشبه بتلك التي كانت في المقدس ، وذلك في اشتغالها على صفوف الموظفين الذين يحملون القرابين الى الملك الجالس الى مائدة ، وعلى مناظر ذبح الحيوانات ، وفي ذلك ما يجعلنا نرجح أن البناء قد صمم للقيام بوظائف متشابهة . فنحن نعرف وجود هيكل للقرابين عند مدخل القبر وذلك في هرم تيتي أول ملوك الأسرة السادسة ، كما نعرف أمثلة أخرى من عصور متأخرة ، ولهذا لا يكاد يوجد شك في أن هيكلنا من هذا النوع بنى أيضا عند مدخل هذا الهرم (شكل ٢٤ - ٧) ، ولكن إضافة الاطار استلزمته إزالته ، وربما حل محله فيما بعد هيكل جديد لم يبق له أثر الآن ، أو أنهم عدلوا عن التخطيط الأصلي .

وكانت كل أهرام الأسرة السادسة متشابهة في التصميم العام وفي ترتيب أجزائها الداخلية . فينحدر من المدخل الى أسفل انحداراً شديدا لمسافة قصيرة ، ثم يستمر أفقياً الى أن يصل الى ردهة مربعة بين السرداب وحجرة الدفن . وفي بداية القسم الأفقى يتسع الممر ويرتفع سقفه فيتكون منه ما يشبه الحجرة . وقد وجد جيكييه داخل هذه الحجرة في هرم بيبي الثانى بعض قطع من أوانى المرمر والديوريت نقش عليها اسم الملك مع أسماء بعض من سبقوه ، واستنتج من فحص هذه القطع أن الأوانى ربما كانت تحوى عطورا كسرت عهداً أثناء القيام بشعيرة دينية عند مدخل القبر . ونقشت متون الأهرام على جدران هذه الحجرة وعلى كل الجدران الباقية في داخل الهرم ، باستثناء تلك الأجزاء من الممر التي كسيت بأحجار الجرانيت ، والسرداب والطرف الغربى من حجرة الدفن المجاورة للتابوت حيث كسيت الجدران بالمرمر وزينت برسوم تمثل بابا وهمياً وبعض دخلات وخرجات .

وبالرغم من أن هذه المتون ليست محفوظة جيداً مثل متون أوناس ، إلا أن كلا منهما تشابه في كثرتها ، وأن محتوياتها مرت بدور التطور ووصلت إلى مستوى عال .

ويقع خارج السور المحيط بهرم الملك ثلاثة أهرام صغيرة خاصة بالمسكات أوجبتن (Ujebten) وأبوت (Iput) ونيت (Neit) . (شكل ٢٤ - ٩ و ١٠ و ١١) أما الملكة الرابعة المسماة عنخس - ان بيبي (Ankhes-en-Pepi) التي تزوجها في آخر أيام حكمه الطويل والتي عاشت بعده بعدة فلم ندفن في هرم . وكان لكل من الأهرام الثلاثة مجموعته الخاصة به ، والتي تضمنت في صورة مصغرة العناصر الأساسية للمعبد الجنائزى والسور الذى يحيط بهرم الملك ، ويمكن رؤية أوضح الأمثلة لتخطيطها وتنظيمها في هرم نيت (شكل ٢٤ - ١١) .

نفى الركن الجنوبي الشرقى من جدار السور الحجرى المحيط بالهرم ، يوجد مدخل ضيق يوصل إلى زدهة تتصل بدورها بفناء مكشوف محاط من جوانبه الثلاثة بأعمدة مربعة ، وزينت جدران كل من الردهة والفناء بنقوش بارزة تمثل الملكة وهى تقدم القرابين لالهات مختلفة أو تتقبل التحية من أسرتها وأتباعها . ويخرج ممر من الركن الشمالى الغربى للفناء ويمر بمجموعة من خمسة مخازن وفناء صغير فيه ثلاث كوات للمائيل والمقدس . ويقع خلف الحجرة الطويلة والكوات سرداب أقيم داخل البناء ، وهو بذلك يشبه السرداب الذى بين الكوات والمذبح فى معبد الملك .

ولم يكن هرم الملكة نيت - الذى يبلغ طول ضلع قاعدته المربعة ٧٩ قدماً وارتفاعه نحو ٧٠ قدماً - فى كل معاله الأساسية الا نسخة مصغرة من هرم الملك . وأقيم أمام مدخله هيكل للقرابين كانت جدرانه الداخلية مزينة جزئياً بنقوش تمثل الملكة وهى تتسلم المأكولات . ووضع مذبح للقرابين الجنائزية عند قاعدة الباب الوهمى الذى قام مقام الجدار الجنوبي من الهيكل . ولما كان هذا الباب يغطى فتحة الممر إلى الهرم فلا بد انه لم يوضع فى مكانه الا بعد عملية الدفن ، أما داخل الهرم فان الجدران الجانبية للممر بعد سقطة الجرائيت الوحيدة كانت مغطاة بمتون الأهرام إلى حجرة الدفن ما عدا طرفها الغربى حيث كسيت الجدران بالمرمر ، وزينت برسوم الباب الوهمى والدخلات والخريجات . وكان التابوت الجرائيتى عند العثور عليه فارغاً بدون غطاء .

وكان الى جواره ، مدفونا في ارضية الحجرة ، الصندوق الكانوبى
المصنوع من الجرانيت والذي كان يحتوى يوما ما على اربعة اوان
وضعت فيها احشاء الملكة ، وفي الناحية الأخرى من حجرة الدفن
توجد طريقة قصيرة تؤدي مباشرة الى السرداب دون وجود الردهة
التي تفصل بينهما كما هو الحال في هرم الملك .

وربما كان اهم شئ للمجموعات الهرمية الثلاث للملكات تلك
الأهرام الاضافية بالقرب من الركن الجنوبي الشرقى لكل هرم منها .
ففى مجموعات أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة كان بعض
علماء الآثار المصرية ينظرون الى تلك الأهرام الاضافية على أنها قبور
للزوجات الملكيات ، نظرا لمشابهتها للأهرام الاضافية التي أقامها خوفو
ومنكارع ، والتي لها في الحقيقة كل مظاهر القبور الملكية ، ولكن
هذا الظن أصبح بعيد الاحتمال بعد أن عرفنا أن بيبي الثانى ، مع أنه
ضمن مجموعته الهرمية هرما اضافيا ، الا أنه بنى أهراما منفصلة
بمجموعات هرمية للملكاته ، فدحضت هذه النظرية نهائيا بعد أن ثبت
أن كل مجموعة هرمية للملكات قد احتوت أيضا على هرم اضافى .
وبالرغم من أننا لا نعرف التفسير الثابت الصحيح لوجود هذه الأهرام،
فإن بعض البيانات عن الغرض الحقيقى من وجودها قد أمدنا به هرم
نيت الاضافى الذى كان مملوءا بأوان من المرمر والفخار . وعلى ذلك
غالارجح أنهم كانوا يظنون أن تلك الأوانى كانت تكتسب من محتوياتها
فضلا خاصا والا لكانوا وضعوها في المخازن .

ووجد جيكييه في الفناء الصغير خارج هرم نيت الاضافى ستة عشر
نموذجاً لمراكب دفنت جنباً الى جنب في حفرة غير عميقة . ومع أن
وجود مثل هذه النماذج في الدولة القديمة كان نادراً نسبياً ، الا أن
مقابر الفتره الثانيه والدوله الوسطى كثيراً ما اشتملت عليها كجزء من
أثاث حجرة الدفن ، وكانت توضع فوق غطاء التابوت . ولم يكن الفرق
بين مكان النماذج في العصرين بمحض الصدفة ، ولكنه كان على الأرجح
نتيجة لاختلاف الغرض منهما . ففى الدولة الوسطى كانوا يقصدون
من استعمالها أن تكون لفائدة المتوفى في الحياة بعد الموت ، ولهذا كان
من الضرورى أن تحفظ بنفس العناية التي يحفظ بها باقى أثاث القبر .
أما المراكب الموضوعه تحت أرض مجموعه نيت الهرمية فكانت صورة
مصغرة للأسطول المستعمل في جنازة الملوك لنقل الجسم الى مبنى
الوادى .

وقد بنى هرم نيت على مسافة بعيدة من الوادى ، فلم يخصص له مبنى للوادى أو طريق جنازى لأن الوصول الى مكانه عن طريق الماء كان أمرا غير عملى ، ولكن رغم ذلك فقد كان للاحتفال بنقل الجسم فى مركب درجة من القداسة أجبرتهم على وضع بديل عنها من نماذج المراكب ، فهتى وصلت الجثة الى القبر تصبح وكأنها قد أدت وظيفتها، وكانت تدفن بعد ذلك فى حفرة بسيطة معرضة لما يلحقها من أذى النمل والقوى المدمرة الأخرى .

ويبدو أن بيبي الثانى كان آخر ملك فى الدولة القديمة بنى مجموعة هرمية على نمط كبير ، وقد ترك أخذ خلفائه ويسمى ايبى (Ibi) هرما لم يتم بناؤه ، ولكن لم يزد حجمه عن هرم نيت وتنقصه المبانى المعتادة الملحقة به . ولم يكن هذا التدهور نتيجة لتغير مفاجئ فى العقائد الدينية ، وإنما كان مرجعه الى نقص الثروة وفى نفوذ العرش ، وهى الحالة التى استمرت بعد ذلك مدة تزيد على مائتى سنة . فمئذ الأسرة الرابعة اعتاد الملوك مكافأة رجالهم لا بتشييد المقابر لهم فحسب، بل باقطاعهم قطعا ذات قيمة من الضياع الملكية التى خصصت غلتها لتزويد المقابر بالأكولات . وكانت مثل هذه الأراضى الموهوبة تعفى عادة من الضرائب ، ومع مرور الأيام أصبح مجموعها كبيرا وسبب نقصا فى موارد الخزانة وأثر على الدخل . وزيادة على ذلك ففى الأسرتين الخامسة والسادسة أصبحت وظيفة حكام الأقاليم وراثية ، بعد أن كان الملك يمنحها سابقا لمدة معينة أو مدى حياة من يعينه فيها . وكانت نتيجة ذلك أن تكون جيل من أمراء الأقاليم لم يعودوا يشعرون بأنهم مدينون بمراكزهم لعطف الملك بل اعتبروها كحق ينالونه بفضل مولدهم . ولكن النتائج التى ترتبت على هذه التطورات لم يظهر أثرها الا فى نهاية حكم بيبي الثانى الطويل ، عندما أدت كهولته الى نقص فى الهبة الشخصية التى كان يتمتع بها الملك سابقا ، فلم يمض على موته الا فترة قصيرة حتى ساءت الأمور فى البلاد ، وخاصة فى الشمال عندما تعرضت لغزو اسيوى ، وأصاب أمورها الداخلية الانحلال ، وعادت مرة ثانية فانقسمت الى أقاليم تشبه تلك التى أخضعها الملك « مينا » عندما وحد الأرضين فى بداية العصور التاريخية .

فاذا ألقينا نظرة سريعة على أهم المعالم الفنية فى المجموعات الهرمية للأسرتين الخامسة والسادسة نجد أن أهم ما استحدثوه هو الأعمدة الجرانيتية التى على شكل النبات ، وكذلك الزيادة العظيمة فى استعمال النقوش على الجدران . وقد أستعمل زوسر من الأسرة الثالثة من قبل

الاعمدة التى على هيئة ساق بردى أو زهرة لوتس ، ولكنها كانت تصنع من الحجر الجيرى ولم تقم فى وسط حجرة بمفردها ، وليسنا نعرف شبيها لها فى الأسرة الرابعة . ونرى فى مجموعة خفرع الهرمية - اذا اعتبرناها نموذجا لعصره - أن أعمدة ذلك العصر كانت مستطيلة وخلت من الزخرفة خلوا تماما ، وفى عهد بيبي الثانى فضلوا استعمال الأعمدة المستطيلة مرة أخرى ، ولكنها لم تكن خالية من الزخارف ولم تكن أيضا من الجرانيت .

ولم تصل نقوش الأسرة الخامسة الى المستوى الفنى لنقوش الأسرة الرابعة ، ولكنها غطت مساحات كبيرة تشمل مواضع كثيرة وكانت أكثر حيوية فى تعبيرها . وإلى هذه الحقبة من الزمن تنتمى بعض المصاطب الهامة فى سقارة ، ومن أكثرها شهرة بنقوشها مصطبة تى وبتاح حتب . وقد أنتجت الأسرة السادسة أيضا أمثلة عظيمة من جبال النقوش ، أحسنها تلك التى فى مجموعة بيبي الثانى الهرمية وفى المصطبة القريبة من هرم تيتى ، ولكننا نرى فى أكثرها تدهورا واضحا فى قيمتها الفنية ، برغم ما فيها من حيوية بالغة وتنوع فى الشكل .

وبينما وصلت إلينا كميات هائلة من النقوش فى مدائن ملوك الأسرة الخامسة والسادسة ، فاننا نلاحظ أن عدد التماثيل التى عثر عليها لهؤلاء الملوك الذين صنعت من أجلهم تلك النقوش قليل جدا . وليس هناك ما يدعو الى الشك فى أن كل معبد قد ضم فى الأصل خمسة تماثيل على الأقل فى الكوات ، كما أقيمت تماثيل أخرى فى الأبهاء المكشوفة .

كما احتوت معابد الأسرة السادسة التى كانت مزودة بسراديب على عدد من التماثيل التى أخفيت تماما عن الأنظار . ويمكننا أن نتخيل القيمة الفنية لهذه التماثيل المفقودة لا من القليل الباقى منها - تحسب - مثل رأس التمثال الكبير للملك أوسركاف المكتشف فى معبده بسقارة - بل من التماثيل الكثيرة للأتباع والموظفين المعاصرين التى عثر عليها فى المصاطب . ولا شك أن أعظم القطع الفنية يرجع تاريخها الى الجزء الأول من عصر الأسرة الخامسة ، عندما كانت الدروس التى تعلموها من المثاليين الذين نحتوا التماثيل الرائعة لخفرع ومنكاورع مازالت ماثلة فى أذهانهم . وفى النصف الأخير من الأسرة الخامسة وفى الأسرة السادسة هبط مستوى فن النحت هبوطا محسوسا ، ولكنهم أنتجوا فى هذه الفترة بضعة أمثلة تشر النفس من بينها ذلك التمثال المصنوع من المرمر للملك بيبي الثانى وهو طفل (لوحة ١٣ أ) .

الفصل السادس

أهرام العصور التالية

في أعقاب الدولة القديمة عانت مصر عصرا من أهلك ما مر عليها في تاريخها الطويل ، فلم يهتم أحد بتقدم الفنون والصناعات ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل ان معظم المعابد والمقابر من عصر بناء الأهرام بما فيها من قطع فنية وكنوز مخبوءة قد نهبت وخربت تخريبا منظما . ويذكر مانيتون أن الأسرتين السابعة والثامنة كانتا من حكام اعتلوا العرش في منف وحكموا عهدا قصيرا ، وكان سلطانهم محليا فقط . وعمت الفوضى الشاملة معظم أنحاء البلاد حتى لقد ظل معظم الأراضي من غير زراعة ، وأنشبت المجاعة أظفارها في عدد من الأقاليم . وبدا في وقت من الأوقات — أثناء عصر الأسرة الثامنة — أن محاولة قامت لإعادة الاستقرار في ثمانية أقاليم من أقصى الجنوب ، إذ تكون حلف تحت زعامة أمير قفط . وبعد أربعين عاما غزا أمير اهناسيا (Herakleopolis Magna) — ويسمى خيتي — مصر العليا كلها إلى حدود الشلال الأول عند أسوان ، وأصبح مؤسس الأسرة التاسعة (سنة ٢٢٣٠ ق.م) وامتدت مملكته شمالا حتى منف ، ولكنها لم تشمل كل الدلتا لأن جزءا منها ظل تحت سيطرة الغزاة الآسيويين .

وبعد مائة سنة تقريبا من غزو خيتي ، ثار أنتف أمير طيبة ضد ملك اهناسيا المعاصر له ، وأعطى نفسه لقب ملك مصر العليا ومصر السفلى . واتخذ اثنان من خلفائه نفس اللقب ، وكان كلاهما يسمى أنتف ولكن حملهم للقب لم يكن الا ادعاء على غير أساس ، لأن مملكتهم — مع أنها تضم كل البلاد الواقعة في الجنوب حتى أسوان — الا أنها لم تمتد في أي وقت من الأوقات الى ما بعد أبيدوس في الشمال .

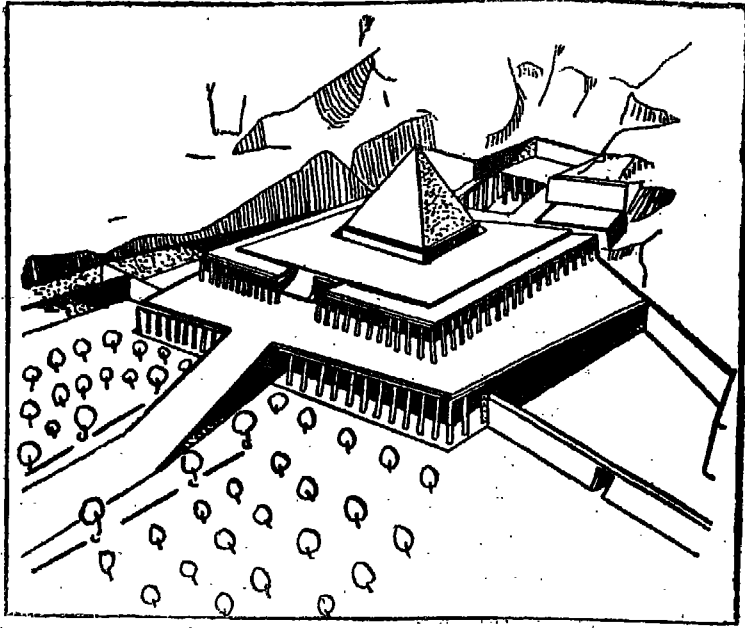
وبالرغم من ملكهم المحدود فانهم اعتبروا فيما بعد أنهم أول ثلاثة من ملوك الأسرة الحادية عشرة . وسمى الملوك الثلاثة الباقون من ملوك هذه الأسرة باسم منتوحتب (Menthuhetep) وكان ثانيهم المسمى نب — حبت — رع منتوحتب (Neo-hepet-Ra Mentuhetep)

من أعظم ملوك مصر . فاستولى في أول سننى حكمه — الذى دام واحداً وخمسين عاماً — على أبيدوس التى كان قد أضعافها سلفه ، وزحف شمالاً ليقهر منافسه فى اهتاسيا ، وأقام نفسه ملكاً على مصر كلها دون منازع .

وإذا اعتبرنا بعض النقوش التى زينت يوماً هيكلاً بناه نب . حبت . رع منتوحتب فى الجبلين (Gebelin) صالحة لتكون وثيقة تاريخية ، فإنه قاد أيضاً حملة ناجحة ضد النوبيين والليبيين والأسويين ، ولكن ما يستنتج من هذا النوع من الآثار لا يمكن التعويل عليه . وبالرغم من أنه اقتدى الى حد ما بما فعله مينا قبله بألف عام ، إلا أنه لم يتم بنقل عاصمة ملكه الى الشمال بل استمر يعيش فى طيبة التى أصبحت لأول مرة مقراً للحكومة .

ونحن لا نكاد نعرف الا القليل من المعلومات الصحيحة عن ادارته الاقليمية ، ولكن من المرجح أن امراء الأقاليم — ما عدا عدد قليل من بينهم — عينهم الملك فى وظائفهم ولكنه سحب منهم الحق فى وراثة هذه المناصب . وبدأت الفنون تنتعش بعد أن بقيت مهلهة قرنين ونصف قرن من الزمان . وخلف مثال من هذا العصر يسمى ارتيسن (Irtisen) نقشاً — يوجد الآن فى متحف اللوفر — سجل فيه : « كنت فناناً بارعاً فى فنى ، متفوقاً فى علمى .. عرفت [كيف تصور] الحركات فى صورة الرجل وقوام المرأة .. وموازنة الذراع عند التقلب على فريس النهر ، وحركات الشخص الجارى .. وليس فى استطاعة أحد أن ينجح فى كل هذا [العمل] الا انا وابنى الأكبر من صلبى » .

ولم يكن النحت هو الفرع الوحيد للفنون التى انتعشت فى عصر نب . حبت . رع منتوحتب ، فقد تقدم فن المعمار تقدماً ملحوظاً كما يتضح ذلك من معبده الجنازى الفريد فى نوعه ، وهو المعبد الذى قام بحفره ادوارد نافيل (Edouard Naville) وه. ر. هول (H. R. Hall) لحساب جمعية الأبحاث المصرية (Egypt Exploration Fund) فى الأعوام ١٩٠٣ — ١٩٠٧ ، ثم بعد ذلك مرة أخرى ه. ا. وينلوك (H. E. Winlock) لحساب متحف التروبوليتان بنيويورك (شكل ٢٥ ولوحة ١٢) .



شكل ٢٥ - المعبد الجنازى لـ « نب . حبت . رع متنو حتب » .

بنى هذا المعبد في طيبة في جوف عميق بين صخور الجبل على الضفة الغربية من النهر في المنطقة المعروفة باسم الدير البحرى ، وهو يحوى في تصميماته كثيرا من التجديدات تستلقت النظر . فلهذا المعبد طريق جنازى غير مسقوف يبلغ طوله ثلاثة أرباع الميل ، على كل من جانبيه جدار من الحجر ، ويمتد من مبنى الوادى على حافة الأراضى المنزرعة ثم يصعد في حافة الهضبة الى فناء كبير محاط من كل جوانبه ما عدا الغربى منها بجدران عالية . ووضعت تماثيل للملك من الحجر الجيرى ، يبعد الواحد منها عن الآخر مسافة ٣٠ قدما ، وتمثله في صورة مومياء الاله أوزيريس مستندة الى الجدران الداخلية للطريق الجنازى . وعند الطرف الغربى للفناء الأمامى أقاموا صفين من الأعمدة المربعة حجبت الجانب الشرقى من شرفة عريضة أقاموا فوقها المعبد . وكان من بين النقوش الملونة التى تزين كسوة الشرفة مناظر لحملة حربية على الآسيويين ، وصفوف الأسرى الأجانب ، وفرق من الجنود المصرية المسلحة بالأقواس ، وأسطول من السفن . وأمام هذه الأعمدة زرعا - في حفر مملوءة الى عمق ٣٠ قدما بخليط من التربة السوداء

ورمل النهر — صفوفا من الأشجار كانت تبدو كالفجأة الصغيرة .
وكانت كل هذه الأشجار من الأثل ، ما عدا ثمان منها — كل أربع على
أحد جانبي الطريق الصاعد الى أعلى الشرفة — فقد كانت من الجميز ،
وكانت كل شجرة منها تظلل تمثالا جالسا للملك .

وقد نحت جزء من الشرفة في الصخر وبني الجزء الآخر بالحجر ،
وتشبه في شكلها حرف 'I' مقلوب . وكان الجزء المتقاطع منه متاخما
للفناء الأمامي ، أما الجذع فقد نحت في واجهة لجبل . وفوق الجزء
المتقاطع أقيم مبنى مربع زينت واجهاته الخارجية كلها — ما عدا
الغربية منها — بأعمدة . أما جدرانه الأربعة فقد زينت كلها من
الداخل والخارج بنقوش ملونة لم يبق منها إلا أجزاء قليلة . ويعلم
في وسط الشرفة هرم أقيم فوق قاعدة مستطيلة عالية ، وكان بناء متينا
للغاية ، بناؤه الداخلي من الرديم وكسى بأحجار جيرية مصقولة ،
ولا توجد فيه ممرات أو حجرات . ويقع بين القاعدة التي تحت الهرم
وجدران المبنى ممشى يحمل سقفه المسطح أعمدة مئمة ، ثلاثة صفوف
في كل من الجوانب الشمالية والجنوبية والشرقية ، وصفان في الجانب
الغربي . ويقع خلف المبنى المربع في القسم الضيق من الشرفة فناء
تقوم البواكى في جانبه ، وصالة أعمدة مكونة من ثمانين عمودا مئمة
مرتبعة في عشرة صفوف .

وهناك هيكل صغير بني داخل صالة الأعمدة ، وكان فيه تمثال .
أما للملك أو لأحد الآلهة ، وكان هذا التمثال في كوة مقنطرة في الصخر .

وأقام نب . حبت . رع منتوحتب صفا من ستة هيكل مكعبة
الشكل من الحجر الجيري ، قبل أن يفكر في بناء معبد جنازي بهذا
الحجم ، وكان خلف كل هيكل بئر عمودية تهبط عميقة في قلب الصخر ،
وفي نهايتها حجرة دفن صغيرة تقع تحت الهيكل تقريبا . وخصصت
هذه المقابر والهيكل لست سيدات من العائلة المالكة ، ربما كان
بعضهن ملكات والأخرى أميرات ، متن جميعا ودفن في الوقت الذي
كان الملك يعترزم إقامة معبده الجنازي في الجزء الأمامي من الشرفة
فقط . ولكن امتداد المبنى نحو الغرب أوجب إما إزالة الهيكل —
وهذه عملية لا يمكن تنفيذها دون نقل المقابر كلها الى مكان آخر —
أو أن تصبح هذه الهيكل جزءاً من المبنى الجديد . وفضلوا الرأي
الأخير ، ودخلت الهيكل ضمن الجدار الذي يفصل المبنى المربع
والهرم عن الفناء ذي البواكى الجانبية ، وأصبح كل ثلاثة منها على

جانب من المدخل الذى يصل بين هذين الجزاين من المعبد . ولم يكن هذا الحل موفقا من جميع الوجوه ، لأن معظم النقوش التى كانت تزين الهياكل من الخارج غطيت بالجدار الجديد ، ولكن مثل هذا الأمر لم يسبب انزعاجا للتفكير المصرى ، فان وجود النقوش هو الأمر الأهم ، أما إذا كانت النقوش ظاهرة أو غير ظاهرة فهذا شئ غير ذى بال . وبقيت المقابر التى تحت الهياكل كما هى ولم تتأثر بتوسيع المعبد ، بل أصبحت فى الواقع أكثر حماية إذ أصبح أربع من الست أبار تحت بلاط الأرضية أو الجدران أو الأعمدة الخاصة أو الفناء ذى البواكى ، بينما غطيت البئران الباقيتان ببلاط وضع من جديد . والى هذه العناية والتحفظ فى اخفاء المقابر يرجع الفضل فى أنها — ما عدا اثنتين منها — قد نجت من النهب والسرقة أكثر من مرة . ومن أهم ما احتوت عليه تلك المقابر تابوتان من الحجر الجيري لمكتين أولاهما تسمى كاويت والثانية تسمى عشيت ، ونرى سطحيهما الخارجيين مزينين بنقوش غائرة جميلة . ومن بين المناظر المرسومة عليهما بعض ما يحدث فى حياة الملكات اليومية ، مثل قيام إحدى الخدمت بتعطيرها وتزيينها ، أو رسمها وهى تشرب اللبن من بقرات رسمت مصحوبة بعجولها ، أو وهى تزور إحدى الضياع المسكية حيث كان الفلاحون منهمكين فى ملء مخازن الغلال بالقمح ، أو الاستعداد لوثيمة . ورسمت مناظر ملونة ومشابهة لما سبق داخل تابوت عشيت ، بينما كان افريز الكتابة الملونة هو الزخرفة الوحيدة داخل تابوت كاويت .

وأقسام نب . حبت . رع منتحبت داخل حدود المعبد كلا من قبره الرمزي وقبره الحقيقى ، ويقع مخد قبره الرمزي فى قاع حفرة كبيرة فى أرضية الفناء الأمامى . وقطعوا بعد هذا المدخل طريقة لمسافة تبلغ ١٥٥ ياردة فى الصخر حتى وصلوا الى نقطة تقسع مباشرة تحت الهرم وانتهت بحجرة متسعة ، وبالرغم من أن هذه الحجرة لم تفتح مطلقا قبل اكتشافها على يد هوارد كارتر فى عام ١٩٠٠ فقد كانت عارية من كل شئ اللهم الا من بقايا قرابين ، ومن تمثال جالس للملك يلتف فى قمائش من الكتان الرقيق ، وتابوت خشبى فأرغ ، وكان تحت هذه الحجرة ويتصل بها من بئر عمودية حجرة أخرى اشتملت فقط على بضع قدور وثلاثة مراكب خشبية رديئة الصنع . ويظن أن الغرض من وجود هذا القبر الرمزي لاستعماله فى حفلة دفن رمزي فى عيد الحب سد الذى ربما أحياء الملك فى السنة التاسعة والثلاثين من حكمه . ويؤيد هذا التفسير وجود التمثال الجالس بدلا من جثة الملك ويؤيده

أيضا زى التمثال الذى يمثل الملك وهو يلبس الرداء القديم الذى كان يرتديه الملوك عادة فى احتفالات الحب سد .

أما القبر الحقيقى فهو عند نهاية نفق أطول من نفق القبر الرمزي، يبدأ من الفناء ذى البواكى ويهبط فى خط مستقيم تحت بهو الأعمدة حتى يصل الى حجرة دفن على مسافة بعيدة تحت صخور الجبل . واحتوت هذه الحجرة التى كانت مكسية بالجرانيت على حوزة من المرمر والجرانيت وضع بداخلها - كما هو المفروض - تابوت خشبى ملون يضم رفات الملك . وعندما وصل المكتشفون الى هذه الحجرة لم يجدوا من الأشياء المكتشفة داخلها سوى تلك الحوزة ومركبين صغيرين وصولجانات مكسرة وأختام مخروطية وأقواس ، ولكنهم لم يجدوا المومياء أو التابوت الخشبى .

ولم بين مطلقا معبد جنازى يطابق تماما معبد نب . حبت . رع منتوحتب الجنازى . وقد بدأ الملك الذى تلاه على العرش - واسمه سمنخ . كا . رع . منتوحتب - يعد العدة لاقامة مبنى مشابه فى منطقة لا تبعد كثيراً من جنوبى الدير البحرى ، ولكن نظراً لجلوسه على العرش بعد أن تقدم به العمر فقد مات ولم تكن عمليات البناء قد تقدمت أبعد من الخطوات الأولى ، وأهم العمل بعد ذلك . ولكن بعد مرور خمسمائة عام جاءت ملكة مشهورة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة تسمى حتشبسوت وكلفت مهندسها سنموت بأن يبنى لها معبدا جنازيا يشمل كل المعالم المعمارية الهامة فى معبد نب . حبت . رع . منتوحتب ، وتلبية لرغبتها صمم سنموت معبدا أكبر وأبهى ، وهو المعبد ذو الشرفات الذى يقع الى الشمال من بقايا مبنى منتوحتب والذى أصبح بحق من أشهر الآثار المصرية .

وبعد موت سمنخ . كا . رع منتوحتب مباشرة وقعت البلاد مرة ثانية فى الفوضى ، واعتلى العرش منتوحتب الرابع الذى كان يسمى أيضا نب . تاوى . رع ، والذى حكم جزءاً من السبع السنوات التى انقضت قبل أن يعود النظام . ولكن لأسباب ما زالت غامضة لم تعترف الوثائق المتأخرة به كحاكم شرعى على البلاد . أما الذى خلفه على العرش فهو وزيره وقائد جيشه أمنمحات الذى أصبح مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وهى أسرة مكونة من أربعة ملوك سموا باسم أمنمحات وثلاثة ملوك سموا باسم سنوسرت (Senusert) وملكة سميت باسم سبك - نفرو - (رع) .

وكانت الأسرة الثانية عشرة من أعظم الأسر في تاريخ مصر ، ويتضح من اسم مؤسسها الذي يعنى حرفياً « آمون في المقدمة » أنه ولد في طيبة ، حيث كانت عبادة الإله آمون قد أصبحت منتشرة ، إلا أن أجداده ربما عاشوا في الأشمونين ، الوطن السابق لهذا الإله . ولم يترسم أمنمحات ما فعله ملوك الأسرة الحادية عشرة بجعل طيبة عاصمة ملكه ، ولكنه استفاد من تجاربهم ومن معلوماته عن الصعوبات التي ربما لاقوها في بسط سيطرتهم على مصر السفلى من ذلك المكان البعيد ، فنقل مقر الحكومة نحو الشمال وأقام العاصمة في مكان يطلق عليه اثت . تاوى ، ومعناه « التي قبضت على الأرضين » . ولسنا نعرف تماماً موقع اثت تاوى ، ولكن لا بد أنها تقع في حدود منطقة اللثت حيث يوجد هرمًا أمنمحات الأول وخلفه سنوسرت الأول .

وكان الموقع الجديد للعاصمة على مقربة من أهم آثار الدولة القديمة التي يمكن رؤيتها منها ، ولهذا فضل أمنمحات الأول أن يبني قبره متفقا مع التصميم الأساسي للمجموعة الهرمية المعروفة لتأثره بها ، ولكنها في ناحية أخرى فقط ، شابهت تصميم معبد الدير البحري الخاص بنب حبت رع متوحب ، وذلك بإقامتها على أرض مرتفعة تجعل مبانيها على مستويين مختلفين . فقام الهرم على الشرفة العلوية محاطا بسور من الحجر ، وفي الجهة الغربية من الهرم — وعلى نفس الشرفة ، ولكن خارج السور الحجري — نرى صفا من المقابر الخاصة بأفراد الأسرة المالكة ، وعندما قامت بعثة متحف المتروبوليتان بالحفائر هناك عام ١٩٢٠ وجدت أن جميع محتوياتها الداخلية قد نهب كلها من قديم الزمن . وعلى الشرفة الصغيرة التي تحتها المعبد الجنائزى المبني إلى جواره قامت من الشمال والجنوب مقابر فئة قليلة من المقربين من رجال البلاط ، وأحيطت الشرفتان والمقابر القريبة منهما بسور مستطيل من الطوب . وهناك خارج هذا السور جبانة تحتوى على مصاطب ما يقرب من مائة نبيل وموظف .

واستعمل أمنمحات الأول عند بناء قلب هرمه وجدران معبده الجنائزى عدداً هائلا من كتل الحجر الجبرى المأخوذة من مقابر الدولة القديمة في دهشور وسقارة والجيزة .

وكان كثير من هذه الأحجار مزينا بالنقوش أو الكتابات ، ولما كان من المرجح أن المبانى التي أخذت منها هذه الأحجار كانت قد تخربت فعلا فإن أخذها من أمكنتها ووضعها في تلك المبانى صان كثيرا من النقوش التي لولا ذلك لفقدت إلى الأبد . ولكن نظراً

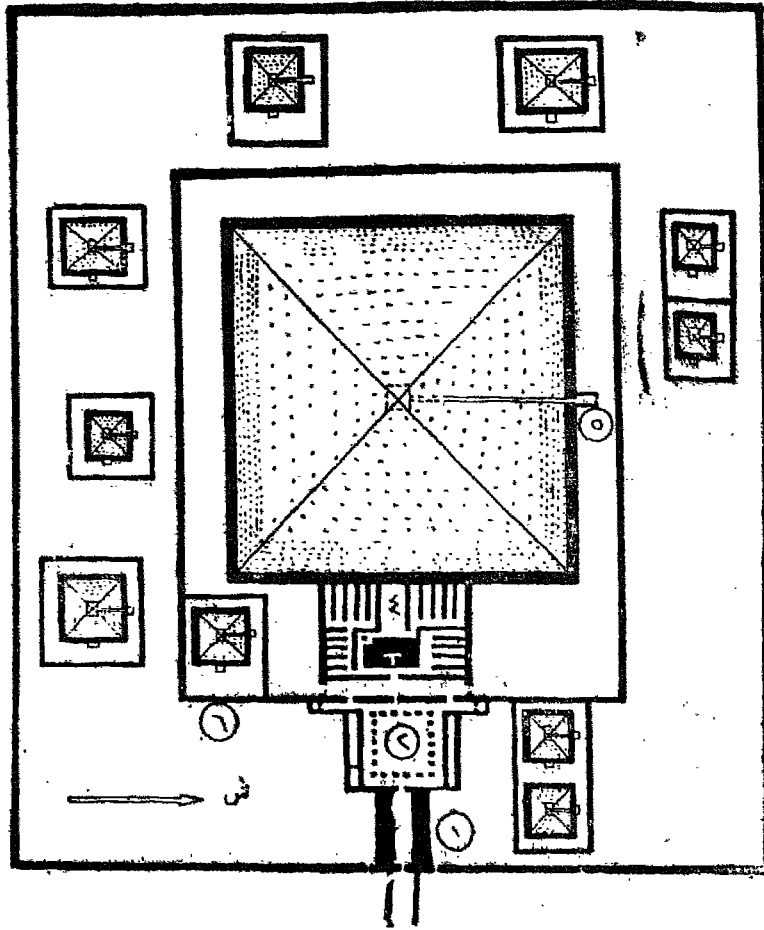
للتخريب الكامل الذى أصاب هذا الهرم ومجموعته عند إجراء الحفائر،
غقد تعذر أحيانا التفريق بين الأحجار التى من الدولة القديمة وتلك
التي صنعت في الأسرة الثانية عشرة لتزيين هذا المعبد . ولم يكن من
الميسور دائما معرفة الفرق بين نقوش كل من العهدين ، لأن أمنحاحات
الأول كان يقلد عن عمد بعض مميزات النقوش في الدولة القديمة ،
وكثيراً ما نقلوا على آثارهم مناظر مشابهة تماما للمناظر الموجودة في
مقابر الدولة القديمة .

وكان مدخل هذا الهرم في مكانه المعنود وفي مستوى الأرض في
وسط الواجهة الشمالية ، وأقيم أمامه هيكل للقرايين شبيه بالهيكل
الذى وجد في هرم تيتي وبيبي الثانى ، وبنى في حائطه الخلفية باب وهمى
من الجرانيت الوردى . ويقع خلف الباب الوهمى ممر مكسى بالجرانيت
يؤدى الى حجرة الدفن ، وكانت هناك سقاقات عديدة من الجرانيت
للسد هذا الممر بعد دفن الملك .

ولسنا نعرف عن الترتيب الداخلى لهذا الهرم غير وجود
الممر ، وذلك لأن ارتفاع مستوى النيل جعل حجرة الدفن مغمورة
بصفة مستمرة بالمياه ، وكانت عودة ارتفاع المياه عند محاولة ازالته
من داخل الهرم سريعة جعلت كل الجهود التى بذلت للوصول اليه
تبوء بالفشل .

وبنى سنوسرت الأول هرمه على مسافة تبلغ نحو ميل ونصف الى
الجنوب من هرم سلفه ، وحقق ماسبرو عام ١٨٨٢ نسبة هذا الهرم
اليه اذ وجد بعض أجزاء من أدوات صنعت من المرمر تحمل اسم
سنوسرت الأول داخله . وبعد اثنتى عشرة سنة قام ج . ا . جوتييه
(J. E. Gautier) وجوستاف جيكييه (Gustave Jéquier)
بحفر جزء كبير من المنطقة ، وتظمت بعثة متحف المتروبوليتان الباقى منه
وكذلك الجبانة المتاخمة في فترات متقطعة بين عام ١٩٠٦ وعام ١٩٣٤
تحت ادارة ا . م . ايثجو (A. M. Iythgoe) و ا . س . ميس
(A.C. Mace) وأمروس لانسنج (Ambrose Lansing) .

وتشبه مجموعة سنوسرت الأول الهرمية في كثير من تفاصيلها
مجموعة أمنحاحات الأول . ولكن بينما لا نكاد نعرف عن المجموعة
الهرمية لأمنحاحات الا الخطوط العامة ، فان الجزء الأكبر من التخطيط
الأصلى لمجموعة سنوسرت الأول أصبح معروفا جيدا ، وأصبح معروفا



شكل (٢٦) المجموعة الهرمية لسنوسرت الاول

أيضا أنه يكاد يكون صورة من معابد الأسرة السابعة الجنازية ،
وعلى الأخص مجموعة بيبي الثاني (شكل ٢٦) .

وبنى فوق الطريق الجنائزى ممر عرضه ثمانية أقدام يربط مبنى
الوادي - الذى عثر على أثر بسيط منه - بيهو المدخل فى المعبد
الجنائزى . وقد نقطوا بالأسود والأحمر الامريز الأسفل من الجدران
الحجرية لتحاكى الجرانيت ، وزينوا الأجزاء التى فوقها بالمنظر المعتادة ،
وعلى مسافات منتظمة يبلغ طول كل منها حوالى ٣٣ قدما وضعت تماثيل
الملك بهيئة الاله أوزيريس على جانبي الممر ، ووضع كل منها فى
دخلة الجدار ، وأقيمت تماثيل مشابهة لها - عثر على ستة منها فى
حفرة قريبة من الهرم - وكانت تستند الى جدران بهو المدخل (شكل

٢٦ - ١) وفي هذا ما يثبت أن هذا الجزء كان معتبرا استمرارا للممر الطريق الجنازى .

وفي البهو ذى البواكى (شكل ٢٦ - ٢) تماثيل للملك ربما استند كل منها الى الأربعة والعشرين عمودا التى تحمل سقف المشى . وعشر جوتيه وجيكييه على عشرة منها ، وهى من أحسن أنواع حجر طره الجيرى ، وكانت موضوعة جنبا الى جنب فى حفرة أخفيت عن الأنظار فى زمن تدعيم - مثل التماثيل الأوزيرية - بمعرفة شخص كان يريد أن يحفظها من خطر كانت معرضة له . ومع أن هناك بعض فروق بسيطة جداً فى سيماء الوجه الا انها كانت فى الحقيقة نسخا طبق الأصل من بعضها ، وكل تماثل منها بالحجم الطبيعى ويمثل الملك جالسا على العرش ومرتديا اللباس الملكى المعتاد (لوحة ١٥) . ولا شك أن هناك تماثيل أخرى تمثله واقفا كانت موضوعة خلف الأبواب الخشبية للكوات الخمس فى المعبد الداخلى (شكل ٢٦ - ٣) . وتحتوى البقية الباقية من المعبد الداخلى على المخازن العادية فقط وبعض الغرف والمقدس (شكل ٢٦ - ٤) . ويبدو أنهم لم يبنوا سردابا ليضعوا عددا آخر من التماثيل داخل البناء بين الكوات والمقدس .

وكان نظام جدران السور الخارجية فى هذه المجموعة يماثل نظام الجدران فى مجموعة أمنمحات الهرمية ، وكان يحيط بالهرم سور داخلى من الحجر ، وكان هذا السور مزينا على مسافات منتظمة بدخلات وخرجات نقشت عليها أسماء الملك ، وقد أحاط هذا السور بالهرم والأجزاء الداخلية من المعبد الجنازى والهرم الاضافى (شكل ٢٦ - ٦) . وبين هذا السور والسور الخارجى المبنى بالطوب اللبن يوجد فناء واسع كان يقوم فيه البهو ذو البواكى وصالة المدخل الخاصة بالمعبد الجنازى وتسعة أهرام صغيرة لأفراد من الأسرة المالكة . وزود كل هرم من هذه الأهرام الصغيرة بمعبد جنازى صغير، وهيك للقرابين وسور يحيط به ، ونحتوا تحت أرضية هيكل القرابين بئرا عمودية ونزلوا بها الى عمق كبير ، وحفروا فى الوقت ذاته بئرا ثانية من نفس النوع الى شرق البئر الأولى ولكنها كانت أقل عمقا وتتصل بالأولى بهمر فى أسفلها .

وليس من السهل تفسير وجود البئر الثانية ، وربما قصد بها سهولة ادخال التابوت عندما كان العمل جاريا فى بناء القبر بعد بناء هيكل القرابين . ومن المحتمل فى مثل تلك الحالة أنهم كانوا يدلسون الجثة والتابوت الخشبى الى البئر الأولى ثم ينقلونها الى حجرة الدفن عن طريق الممر الذى سد بسقاقات وضعت على مسافات منتظمة تنزلق الى الجانب .

وفي حجرة الدفن لأحد هذه الأهرام الصغيرة — وهو الهرم الذى فى الطرف الغربى من الصف الجنوبى — وجد حفارو متحف المتروبوليتان تابوتا جميلا من الحجر الرملى الكوارتزى ولكنه كان فارغا . وكان ذلك التابوت يملأ فراغ الحجرة تماما ، مما جعل اللصوص القدماء عندما كانوا يبحثون عن الكنز المخبوء فيها ينتقبون جوانبه وأرضيته ليصلوا الى جدران الحجرة ، الا ان تخريبهم هذا لم يأت بثمره . وكان هناك صندوق كانوبى صنع من نفس المادة التى صنع منها التابوت وبفلس العناية ، وضعوه فى كوة فى الركن الجنوبى الشرقى من حجرة الدفن ، ولم يكتب على التابوت أو الصندوق الكانوبى ما يمكننا من الاستدلال على اسم ولقب صاحبهما الذى كان ينتمى دون شك الى العائلة الملكية .

ويشغل هرم الملك مساحة مربعة طول ضلعها ٢٥٢ قدما تقريبا ويعلو الى ارتفاع ٢٠٠ قدم تقريبا . ويتكون بناؤه العلوى من ثمانية جدران ضخمة من الحجر تبدأ من وسطه متجهة الى الخارج الى أن تصل الى أركانه الأربعة والى منتصف كل جانب .

وقسم كل من هذه الأجزاء الثمانية فى التصليية الى قسمين غير متساويين فى الحجم بجدران بنيت موازية لجوانبه وتنتهى عند منتصف المسافة بينها وبين المركز الأوسط . وملئت هذه الأجزاء الستة عشر بقطع من الأحجار الجيرية الخشنة وضعت فى رمل أبيض . ثم بنوا كسوة متينة من أحجار طره الجيرية جعلت البناء كله يتماسك مع بعضه .

ولم يكن مدخل الهرم فى واجهة البناء العلوى ، بل جعلوه تحت بلاط أرضية هيكل القرايين (شكل ٢٦ — ٥) . وينحدر منه الى أسفل متر مربع طول ضلعه ٣ اقدام وبوصة واحدة متجها نحو حجرة الدفن . وكسوا مسافة طولها نحو ٣٦ قدما من هذا الممر بأحجار منحوتة من الحجر الجيرى ثم كسوا المسافة الباقية منه بأحجار الجرانيت . وبالرغم من أن الجثة والتابوت الداخلى قد نقلوا الى حجرة الدفن عن طريق هذا الممر ، الا أنه من غير المعقول — نظراً لصغر أبعاده — أنهم نقلوا التابوت الخارجى عن طريقه أيضا ، وربما نقلوه عن طريق بئر منفصلة ما زالت محتفية عن الأنتظار تحت خرائب البناء العلوى . ولا نعرف شيئا عن حجرة الدفن التى تملؤها وتغطيها المياه مثل حجرة الدفن فى هرم أمنمحات الأول .

وبنى ثلاثة من خلفاء سنوسرت الأول الأربعة مجموعات هرمية في دهشور على حافة الأرض المنزرعة — الى الشرق من الهرمين اللذين شيئا في الدولة القديمة وأقدمها كلها — وهى مجموعة هرم أمنمحات الثانى التى لم تحتو على أى تجديد فى التصميم أو فى طريقه البناء ، ولكنها نالت شهرة خاصة فى نهاية القرن الماضى لأنها كانت أحد الأمكنة التى عثر فيها على ما سموه كنز دهشور ، وهو مجموعة ممتازة من الجواهرات والأمتعة الشخصية اكتشفها ج. دى مورجان (J. de Morgan) ومحفوطة الآن فى متحف القاهرة . وكان هذا الجزء من الكنز لأمرتين سميتا خنومت (Khnumet) وايتا (ita) كان قبراهما من بين مجموعة المقابر الملكية على مقربة من هرم الملك فى الجانب الغربى منه . وتشهد دقة الصناعة والذوق الفنى فى هذه المجموعة كلها بمهارة الصائغ والجوهرى المصرى فى أعلى درجاتها .

ونبذ سنوسرت الثانى — الذى خلف أمنمحات الثانى على العرش — أهم التقاليد الثابتة فى عمارة الهرم ، وهو كون موقع المدخل فى الواجهة الشمالية . ولا بد ان المزايا المترتبة على توجيه ممر المدخل نحو مجموعة النجوم القطبية لم تعد لها الأهمية الكبرى فى نظره ، وأصبحت الأهمية الأولى هى المحافظة على سلامة الهرم بوضع مدخانه فى مكان لا يتوقعه من سيحاول سرقة . ولكن هذه الحيطة زادت من متاعب الأثريين ، فان بترى الذى حفر هذا الهرم — الذى بنوه عند اللاهون على حافة الفيوم — عمل بضعة شهور عام ١٨٨٧ — ١٨٨٨ دون ان يتمكن من العثور على الطريق الموصل الى الداخل . وبعد أن انفق مبالغ طائلة وزمنا طويلا فى السنة التالية نجح فى العثور عند الناحية الجنوبية من الهرم على بئر تهبط عمودية ثم تؤدى الى ممر نحت على عمق ٤٠ قدما تحت سطح الأرض يوصل عن طريق غير مستقيم الى حجرة الدفن المبنية كلها من الجرانيت . ثم عثر بعد ذلك فى مكان بعيد فى الجنوب أيضا على بئر ثانية أكبر من الأولى تهبط أيضا الى الممر ، وعن طريق البئر — كما لاحظ بترى — أنزل الى هذا الممر التابوت الفخم المصنوع من الجرانيت الوردى والذى عثر عليه فى حجرة الدفن ، لأن البئر الأولى كانت أقل عرضا من التابوت بمقدار ٧ و بوصات . ويقول بترى ان هذا التابوت من أجل القطع الفنية الدقيقة الصنع التى أمكن نحتها فى هذه المادة الصلبة الصعبة . وكان توازى أضلاعه ، بناء على حسابه ، أقرب ما يكون الى الكمال ولا يزيد الخطأ فيه عن $\frac{1}{100}$ بوصة فى كل ذراع .

وعلاوة على الثابوت فقد احتوت الحجرة على مائدة للقرابين
صنعت من المرمر .

وفي بنائه العلوى اختلف هرم سنوسرت الثانى فى كثير من النواحي
عن أهرام أسلافه ، فقد احتوى بناؤه الداخلى على ربوة من الصخر
ترتفع عن سطح الأرض بأربعين قدما ، وفوق ذلك المستوى أقام
فوق الصخر شبكة من الجدران الساندة وملا المساحات المتخلطة بين
تلك الجدران بالطوب اللبن .

ثم كسى هذا البناء الداخلى بالطريقة المعتادة بأحجار جيرية من
نوع جيد ، وبنوا المدمك الأسفل داخل الأساس الصخرى ليتحمل
ضغط البناء الخارجى . ويوجد حول كل جانب من جوانب القاعدة
خندق غير عميق مملوء بالرمال كان الغرض منه امتصاص مياه الأمطار
التي كانت تنزل على واجهة الهرم . وقدر بترى أن مثل هذا الخندق
يستطيع أن يستوعب أى كمية من ماء المطر فى أى مرة تسقط فيها
أمطار بشدة فى مصر . ويحيط بالهرم جداران ، أحدهما من الحجر
على حافة الخندق والآخر من الطوب اللبن أقيم بعيداً الى الوراء . وكان
خلف السور الخارجى صف واحد من الأشجار ، زرعت فى الحفر
التي نقرت فى الصخر وملئت بالطين .

وبين جدارى السورين المحيطين بالهرم وفى الناحية الجنوبية منه
توجد أربع مقابر أعدت لدفن أفراد من الأسرة الملكية . وعند
الكشف من المقبرة التى فى الطرف الشرقى فى عام ١٩١٣ اكتشف
بترى ومساعدته جاي برنتين مجموعة من الجواهر والأشياء الشخصية
خاصة بأميرة تسمى سات - حاتور - يونت (Sat-Hathor-Iunut)
صاحبة تلك المقبرة . ولا تقل هذه المجموعة ، من أى وجه من الوجوه ،
عن تلك التى سبق العثور عليها فى دهشور . وكان من بين القطع المهمة
فى هذه المجموعة تاج ذهبى فخم ، وصدرتان ذهبيتان مرصعتان
بالعجائن الملونة والأحجار الكريمة على أحدهما اسم سنوسرت الثانى
وعلى الثانية اسم أمنحات الثالث ، وعقود من حبات من الذهب
وحجر الجمشت (الأماثيست) والعقيق الأحمر واللازورد والفلسبار ،
وعقد مكون من حبات من الذهب على هيئة رأس أسد ، وحبات
فى إطار من الذهب والأحجار الكريمة ، وأساور وخواتم . واشتملت
أدوات الزينة على أمواس شفراتها من النحاس ومقابضها من الذهب
وأوان مرمرية للعطور والدهون ، وأوان أخرى لنفس الغرض ولكنها
مصنوعة من حجر السبع (الحجر الزجاجى الأسود - أسيديان)

المسقول ومغلف جزء منها بالذهب ، ومرآة من الفضة ذات مقبض من السبج والذهب . وقد وضعت هذه المجموعة في الأصل في ثلاث علب من الأبنوس طعنت احداها على الأطل بالذهب والعاج والعقيق الأحمر والفيانس الأزرق . وهذه المجموعة — ما عدا القليل منها الذى فى المتحف المصرى — موجودة الآن فى متحف المتروبوليتان للفنون فى نيويورك .

وسار سنوسرت الثالث وأمنححات الثالث — اللذان شيديا هرميهما فى دهشور الى الناحيتين الشمالية والجنوبية من هرم أمنححات الثانى — على نمط سنوسرت الثانى فى استخدام الطوب اللبن لاقامة البناء العلوى والاستزادة من عدد الحجرات والمهرات فى الجزء الأسفل . واتبعا نفس الطريقة أيضا فى عدم وضع مدخل المبنى السفلى فى الواجهة الشمالية ولكن عند نقطة بعيدة عن الهرم نفسه لا يمكن العثور عليها الا بطريق الصدفة أو بعد البحث المضى . وقد حدث لمورجان عندما قام بحفر هذين الهرمين فى عام ١٨٩٤ — ١٨٩٥ أنه قضى أشهرًا عديدة من العمل غير المثمر قبل أن يجد سبيلا الى حجرة الدفن ، وأخيرا استطاع فى النهاية أن يعين موقع مدخل هرم سنوسرت الثالث فى الفناء الذى فى الجانب الغربى منه ، وعين مدخل هرم أمنححات الثالث فى مكان مشابه مواجه للركن الجنوبى من واجهة الهرم الشرقية . ورغم هذه الخادعة فقد مثل معماريو الهرمين فى تضليل اللصوص القدماء ، ولم يجد دى مورجان فيهما الا القليل .

ولكن حظه كان أفضل عندما قام بحفر مقابر أفراد الأسرة المالكة فى الجانب الشمالى من كل هرم ، فوجد فى مقبرتى الأميرتين سات — حاتحور ومريت (داخل السور الخارجى لهرم سنوسرت الثالث) وفى مقبرة الأميرة نوب — حتب (داخل السور الخارجى لهرم أمنححات الثالث) مجموعة من الحلى من نوع مجموعة الحلى النبى وجدت فى مقابر أميرات أمنححات الثانى وسنوسرت الثانى . ولم توضع هذه الحلى على موميات الأميرات بل أخفيت فى مكان خاص داخل المقبرة ، وكان ذلك سببا فى ظهور النظرية القائلة بأن مجموعة أخرى من الحلى — ربما كانت من نوع أردأ — كانت تجهز خصيصا لتوضع مع المومياء ، أما الحلى التى عثر عليها مخبأة فى أماكن خاصة فهى الحلى التى كانت تلبسها الأميرات أثناء حياتهن .

وحكم أمنححات الثالث ستا وأربعين سنة على الأطل ، وهو من بين الملوك البارزين فى تاريخ مصر ، ولكنه لم ينل شهرته بسبب أعماله

الحربية وجرائته أو حسن ادارته ، ولو أنه من المحتفل — عندما تزداد معلوماتنا عن الأحوال السياسية والاجتماعية في عصره — أن يظهر أنه في هذه النواحي أيضا يستحق كل تقدير ، وإنما كانت شهرته بسبب أعماله الفنية وانشاءاته المعمارية ومن بينها الهرمان اللذان اقترن اسمه بهما . ولا شك أن التماثيل التي بقيت لهذا الملك تعد من روائع فن النحت التي أخرجها قدماء المصريين (لوحة ١٣ ب) وهى توضح لنا أعلى درجة بلغتها النهضة الفنية التي بدأت في عهد نب — حبت — رع منتوحتب وأستمرت في التقدم دون عائق يذكر حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

على أنه من قبل أن تكشف الحفائر عن أية واحدة من تلك الروائع الفنية ، كان مؤرخو اليونان والرومان قد خلدوا اسم أنمحات الثالث باعتباره منشئاً لبحيرة مورييس في الفيوم ومشيداً لقصر اللايرنت الذى كان على مقربة من البحيرة . والذى قارنوه بقصر اللايرنت القديم الذى أقامه الملك مينوس فى كنوسوس فى جزيرة كريت . ووصف ديودور — الذى زار مصر فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد — تلك البحيرة بالكلمات الآتية : « مورييس ... حفر بحيرة ذات فائدة عظيمة ولو أنها كلفتها عناء كبيراً . ويقولون ان بحيطها ٣٦٠٠ استاد (١) وعمقها فى أغلب المواقع خمسون قامة (القائمة ٦ أقدام) : فمن ذا الذى يتأمل فى عظمة هذا المشروع ولا يتساءل : كم من عشرات الآلاف من الرجال استخدموا فى هذا العمل ، وكم قضوا من السنين حتى أموه ؟ لا يستطيع أحد أن ينتقص عمل ملك جاء بمثل هذه الفوائد والمزايا لكل سكان مصر .

« وحيث ان النيل لا يقف عند حدود ثابتة فى فيضانه ، وأن رخاء البلاد يتوقف على تنظيم مياه النهر ، فقد حفر الملك هذه البحيرة ليمد البلاد بفائض مائه ، ولكيلا يغمر النهر بشدة نياره الأراضى فتتكون المستنقعات والبرك ، ولكيلا تتسبب قلة مائه فى التأثير على المحصول عندما يكون فيضانه أقل من الحد المألوف ، لهذا حفر بين النهر والبحيرة قناة طولها ٨٠ استاداً وعرضها ٣٠٠ قدم ، وبواسطة هذه القناة كان يستطيع أن يجلب ماء النهر فى بعض الأوقات ، وفى أوقات أخرى يتفادى ذلك ، وبهذا يمد الفلاحين بالماء فى الأوقات المناسبة بفتح مدخل القناة ثم اغلاقه ثانية بطريقة فنية تكلفه أموالاً كثيرة لا تقل

(١) الاستاد = ١٨٥٣ متر . (المرعب)

عن ٥٠ وزنة من ذهب (الوزنة الواحدة تساوى عشرة آلاف جنيه تقريباً) وهى المبلغ اللازم ليصرفه أى شخص يريد فتح أو قفل هذه الفتحة . واستمرت هذه البحيرة تخدم أغراض المصريين الى أيامنا هذه ، واتخذت اسمها من اسم بانيتها ، وما زالت تسمى بخيرة موريس « (١) » .

ولكن بالرغم من أن أمنمحات الثالث قد قام على الأرجح بتنفيذ بعض مشروعات تتعلق بالرى أو استصلاح بعض الأراضى القريسة من هذه البحيرة ، وبالرغم من أن ديودور وبعض الكتاب القدماء نسبوا إليه أمر انشائها فعلاً ، إلا أنه يكاد يكون من المؤكد أنها كانت موجودة قبل عصره ، وأن اسمها دون شك غير مشتق من اسمه الأول الذى كان ينطق « نمارا » على الأرجح ، والذى عرفه اليونانيون فى اللغة الدارجة باسم مارس ، بل هو مشتق من بلدة على البحيرة اسمها « مى - ور » (أغلب الظن أن موقعها مدينة غراب الحالية) أو من اسم القناة التى كانت تربط النيل بالبحيرة والتى كانت تسمى أيضاً مى - ور .

ولحسن الحظ ثبتت صحة علاقة أمنمحات الثالث بقصر اللابرنت على أساس تاريخى مكين ، إذ استطاع بترى أن يثبت ذلك فى عام ١٨٨٨ - ١٨٨٩ عندما قام بالكشف عن الهرم الثانى لهذا الملك فى هواره ، وعرف أن معبده الجنازى صمم فى الواقع على تخطيط يشبه التيه (اللابيرنت) . فقد كان ذلك المعبد بناء ضخماً يغطى مساحة يبلغ طولها نحو ١٠٠٠ قدم وعرضها ٨٠٠ قدم ويختلف من حيث التصميم عن كل معبد جنازى آخر معروف ، إذ لا يحتوى على مجموعات من الأبهاء والممرات المؤدية الى المقدس بل يشتمل على عدد كبير من الأبهاء المنفصلة المرتبة فى صفوف ، ولم يتمكن بترى من معرفة شئ من التفاصيل المعمارية اللهم الا القليل نظراً لتخربه الكامل . ونستطيع أن ندرك شيئاً من مظهره الذى كان عليه من وصف استرابو الذى كتبه فى أوائل القرن الأول الميلادى ، قال :

« ولدينا هنا أيضاً (الى جوار بحيرة موريس) اللابرنت ، وهو عمل يتساوى مع الأهرام ، ويلاصقه قهر الملك الذى بنى اللابرنت .

(١) Diodorus Siculus, The Historical Library, Bk, I, LI and L. II (W. G. Waddell's translation).

فاذا ما تقدمنا بعد المدخل الأول للقناة بنحو ٣٠ أو ٤٠ استادا ، لوجدنا سهلا مستويا فيه قرية وقصر كبير مكون من عدد من القصور بقدر عدد ما كان في مصر من الأقاليم سابقا . ويوجد عدد مساو من الأبياء الكبيرة المحاطة بالأعمدة ، وهي ملاصقة لبعضها البعض وعلى خط واحد مكونه مبنى واحداً يشبه جدارا طويلا أمامه هذه الأبياء الكبيرة . ومدخل هذه الأبياء في مواجهة الجدار ، وأمام هذه المداخل طرقات طويلة عديدة مسقوفة تربطها ببعضها البعض ممرات متعرجة ، ولذلك لا يستطيع أى أجنبى أن يجد طريقه الى هذه الأبياء الكبيرة أو يخرج منها دون دليل يرشده . وأعجب ما فيها أن سقف كل من هذه المباني مكون من حجر واحد ، وسقفت أيضا كل الطرقات الموصلة إليها بالطريقة نفسها بكتل من الحجر ذات حجم كبير جداً دون أن يستعملوا معها الخشب أو أية مادة أخرى . فاذا ما صعدنا الى السقف الذى لم يكن على ارتفاع كبير لأن البناء مكون من طابق واحد — لرأينا السقف كأنها حقل من الأحجار ، وعندما نهبط ثانية وننظر الى الأبياء الكبيرة نجدها على خط واحد يحمل سقوفها سبعة وعشرون عمودا صنع كل منها من حجر واحد . وقد بنيت الجدران أيضا من الأحجار التى لا تقل حجما عن هذه .

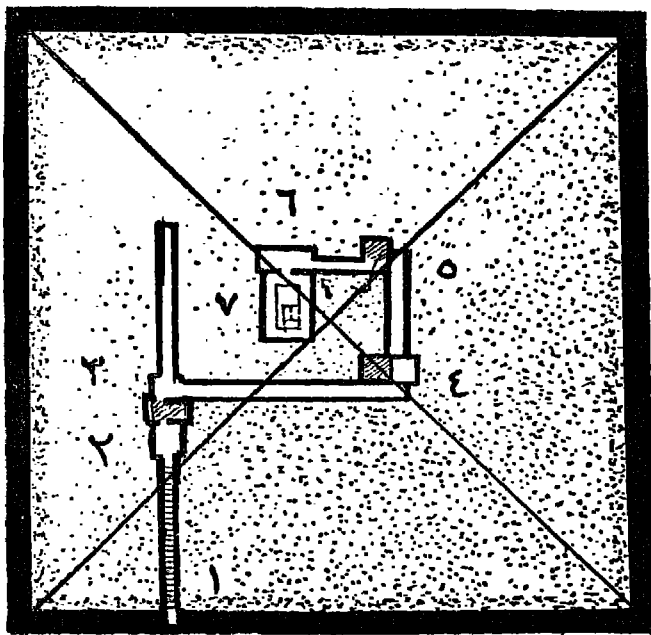
وفي نهاية هذا المبنى الذى يزيد طوله عن ستاديوم (مقياس اغريقى يساوى ٢٠٢ ياردة) نجد القبر وهو هرم مربع الجوانب بلغ طول كل ضلع منه نحو أربعة بلتروانات (البلترون ١٠٠ قدم أو ٣٠٨٨ متراً) وارتفاعه مساو لطول ضلعه ، واسم الشخص الذى دفن فيه إيمانديس Imandis . ويقال انهم بنوا هذا العدد من الأبياء لأن التقاليد كانت تحتم على أهالى كل الأقاليم أن يجتمعوا معا حسب مراتبهم بكهانهم وكاهناتهم لأجل تقديم القرابين للآلهة ولأجل إقامة العدل فى الأمور ذات الأهمية العظيمة ، وكان أهل كل اقليم يذهبون للبهو المخصص لهم « (١) .

ويقع الهرم الذى يشير اليه استرابو فى الجانب الشمالى من اللابرننت . وكان بناؤه العلوى — حسب العادة التى كانت متبعة فى عصره — من الطوب اللبن ومكسيا بالحجر الجيرى . واتبعوا فى بنائه السفلى طرق التعمية والتضليل التى كانت فى أهرام أسلافه ، مما جعل بترى يعجز عن الوصول الى ممراته الا بعد أسابيع من العمل مدى

• Strabo, Geographica Bk. XVII, I, 37 (Bohn's Classical (١)

موسيين . ويقع المدخل على مسافة ٨٠ قدما تقريبا غرب منتصف
الواجهة الجنوبية ، وتنزل منه درجات السلم (شكل ٢٧ - ١) الى
حجرة صغيرة (شكل ٢٧ - ٢) يقع بعدها ممر قصير يؤدي الى مكان
مغلق النهاية .

وفي سقف هذا الممر خبايا وكثافة كبيرة من الحجر تزن عشرين طنا
وتنزلق انزلاقا جانبيا ، فكانت بدت نوعا من الباب المتحرك يوصل
الى حجرة ثانية (شكل ٢٧ - ٣) والى الممرات التي خلفها ، ووضعوا
تصميم احد هذه الممرات ليخدع أى سارق ينجح في ولووج البساط
المتحرك ، فقد كان - رغم سده باحكام - لا يؤدي الى أى
مكان آخر . أما الممر الآخر فيطلق بباب خشبي وينعطف مرتين في
زاوية قائمة وله بابان متحركان في السقف (شكل ٢٧ - ٤ ، ٥)
ويؤدي الى الردهة الكبيرة (شكل ٢٧ - ٦) ، ولكنهم لم يفلتوا
هذين البابين بعد الدفن . وحفرت في كل طرف من طرفى الردهة بئر
وهمية لكى تخدع السارق فيتهم ان حجرة الدفن تقع بعدها ، فيضيع



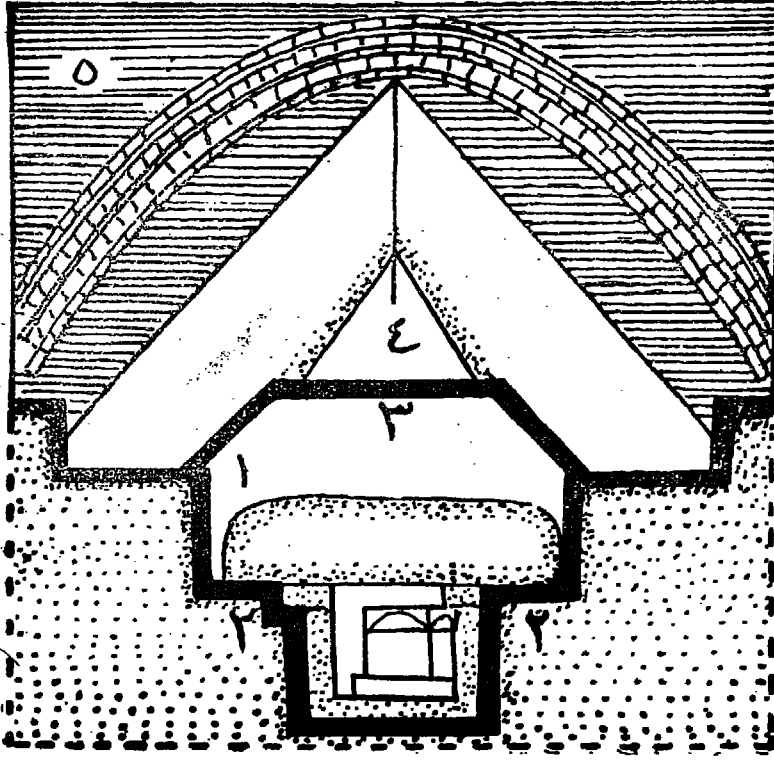
(شكل ٢٧ - هرم امنمحات الثالث بهواره)

وقته وجهده في ازالة ما يملؤها . وهناك خدعة اخرى هدفوا بها الى الغرض نفسه ، وهى سد كل النصف الشمالى من الردهة بالأحجار بالرغم من انها لا تخفى وراءها شيئا سوى الجدار .

ولكن نفهم بوضوح الطريق الحقيقى الموصل الى حجرة الدفن (شكل ٢٧ — ٧) لا بد أن نصف أولا الطريقة التى بنيت بها هذه الحجرة . فقبل أن يقام مبنى الهرم العلوى حفرت فى الصخر بئر كبيرة مستطيلة عند نقطة تبعد غربا عن مركز المساحة التى تغطيها قاعدة الهرم ، وانزلوا الى قاع هذه البئر — بعد أن كسيت بالأحجار — حجرة الدفن المكونة من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت الأصفر وعلى هيئة صندوق بغير غطاء . وقد قام بترى بقياس هذه الكتلة وأثبت أن طولها كان ٢٢ قدما ، وعرضها ٨ أقدام ، وارتفاعها ٦ أقدام ، ويزيد وزنها على ١١٠ أطنان . ورغم صلابة مادتها فقد نحنت وضلعت بطريقة رائعة ، وكانت أركانها الداخلية حادة لدرجة أن بترى ظننها لأول وهلة مجموعة من عدة أحجار ، ويتكون سقف الحجرة من ثلاث كتل من حجر الكوارتزيت الأصفر وضعت جنبا الى جنب ويبلغ سمك كل منها ٤ أقدام تقريبا (شكل ٢٨ — ١) .

ولا ترتكز هذه الأحجار مباشرة على جدران كتلة الكوارتزيت ، بل وضعت فوق مدمك من الكتل الحجرية بنيت فوق الجدران لكي يرتفع سقف الحجرة (شكل ٢٨ — ٢) . وكان فوق حجرة الدفن حجرتان ، السفلى منهما ذات سقف مسطح (شكل ٢٨ — ٣) أما العليا فذات سقف مدبب مكون من كتل من الحجر الجيري تزن كل منها ٥٠ طنا تقريبا (شكل ٢٨ — ٤) . وأخيرا بنوا قبوا من الطوب سمكه ثلاثة أقدام فوق السقف المدبب لكي يحمل ثقل بناء الهرم (شكل ٢٨ — ٥) والى أن جاء الوقت الذى تم فيه إغلاق القبر بصفة نهائية ، وضعوا كتلة السقف بالقرب من الردهة فوق حملات تاركة فراغا بينها وبين مدمك الأحجار الذى كان مفروضا أن توضع فوقه فى النهاية .

وقطعوا فى أرضية الردهة خندقا مستعرضا يوصل مباشرة الى ذلك الفراغ تحت الكتلة المحملة ، وبهذا أمكنهم أن يدخلوا موميا الملك عن طريق هذا الخندق الى الفراغ ثم الى حجرة الدفن ، حيث وضع فيها التابوت الكبير من الكوارتزيت فى مكانه قبل أنزال أحجار



(شكل ٢٨ - حجرة الدفن لأممحات الثالث بهواره)

السقف الى البئر . ووضعوا داخل الحجرة تابوتا ثانيا اصغر من الأول ومن المادة نفسها للأميرة بتاح نفرو ، ووضعوا مع التابوتين الصناديق الكاثوبية المصنوعة أيضا من الكوارتزيت ، وبعد أن تمت مراسم الدفن أنزلوا كتلة سقف حجرة الدفن المحملة والبالغ وزنها نحو خمسة وأربعين طنا ، ومالأوا الخندق في الردهة وغطوه ببساط حتى لا يبقى أى أثر ينم عن وجوده . ولكن رغم كل هذه الاحتياطات فقد تعرض هذا الهرم لنفس المصير الذى تعرضت له أهرام أسسلافه ، ووجد بترى عندما نجح أخيرا في الوصول الى حجرة الدفن أن كل الأشياء المنقولة قد نهبت وحرق اللصوص الجثث والتوابيت الخشبية الداخلية .

ولسنا نعرف شيئا عن الظروف التى جعلت أممحات الثالث يبنى هرمين ، ونظراً لأنه لا يمكن أن يكون قبره الا في هرم واحد

نقلاً بما أنه ترك الثاني فارغاً ، والأرجح أنه الهرم الذي في دهشور .
وأغلب الظن أن سنوسرت الثالث قد بنى - علاوة على هرمه
في دهشور - قبراً رمزياً على شكل مصطبة في أبيدوس ، وبهذا أصبح
لروحه مقبرة ثانية تستطيع أن تسكنها في أى وقت تشاء على مقربة من
قبر أوزيريس .

ولم يكن هناك من البواعث الدينية ما يرجح اختيار دهشور أو
هواره ، ولذلك يمكننا أن نفرض أن أمنمحات قرّر أن يستبدل
قبره الأول في دهشور بهرم ومعبد جنازى أكثر فخامة في هواره .

وبموت أمنمحات الثالث انتهت فعلاً الدولة الوسطى ، وظهر
أمنمحات رابع وملكة تسمى سبك نفرو في نهاية الأسرة الثانية عشرة ،
كما تقول السجلات التاريخية المتأخرة . ولكننا إذا درسنا نقوش الوثائق
المعاصرة نكاد نحكم بأن أمنمحات الرابع لم يحكم بمفرده أبداً ، بل
اشترك في الحكم مع أمنمحات الثالث ، وهذا ما كان يفضله الوريث
المنتظر عندما تتقدم السن بالملك الحاكم . ولم يتول أمنمحات الرابع
العرش بمفرده لولته المبكر . وعينت بعد ذلك الأميرة سبك نفرو
شريكة في الحكم ، وربما استمرت شاغلة للعرش بمفردها مدة قصيرة
بعد موت أمنمحات الثالث . ولم يترك أمنمحات الرابع ولا سبك
نفرو هرماً يمكن تعيين مكانه بصفة قاطعة . ولكن ا. ماكاي
(E. Mackay) عندما كان يعمل تحت إدارة بترى في عام ١٩١٠ -
١٩١١ وجد في مزغونة (Mazghuna) - التى تبعد مسافة ثلاثة
أميال تقريباً عن دهشور - بقايا هرمين متخربين مطابقتين في تصميمهما
لهرم أمنمحات الثالث بهواره ، مما يخل على الاعتقاد بأن الأهرام
الثلاثة من عصر واحد تقريباً . وفي هرمى مزغونة بعض التحسينات
البسيطة التى تثبت أن بانيهما قد استفاد من التجارب في تشييد هرم
هواره ، ولهذا فمن المحتمل جداً أن ينسب هرماً مزغونة الى أمنمحات
الرابع والملكة سبك نفرو . ولكن ، أى الهرمين بنى للملك وأيها
بنى للملكة ؟ هذا ما لا يمكن معرفته حتى الآن ، لأن القرائن غير
كافية .

وفي خلال القرنين اللذين مرّا منذ الأسرة الثالثة عشرة الى السابعة
عشرة اجتازت مصر الفترة المظلمة الثانية من تاريخها . كان على رأس
البلاد ملوك ضعاف لم يطل حكم أحد منهم ، وكانت في حالة من الفوضى
أشد من التى جاءت في أعقاب الدولة القديمة . وشاء سوء الحظ أن
تسود هذه الفوضى في مصر في الوقت الذى تأثرت فيه جميع بلاد

غرب آسيا بحركة هجرة شعوب واسعة وصل أثرها حتى مصر . ففى أواخر أيام الأسرة الثالثة عشرة أو ابتداء الأسرة الرابعة عشرة غزت البلاد جيوش آسيوية كان معظمها من الساميين الذين أحضروا معهم سلاحا جديدا لم يكن للمصريين عهد به من قبل . وقد عرف هؤلاء الغزاة باسم الهكسوس ، وهو اسم فسرته مانيتون بمعنى « ملوك الرعاة » ولكن ربما يعنى « حكام البلاد الأجنبية » . وكان هذا السلاح الجديد هو العربة التى يجرها الجواد ، ولم يحصل جيشهم بفضلها على التفوق فى السلاح فحسب بل وعلى سرعة التحرك أيضا . وبعد أن قضى الهكسوس على كل مقاومة ، أقاموا عاصمتهم فى أواريس ، ولم يحدد الى الآن بصفة نهائية موقع تلك المدينة ، الا أنه يبدو أنها كانت فى الجزء الشمالى الشرقى من الدلتا ، وربما كانت فى موقع المدينة التى عرفت فيما بعد باسم تانيس — مدينة زون الواردة فى التوراة .

وحكوا من هناك كل الدلتا ومصر الوسطى حتى مدينة القوصية على الأقل ، وهى على بعد ثلاثين ميلا شمال أسيوط . والى الجنوب من ذلك استقرت أسرة مصرية بحتة تحكم فى طيبة ، ولكنها كانت تعترف بسيادة الهكسوس وتدفع لهم الجزية . وأخيرا ثار أحد هؤلاء الحكام — ويسمى كاموسى ، آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة على الأرجح — وطرد الهكسوس من مصر الوسطى ، وربما استعاد منف . وتم طرد هؤلاء المعتدين الأجانب فى بداية القرن السادس عشر ق.م عندما استولى احمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة على أواريس وطاردهم الى جنوبى فلسطين .

والآثار الجنائزية الملكية التى يرجع تاريخها الى الفترة المعروفة باسم عصر الفترة الثانية (من الأسرة الثالثة عشرة الى الأسرة السابعة عشرة) قليلة جدا ، وذلك يرجع — الى حد ما — الى عدم استقرار الأمور السياسية فى ذلك العصر . ومع ذلك فهناك بقايا هرمين ملكيين من الأسرة الثالثة عشرة اكتشفها جيكييه على مقربة من مصطبة شبسكاف (مصطبة فرعون) فى سقارة . وبنى أحد هذين الهرمين ملك يسمى خنجر (Khenjer) ، ولكن صاحب الهرم الثانى — الذى يبدو أنه لم يتم — غير معروف . ويشبه كلا الهرمين فى تخطيطهما بوجه عام هرم امنمحات الثالث بهواره . وفى كل منهما نرى حجرة الدفن مكونة من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت ومسقنة بأحجار من الحجر نفسه ، وقدر جيكييه وزن حجرة الدفن فى الهرم الذى لم يتم بأكثر من ١٥. طنا . ونرى فى هذه الكتلة الحجرية شيئا جديدا ، وذلك أن الأجزاء السفلى من التابوت والصندوق الكانوبى نحتت هى

وأرضية الحجر من قطعة واحدة ، أما الفطاءان فكانتا مقطعتين منفصلتين .

ولم تكتشف الى الآن أية مقبرة لملك من ملوك الهكسوس ، وبالتالي أصبح من المستحيل أن نعرف ما اذا كانوا اتبعوا طريقة المصريين في بناء أهرام أو أنهم دفنوا في مقابر من نوع آخر . ونرى اشارات الى أهرام ملوك الأسرة السابعة عشرة في يردية أبوت الموجودة الآن في المتحف البريطاني ، وتسجل هذه البردية نتائج عمل لجنة عينها وزير من الأسرة العشرين لتحقيق اتهامات معينة عن إهمال في تادية الواجب مما سبب سرقة القبور . وقد قدم هذه الاتهامات عمدة طيبة ضد عمدة الجبانة في البر الغربي حيث أقيمت تلك الأهرام . ومع ان الأدلة المادية قليلة ، الا انه يظهر أن المبانى العلوية كانت تغطى مساحة مربعة طول ضلعها ٢٥ قدما تقريبا . وتبيل أوجه الهرم الأربعة الى الداخل بزواوية قدرها ٥٦٥ ، مما جعل البناء يبدو مرتفعا ونحيفا . وكانت القمة حجراً جيرياً واحداً يحمل في بعض الحالات اسم الملك والقابه ، أما حجرة الدفن فقد نحتت في الصخر تحت هيكل الهرم .

وربما كان أحسن الأول آخر من بنى هرما من الملوك المصريين . ويوجد قبره الحقيقي في طيبة ، العاصمة ، ولكن قبره الرمزي الذي بناه في أبيدوس كان على شكل هرم . وأقام أيضاً في أبيدوس هرما رهزيا لجده تيتي شري (Tetisheri) التي نعرف ان قبرها الحقيقي — الذي لم يعثر عليه للآن — كان في طيبة ، بناء على ما جاء في أحد النصوص التي عثر عليها في أبيدوس .

الا أن هذين الهرمين كانا استثناء للقاعدة العامة ، لان باقى ملوك الأسرة الثامنة عشرة وخلفاءهم لأجيال عديدة لم يبنوا مقابر حقيقية أو مقابر رمزية على شكل هرمى . فلا بد أن التجربة قد علمتهم في ذلك العصر أن الهرم يبنى بارتفاعه غير اللازم عن مكان القبر ، وأن اللصوص — برغم كل خدعة تنتق ذهن الانسان عنها — استطاعوا الوصول الى حجرة الدفن ولم ينهبوا محتوياتها فحسب بل سرقوا الجثة أيضا . أرادوا أن يجربوا طريقة مختلفة لتفادى هذه الشرور . فبدلاً من أن يقيموا معابدهم الجنائزية مع قبورهم في مكان واحد ، عبد غراغنة الدولة الحديثة الى بناء معابدهم في الوادى على مقربة من النيل ، ونقروا كهونا عميقة في سفح الجبل الغربى لمقابرهم . وبهذه الطريقة يصبح المكان الملقى غير معروف الا للذين صنعوا هذه الكهوف ولعدد قليل من الموظفين وأفراد من الأسرة المالكة فقط .

ويعرف المهندس الذى شيد أول قبر من هذا النوع فى « وادى الملوك » المشهور — وهو واد يجرى موازيا للنيل خلف الدير البحرى — السرية التى كان يسير عليها فى عمله بالكلمات الآتية : « أشرفت على قطع قبر جلالته (تحوتمس الأول) فى الجبل وحدى . . لم يرنى أحد ، ولم يسمع بى أحد » . ولم يدر بخلد تحوتمس الأول أو مهندسه أن الوادى الموحش الذى اختاره قدر له أن يصبح المكان المختار لدفن الفراعنة لعدة أجيال قادمة ، ثم أصبح سر مواقع مقابر الملوك أمراً معروفا للجميع ولم تكن هناك مندوحة من أن يعود نهب المقابر .

وقد نجا توت عنخ آمون وحده من بين ستين شخصاً ملكياً أو أكثر دفنوا فى هذا الوادى من العبث به حتى عصرنا الحديث . ولم ينج قبره الا بسبب المصادفة السعيدة التى جعلت رمسيس السادس يحضر مقبرته فى سفح الجبل فوق مقبرة توت عنخ آمون مباشرة ، فكانت نتيجة ذلك أن أصبح مدخل المقبرة الأخيرة مدفوناً تحت كمية كبيرة من الرديم المستخرج من المقبرة التى فوقها ، فنسيها الناس منذ زمن طويل ، ونقلوا فى النهاية ثلاثاً وخمسين مومياء من المقابر المختلفة فى هذا الوادى — من بينها مومياء أشهر الفراعنة مثل تحوتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى — الى مقبرة لم يتم العمل فيها فى الدير البحرى والى مقبرة أمنحتب الثانى حيث ظلت دون أن يصيها عبث جديد حتى عثر عليها فى نهاية القرن الماضى .

وبالرغم من أن المقابر الخاصة ذات الشكل الهرمى ، أو المقابر التى يدخل فى تصميمها المعمارى شكل هرمى ، لا يمكن أن نقارنها ، بأية صورة من الصور ، بالأهرام الملكية ، فان قدماء المصريين ظلوا يستخدمون هذا النوع من المقابر ، منذ الدولة الوسطى الى عصر الرومان . وأقدم الأمثلة المعروفة حتى الآن عثر عليه مارييت فى أبيدوس ، وهو هرم صغير من الطوب اللبن فوق قاعدة مستطيلة غطى جزءاه بطبقة من الملاط المكون من الطين ودهنت بالجير الأبيض . وتقع حجرة الدفن داخل الهرم ، وهى مخروطية الشكل ذات سقف متداخل ، وأحياناً تبنى حجرة ثانية فى القاعدة لتقوم مقام السرداب . ولم يكن لعظم هذه المقابر هياكل خارجية ، ولكن بعضها كان مزوداً بهيكل من طابقين يبرز من الجانب ، ويحتوى كل طابق على حجرة واحدة فقط . وفى الحجرة العلوية كوة للوحة توضع فيها ، أما السفلية فكانت الطريق الوحيد للوصول الى السرداب .

وفى الدولة الحديثة انتشر طراز من المقابر الخاصة أكثر فخامة ، ويشبه فى مظهره الخارجى مساكن الطبقة العليا فى ذلك الوقت . وقد

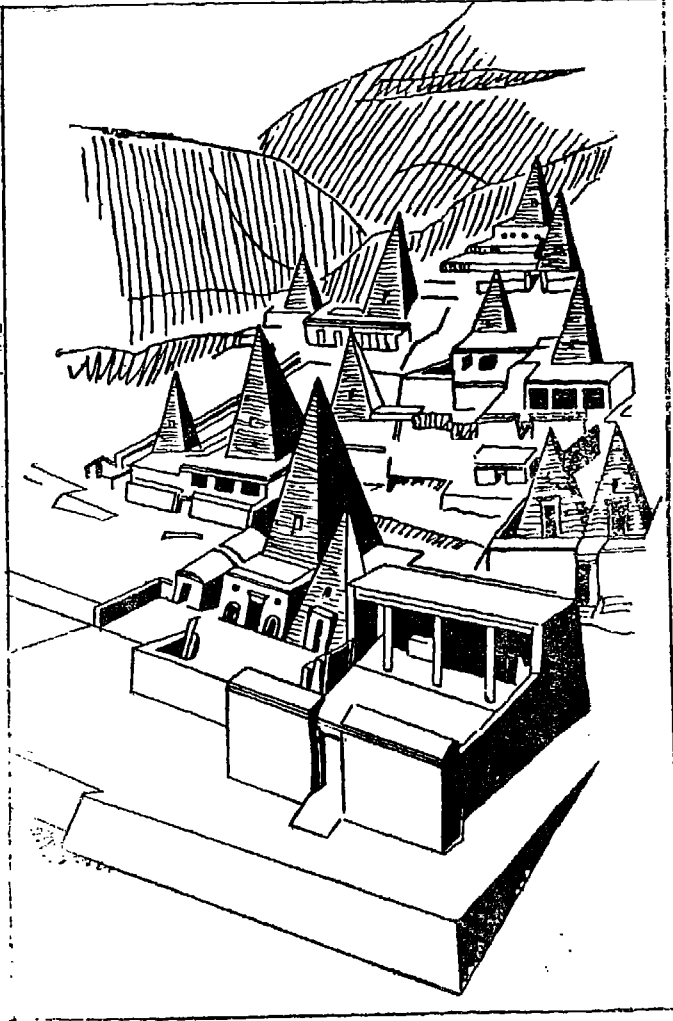
عثر حفارو معهد الآثار الفرنسى على بعض من أحسن الأمثلة لهذا النوع من المقابر عند دير المدينة على بعد قليل من جنوب وادى الملوك (شكل ٢٩) وتحتوى كل مقبرة على جزأين : جزء علوى وآخر سفلى . ففوق سطح الأرض كانوا يبنون فناء محاطا من ثلاث نواح فقط بسور من الطوب اللبن أو الحجر ، أما فى الناحية الرابعة من هذا الفناء فيبنون هيكلأ أمامه أعمدة ، وفى داخل الهيكل حجرة واحدة فيها مناظر ملونة ، وتوضع فيها لوحة مثبتة فى الجدار الخلفى . وفوق سطح هذا الهيكل يبنون هرما أجوف من الطوب اللبن يضعون فوق قمته حجراً هرمى الشكل نقشت عليه صور صاحب المقبرة وهو يتعبد لاله الشمس مع كتابات قصيرة على جوانبه الأربعة ، وفى كوة فى جوانب الهرم المواجه للفناء كانوا يضعون تمثالا صغيراً لصاحب المقبرة تمثله أحيانا راکما وفى يده لوحة صغيرة ، أما حجرة الدفن التى كانت على عمق غير قليل فى الصخر تحت الهيكل فكانت حجرة ذات سقف مقببى وتتصل بالفناء الذى فوقها بواسطة بئر منحدر .

وبعد أن انقضى أكثر من ثمانمائة سنة على بناء آخر هرم ملكى فى مصر ، ظهرت فجأة مقابر هرمية فى السودان . وكان بناتها عددا من الملوك تقع عاصمتهم — التى عرفت فى العصور القديمة باسم نبتا — على ضفة النيل فى مديرية دنقلة على مسافة قصيرة بعد الشلال الرابع (شكل ٣) ، وليس لدينا الا معلومات ضئيلة جداً عن أصل هؤلاء الملوك ، ولكن ريزنر عثر على نعش أثناء قيامه بالكشف عن مقابرهم جعله يظن أنهم كانوا من أصل لىبى جنوبى . ولم تهبئ الطبيعة حول نبتا مرعى خصبا يجذب إليها السكان ، بل تقع فى جزء من أقحل أجزاء وادى النيل . وتعود أهميتها الى موقعها الجغرافى على طريق التجارة الرئيسى بين أواسط افريقيا ومصر ، الذى مكن حكامها من السيطرة على مرور الرقيق وكميات العاج والأبنوس والمر والصمغ والبخور والمنتجات الأخرى التى كان يحتاجها المصريون ، وكانت هذه المنطقة تشمل أيضاً المناجم الغنية بالذهب فى الصحراء الشرقية .

ولكى يضمّن ملوك مصر عدم اضطراب ورود هذه الأصناف ، عمد ملوك الدولة الوسطى — ومرة ثانية بين الأسرات الثامنة عشرة والعشرين — الى ضم شمال السودان الى إمبراطوريتهم . وفى المسدة الأخيرة على الأخص بنيت المعابد لتكريم آلهة مصر فى أماكن كثيرة بين الشلال الأول والشلال الرابع ، وكان أضخم هذه المعابد فى نبتا حيث يقوم جبل مسطح القمة يسمى الآن جبل بركل اشتهر بأنه كان مقر الاله أمون . وفى نهاية الأسرة العشرين (أى حوالى ١٠٩٠ ق . م)

كانت مصر من الضعف بحيث اضطرت لأن تتحرك شمال السودان
وشأنه . وبعد مرور أكثر من قرن من الزمان قبض أجداد الملوك الذين
بنوا تلك الأهرام فيها بعد على زمام البلاد دون أن يجعلوا شعبيهم
ينفذ الديانة المصرية أو يهمل أسس الصنعة التي تعلمها من
المصريين .

ولا نعرف شيئاً عن العلاقة بين حكام نبتا الأولين وبين الملوك
الليبيين الذين أسسوا الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين في
مصر . وتكونت الأسرة الرابعة والعشرون في مصر من ملك واحد

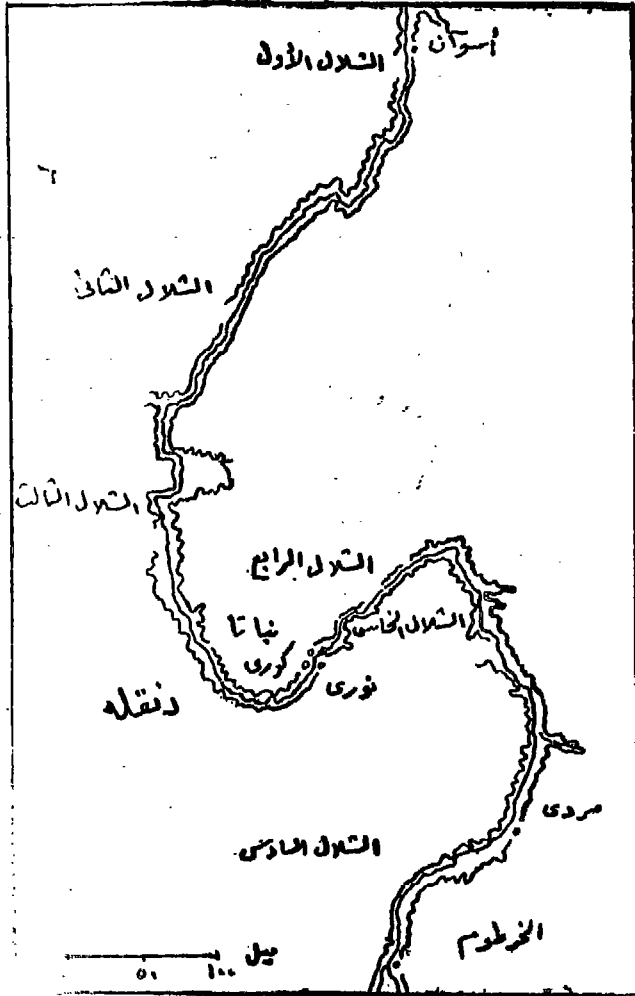


شكل (٢٩) المقابر الخاصة في دير المدينة

لمقط اسمه بورخوريس الذى لم يزد حكمه عن ست سنوات ، وربما كانت سلطته على البلاد سلطة ضئيلة أو اسمية ، لأن مصر تقسمت سياسيا الى عدد من المناطق المستقلة يحكم كلا منها حاكم مطلق صغير . وفى هذا الوقت تقدم كاشتا بجيشه الاثيوبى نحو الشمال فاجتاز الشلال الاول وغزا مصر حتى مدينة طيبة ، وأتم خلفه ببعنخى ذلك الفتح وأعلن فى سنة ٧٢١ ق.م أول ملك للأسرة الخامسة والعشرين . وتتسكون هذه الأسرة من ببعنخى وأربعة ملوك من بعده هم : شباكا ، وشباتاكا وطرهاتفا ، وتانوت أمون ، وقد ذكر أحدهم وهو طرهاتفا فى التوراة لمساعدته حزقيا (٣) فى مقاومته للأشوريين . ومع أن هؤلاء الملوك كانوا من دم أجنبى الا أنهم لم يكونوا أجناسا حقيقيين مثل غزاة الهكسوس . وكانوا فى الواقع متمصرين ، واعتبر ببعنخى على الأمل غزوه لمصر بمثابة جهاد فى سبيل الاله أمون لاصلاح بعض ما فقدته هذا الاله خلال سنوات الاضطراب السياسى .

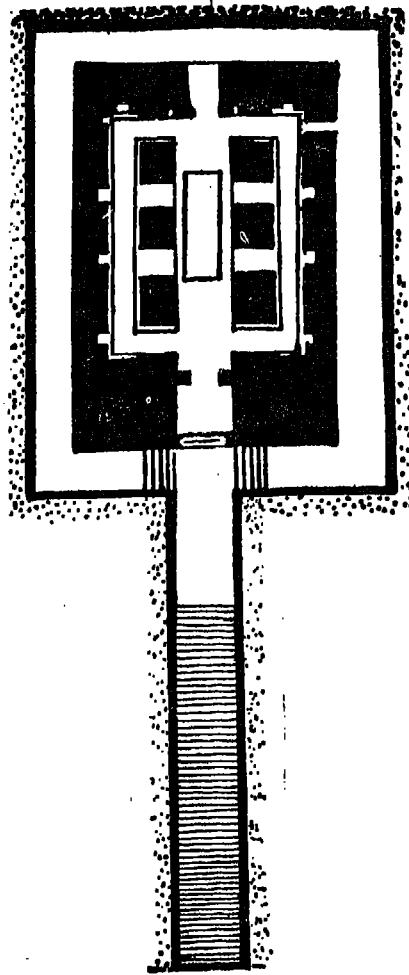
وربما كانت زيارة ببعنخى لمصر ورؤيته أهرام ملوك مصر السابقين فى سقارة والجيزة والأماكن الأخرى هى السبب الذى جعله يهجر طراز قبور المصاطب التى بناها ملوك نبتا الذين سبقوه ويبنى لنفسه هرما . واختار منطقة كورو ، على مسافة نحو خمسة أميال من نبتا ، وسط الجبانة الكبيرة التى بها مقابر أسلافه . ولم يبق حجر واحد من مبنى الهرم العلوى فى مكانه ، ولكننا نعرف أن طول ضلع قاعدته كان أربعين قدما . ومن دراسة الأهرام التى بنيت بعده والتى ما زالت فى حالة جيدة من الحفظ نرى أن جوانب الأهرام الأربعة تيسل الى الداخل بزواوية قدرها ٦٨° . وتقع تحت الهرم حفرة مستفصة بقبو متداخل كانت بمثابة حجرة الدفن ، وكانوا يدخلون تلك الحجرة بعد بناء الهرم عن طريق درجات سلم تبدأ من نقطة غرب المبنى العلوى وتصل الى باب فى الجدار الغربى من الحجرة ، وبعد الدفن يملأون درجات هذا السلم بالرديم وقييرون فوقها هيكلا جنازيا مكونا من حجرة واحدة مزينة بالنقوش . وعندما بنى شباكا هرمة أضاف خندقا تصيرا فى نهاية درجات السلم ، ونحتت حجرة الدفن فى الصخر ، وأقام الهيكل الجنازى مستندا الى الجانب الغربى للهرم مباشرة فوق الخندق وظلت درجات السلم — التى ملئت بعد الدفن بالرديم مثل خندق ببعنخى — خارج الجدار الغربى ، وبهذه الطريقة قام الهيكل على أساس صخرى وأمكن اتمام بنائه أثناء حياة الملك .

وحول طرهاقا في هرمه الواقع في نوري — على مسافة خمسة أميال من تبتا — الخندق الى حجرة صغيرة ، ووسع حجرة الدفن التي بهو قسمه بأعمدة صخرية الى ثلاثة أجنحة ، ونحت أيضا مجرا يحيط بتلك الحجرات ويصل الى البهو عن طريق درجات سلم في الناحية الشرقية (شكل ٣١) . وزاد بعض خلفائه عدد الحجرات السفلية في أهرامهم الى ثلاث ، وتعرض حجرة منها المسافة الواقعة بين حجرة المدخل وحجرة الدفن ، وكتب على جدرانها ما يسمى « الاعتراف السلبي » من كتاب الموتى ، الا أنه رغم هذه التعديلات في التفاصيل فان النموذج العام للقبر الذي استنه شباكا لم يتغير في جوهره .



شكل ٣٠ - خريطة النيل من أسوان الى الخرطوم .

وعلاوة على أهرام الملوك وجد ريزنر في جبانة كورو صفحا من
 خمسة أهرام بنيت للملكات ، وبالقرب من هذا الصف أربع وعشرون
 مقبرة للخيل : أربع منها لخيل بيعنخى ، وأربع أخرى لخيل تانوت
 أمون ، وقسم الباقي بالتساوى بين خيول شباكا وشباتاكا ، وكان
 كل جواد مزيئا بطقم من الفضة وعقود من الخرز ، وكانوا يضحون بهذه
 الخيول عند موت الملك لكى ترافقه الى العالم الآخر . أما في مصر فلم
 تكتشف غير مقبرة واحدة للخيل ، مع أن مقابر الملوك وبعض الأمراء في
 الدولة الحديثة قد حوت العربات الحربية . وعلى ذلك ربما كان بيعنخى
 أول من ابتدع التضحية بالخيل ، لأن تعلقه بها أمر معروف وتشهد



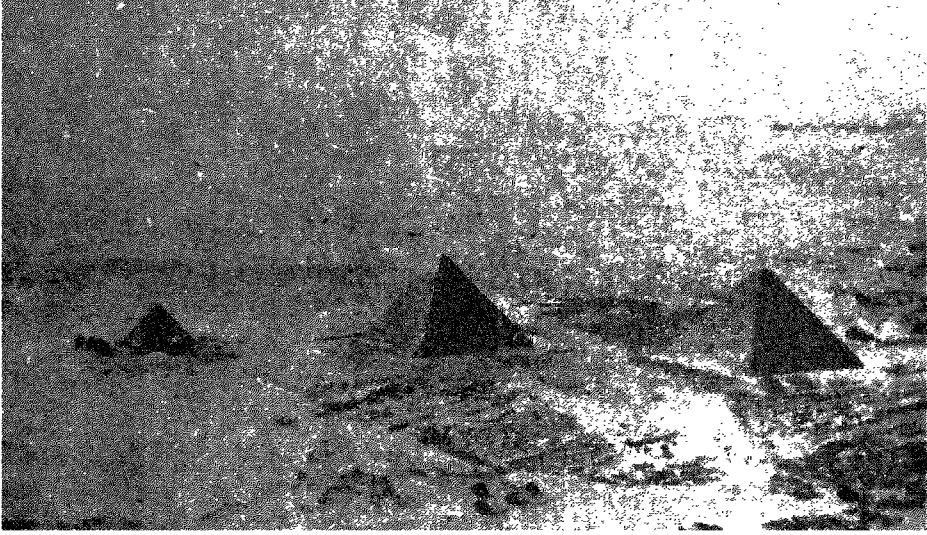
شكل ٣١ هرم طهرقا

بِهِ عِبَارَتُهُ فِي لَوْحَةِ النَّصْرِ الْمَشْهُورَةِ ، نَمَى ذَلِكَ النَّصْبُ الشَّهِيرَ الَّذِي يَصِفُ فِيهِ غَزْوَهُ لِمِصْرَ نَرَاهُ يُعْرَبُ عَنِ سَخَطِهِ عِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّ « نِمْلَات » أَمِيرَ الْأَشْمُونِيِّينَ تَرَكَ خَيْلَهُ تَتَضَوَّرُ جَوْعًا أَثْنَاءَ الْحِصَارِ الَّذِي ضَرَبَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ . وَقَدْ نَالَ نِمْلَاتُ الْعَفْوَ فِي النِّهَايَةِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَدْفَعُ حَيَاتَهُ ثَمَنًا لِأَهْمَالِهِ لِلخَيْلِ .

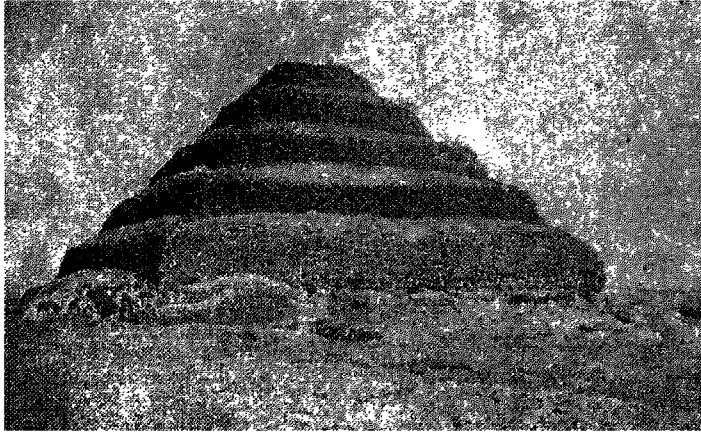
وَحَوْلَى سَنَةِ ٦٦١ ق.م وَضَعَ الْمَلِكُ الْأَشُورِيُّ أَشُورَ بَانِيْسِلَ حَدًّا لِسُلْسَلَةِ الْحُرُوبِ بَيْنَ أَشُورٍ وَمُلُوكِ الْأَسْرَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ بِالْقَلْبِ عَلَى تَانُوتِ أَمُونِ وَفَتَحَ مِصْرَ كُلَّهَا حَتَّى مَدِينَةَ طَبِيَّةَ ، فَعَادَ تَانُوتُ أَمُونِ إِلَى نِبْتَا حَيْثُ ظَلَّ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ يَحْكُمُونَ دُونَ أَرْعَاجِ ذِي الْأَهْمِيَّةِ مَدَّةً تَبْلُغُ نَحْوَ ٣٥٠ سَنَةٍ ، وَكَانَ يَحُدُّ مَمْلَكَتَهُمْ مِنَ الشَّمَالِ الْتَشَالُلُ الْأَوَّلُ وَمِنَ الْجَنُوبِ مَسْتَنْقَعَاتُ النَّيْلِ الْأَبْيَضِ . وَبِاسْتِثْنَاءِ اثْنَيْنِ مِنَ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ بَلَغَ عِدْدُهُمْ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ فَقَدْ دَفَنُوا جَمِيعًا عِنْدَ نُورِي فِي أَهْرَامٍ مِنَ الْحِجْمِ وَالشَّكْلِ ذَاتِهِ ، وَكَانَ الْإِثْنَانِ الْمَسْتَنْقِيَانِ هُمَا تَانُوتُ أَمُونِ وَمَلِكٌ آخَرَ حَكَمَ بَعْدَهُ أَقَامَا هَرْمِيهَمَا فِي كُورُو . وَعِلَاوَةَ عَلَى أَهْرَامِ الْمَسُوكِ تَحْتَوِي جِبَانَةُ نُورِي عَلَى ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ هَرْمًا صَغِيرًا لِلْمَلَكَاتِ وَأَمِيرَاتِ .

وَمِنذُ سَنَةِ ٢٠٠ ق.م . تَقْرِيْبًا حَتَّى سَنَةِ ٣٥٠ بَعْدَ الْمِيلَادِ — عِنْدَمَا سَقَطَتِ الْمَمْلَكَةُ فِي يَدِ الْأَحْبَاشِ — كَانَتِ الْعَاصِمَةُ فِي مَرْوِي عَلَى مَسَافَةِ مِائَةِ وَثَلَاثِينَ مِيلًا شَمَالَ الْخَرْطُومِ . وَحَدِثَ فِي مَرْتَيْنِ أَنْ نَجَّحَ مَدْعُو الْحَقِّ فِي الْعَرْشِ أَثْنَاءَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ فِي جَعْلِ نِبْتَا عَاصِمَةً لِلْمَمْلَكَةِ ، وَلَكِنْ فِي كُلِّتَا الْمَرَّتَيْنِ انْتَهَرَتْ سُلْطَةُ الْخَارِجِيِّينَ عَلَى الْعَرْشِ وَعَادَتِ مَرْوِي إِلَى سُلْطَتِهَا السَّابِقَةِ . وَاسْتَمَرَ دَفْنُ مَلُوكِ مَرْوِي وَمَنَافِسِيهِمْ فِي نِبْتَا فِي أَهْرَامٍ بَلَّغَتْ خَمْسِينَ هَرْمًا فِي مَرْوِي وَثَمَانِيَةَ عَشْرٍ فِي نِبْتَا (لَوْحَةُ ١٤ أ) . وَكَانَتِ كُلُّ هَذِهِ الْأَهْرَامِ — كَسَابِقَتِهَا — مَبْنِيَّةً بِالْحِجْرِ ، مَا عَدَا تِلْكَ الَّتِي بَنِيَتْ فِي مَرْوِي بَعْدَ عَامِ ٢٠٠ بَعْدَ الْمِيلَادِ عِنْدَمَا اسْتَعْدَمُوا فِي بَنَائِهَا الطُّوبَ النَّبْنَ الْمَغْطَى بِطَبَقَةِ مِنَ الْمَلَاطِ .

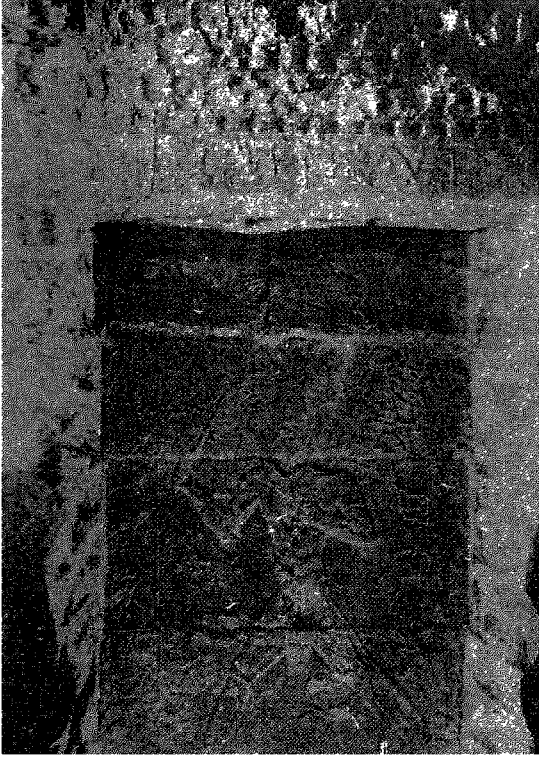
وَاحْيَا مَلُوكِ مَرْوِي عَادَةٌ وَحَشِيَّةٌ كَانَتِ قَدْ انْتَشَرَتْ أَيَّامَ الدَّوْلَةِ الْاَوْسَطَى فِي شَمَالِ السُّودَانِ ، هِيَ دَفْنُ الْخَدْمِ مَعَ الْمَلِكِ فِي قَبْرِهِ لِكَيْ تَسْتَمِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي خِدْمَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْآخِرِ . وَلَا يَزَالُ أَمْرُ دَفْنِهِمْ مِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَدُورُ فِيهَا الْمُنَاقَشَةُ ، وَلَمَسْنَا نَعْرِفُ هَلْ كَانُوا قَدْ دَفَنُوا وَهُمْ أَحْيَاءٌ أَمْ أَنَّهُمْ قَتَلُوا قَبْلَ الدَّفْنِ ، عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ مَعَ الْمَلَكَاتِ



لوحة ١ - أهرام الجيزة مصورة من الجو



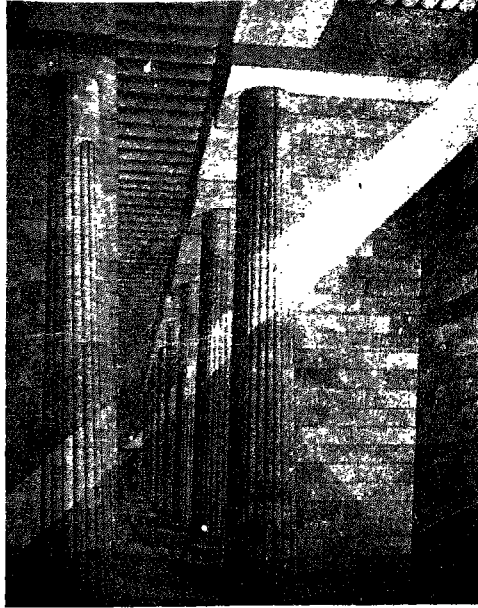
لوحة ٢ - الهرم المدرج بسقارة . الجانبان الجنوبي والغربي



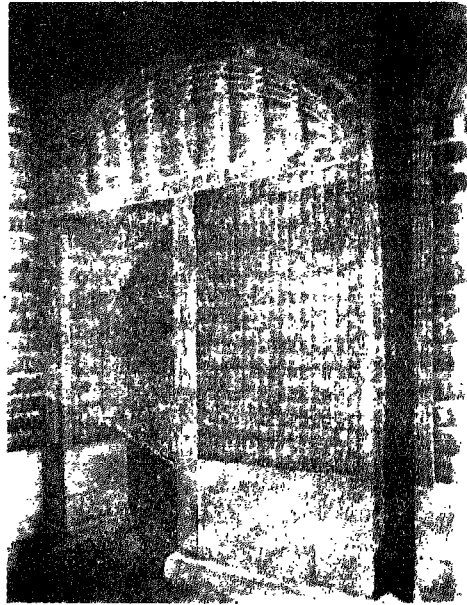
لوحة ١٢ - نقوش بارزة على الحجر
للفراعون زوسر وهو يؤدي بعض الطقوس
الدينية . سقارة



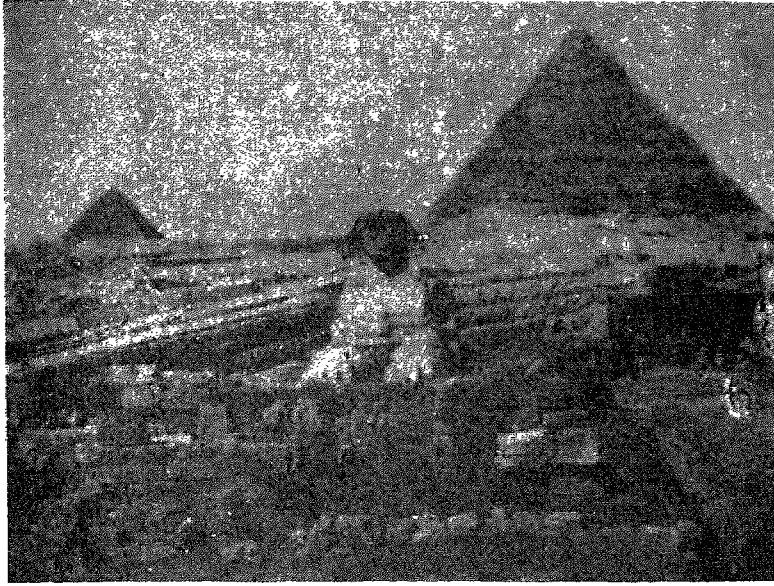
لوحة ٢ ب - تمثال للفراعون زوسر من الحجر
الجيري بالمتحف المصرى



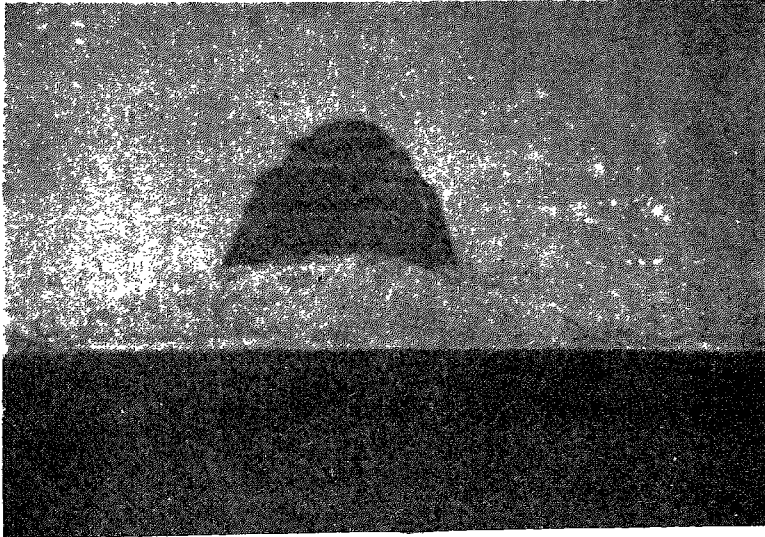
لوحه ٤ - الهرم المدرج . مدخل صالة الأعمدة بسقارة



لوحه ٥ - التغطية بالقيشاني كما كانت في المصطبة الجنوبية بسقارة



لوحة ١٦ - هرم ميدوم



لوحة ٦ ب - أبو الهول بالجيزة



لوحة ٧ - تمثال للفرعون خوفو من العاج بالمتحف المصرى



لوحة ٨ - تمثال للفرعون خفرع من حجر الديوريت بالمتحف المصري



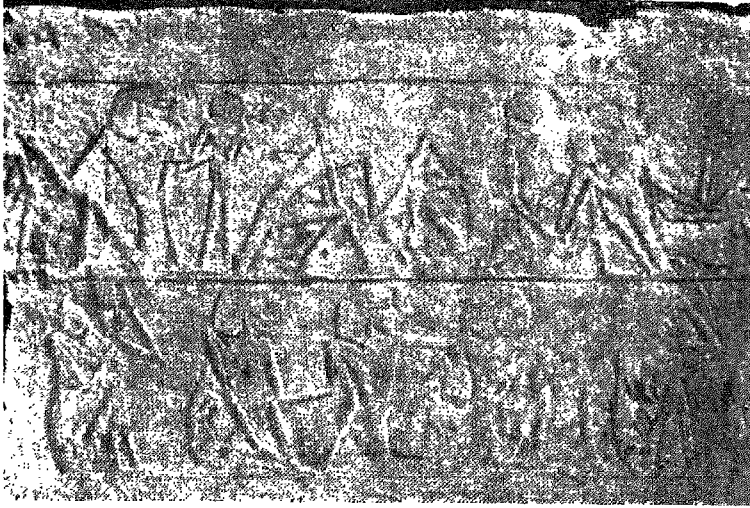
لوحة ٩ — لوحة تمثل نالوتا لأجد أقاليم مصر نرى فيها منبكاورع ،
وحانخور والهة إقليم ابن آوى . بالمتحف المصرى



لوحه ١٠ - مجموعه تماثلي منكاررع والملكة خع .
مرر . نبتى . فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن



لوحة ١١ - الطريق الجنائزى لهرم أوناس بسقارة



لوحة ١١ ب - منظر مجاعة من رسوم طريق هرم أوناس الجنائزى بسقارة



لوحة ١٢ - المعبد الجنائزى المهتم من عهد . نپ . حبت . رع» (منتروحتب) بالدبر البحرى ١



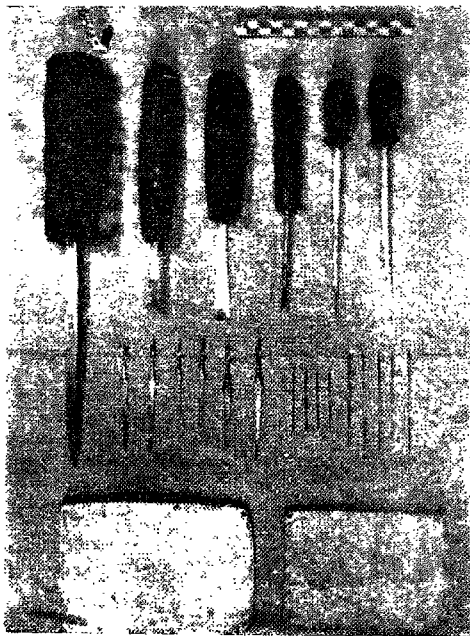
لوحة ١٣ ب - امنمحات الثالث فى شبابه بالمتحف المصرى



لوحة ١٣ ا - تمثال صغير من المرمر للفرعون
ببى الثانى وهو طفل بالمتحف المصرى



لوحة ١٤ - أهرام مروى



لوحة ١٤ ب - أدوات نحاسية من
الأسرة الأولى بالمتحف المصرى

لوحة ١٤ ج - ثقب في الجريت
من أعمال عمال المحاجر القدياء في
اسوان



لوحة ١٥ - تمثال سنوسرت الاول من
الحجر الجيري بالمتحف المصري

اللاتى كن يدفن أيضا فى أهرام فى جبانة منفصلة فى الجانب الغربى من
المدينة . وقد كتب سترابو يقول : « ما زالت العادة جارية فى اثيوبيا
بأن الملك عندما يعجز عن استخدام عضو من أعضائه أو يفقده فى
حادثة أو لآى سبب آخر ، فإن أتباعه — وهم أولئك الذين كان مقدرأ
عليهم أن يموتوا معه — يبادرون باظهار ولائهم له بأن يحدثوا فى أنفسهم
نفس العاهة التى أضيف بها مولاهم » (١) . وربما أخطأ سترابو قليلا
فى ذكر التفاصيل ، ولكن حفائر ريزنر فى مسروى أثبتت أنه لا داعى
للشك فى دقة ما كتبه بوجه عام .

Strabo, Geographica, Bk, XVII, II, 3.

(١)

الفصل السابع

طريقة بناء الهرم والغرض منه

ان الوثائق المصرية الباقية — سواء المكتوب منها أو المصور — لا تلقى ضوءاً على الطرق التي اتبعتها بناء الأهرام في وضع تصميمها أو تشييد مبانيها الضخمة . الا أن الدراسة الدقيقة للمباني ، وما يصل إلينا من معلومات تزيد يوماً بعد يوم عن الأدوات التي كان يستخدمها البناعون ، سهلت لنا التحقق من كثير من التفاصيل الخاصة بالبناء كما جعلت أيضاً في إمكاننا أن نتكهن بما كانوا يفعلونه إذا أعوزنا الدليل المادى . ومع ذلك فلا زالت بعض المسائل محتاجة الى حل ، وفي مثل هذه الحالات لا يسعنا الا افتراض الجواب دون أن يكون هناك ما يؤيده سوى الاعتقاد بأن هذه الفروض يمكن أن تصل بنا الى النتائج الملموسة .

فعند اختيار موقع لهرم من الأهرام كان من الضروري مراعاة اعتبارات معينة : فيجب أن يكون الموقع غرب النيل — الجانب الذى تغرب فيه الشمس — ويجب أن يقام فوق مستوى مياه النهر وغير بعيد عن ضفته الغربية ، ويجب أن تخلو الأرض الصخرية من أى عيب أو احتمال للتصدع ، ويجب ألا يكون بعيداً عن العاصمة ، بل وربما يجب أن يكون قريباً من القصر الذى ربما يكون الملك قد شيده لأقامته خارج العاصمة . وكان من بين المواقع التى اختارها ملوك الدولة القديمة : سقارة وأبو صير فى مواجهة منف ، وأبو رواش على مسافة سبعة عشر ميلاً الى الشمال ، ودهشور على بعد خمسة أميال الى الجنوب . وتفصل ثلاثة وثلاثون ميلاً منف عن ميدوم ، حيث بنى هرم واحد . وكان القرب من النهر عاملاً مهماً ، لأن كثيراً من الأحجار اللازمة لبناء الأهرام والمباني الملحقة بها يجب أن تنقل من الحاجر بالسفن ، إذ لا يبقى أثناء موسم الفيضان من الصحراء الا مساحة عرضها ٢٥٠ ياردة فقط بين النهر وهرم ميدوم ، بينما كانت المسافة عند الجيزة تبلغ نحو ربيع ميل . ولكن عند دهشور وأبى رواش كان طول الطريق المعدة لسحب مواد البناء عليها يقرب من ميل .

وبعد انتقاء الموقع المناسب كان أول عمل يقوم به المشرفون على البناء هو إزالة الطبقة السميكة من الرمال والحصا التي فوق سطح الصحراء ، لكي يقام البناء على أساس ثابت من الصخر . ثم تبدأ بعد ذلك عملية تسوية الصخر وتهذيبه ، وكانت قطع الحجر التي يزيلونها من أماكنها إما أن تستخدم في ملء الشقوق أو توضع جانبا لاستعمالها فيما بعد . ونستطيع أن ندرك مدى عنايتهم بهذه العملية في الهرم الأكبر الذي ينحرف فيه المستوى الأفقى للأرضية المقام عليها الهرم عن المستوى الحقيقي بأقل من نصف بوصة فقط ، وهو فرق لا يكاد يدرك ويرفع الركن الجنوبي الشرقى للهرم عن الركن الشمالى الغربى . ولا شك أن مثل هذه الدرجة العالية من الاتقان في عملية التسوية كانت نتيجة لتجارب عديدة مرت على المصريين ، فتعلموا منها خلال أجيال كثيرة ترجع الى ما قبل عصر بناء الأهرام عندما كانوا يعدون أراضيهم للرى بالمياه الآتية من النهر بواسطة القنوات والترع . ولتسوية مساحة مثل قاعدة الهرم ، كان من الضروري احاطة جوانبها الأربعة بجسور واطئة من طمى النيل وملئها بالماء ، وقطع شبكة من الخنادق في الصخر بحيث تكون أرضية كل خندق على نفس العمق تحت سطح الماء ، أما المساحات التي تتخللها فكانوا يسوون سطحها بعد اطلاق المياه . ولكنه لم يكن من اليسور عمليا أن يسوا سطح جميع المساحة التي سيثقلها الهرم ، فكانوا يتركون أحيانا - كما هو الأمر في الهرم الأكبر - نتوءا من الصخر في الوسط ليستفيدوا منه فيما بعد أثناء عملية البناء .

وكان آخر ما يفعلونه من العمليات التمهيدية في اعداد الموقع هو عمل دراسة دقيقة لكي يتأكدوا من أن قاعدة الهرم تأخذ بقدر الامكان شكل المربع الكامل ، وأن كل جانب من جوانبه يواجه جهة من الجهات الأربع الأصلية . وكانوا يستخدمون في تنفيذ هذه العملية عصيا من الخشب طرف كل منها الى طرف الأخرى ، أو حبالا طويلة . وكانت وحدة القياس هي الذراع الملكى (طوله ٢٠٦٢ بوصة) ويتكون من سبعة لكف (راحة اليد) أو ثمانية وعشرين أصبعا (فالكف الواحد يساوى أربعة أصابع) . فاذا كانوا يستخدمون الحبال المصنوعة غالبا من الياف النخيل أو الياف الكتان فانها كانت تزداد قليلا بشدها في الاستعمال ، ولهذا فلا عجب في أن نجد فرقا يبلغ ٧٩ بوصة بين أطول وأقصر جانب في الهرم الأكبر ، بل ان ضآلة الخطأ في جوانب يزيد طولها عن ٩٠٠٠ بوصة هي في الحقيقة التي تدعو الى الاعجاب ، خصوصا عندما نتذكر أن وجود النتوء الصخرى في الوسط يجعل من الصعب قياس أقطار المربع قياسا صحيحا .

وليس من المستطاع ضبط جوانب الهرم نحو الجهات الأربع الرئيسية إلا بمساعدة جرم أو أكثر من الأجرام السماوية في وقت كانت اليوصلة فيه — بكل تأكيد — غير معروفة ، على أن قدماء المصريين قد نجحوا في هذا نجاحا كادوا يصلون فيه الى حد الكمال ، كما يتضح في الهرم الأكبر وهرم خفرع ، إذ لم يزد الخطأ في الأضلاع الأربعة عن جزء من الدرجة كما يتضح مما يأتي :

الضلع الشمالي	٢٨ ° ٢	جنوبى الغرب
الضلع الجنوبي	٥٧ ° ١	جنوبى الغرب
الضلع الشرقى	٣٠ ° ٥	غربى الشمال
الضلع الغربى	٣٠ ° ٢	غربى الشمال

وبناء على دراسة بترى فان متوسط الخطأ في الضلعين الشرقى والغربى من هرم خفرع يبلغ ٢٦ ° ٥ غربى الشمال (١) . ولا يمكن ان نعرف على وجه التأكيد أى الاجرام السماوية ، وكمن منها ، استعان به المصريون للحصول على هذه النتائج . ولكن من الواضح أنه كان من الضروري أن يحددوا فقط واحدة من النقط الأصلية ، وبعدها يمكن تحديد النقط الثلاث الباقية باستعمال آلات بسيطة كانت فى مقدور بنائى الأهرام . فالشرق والغرب كانوا يستطيعون تحديدهما على وجه التقريب من شروق الشمس وغروبها فى يومى اعتدال الليل والنهار من كل سنة ، وكانوا يستطيعون معرفة الشمال من ملاحظة النجم القطبى . ولكن فى كل حالة يكون الخطأ الناتج (حتى بعد عمل حساب التغيير فى موقع القطب بالنسبة للنجم القطبى فى مدى ٤٥٠٠ سنة) أعظم من الخطأ الذى وجد فى هرمى الجيزة الكبيرين .

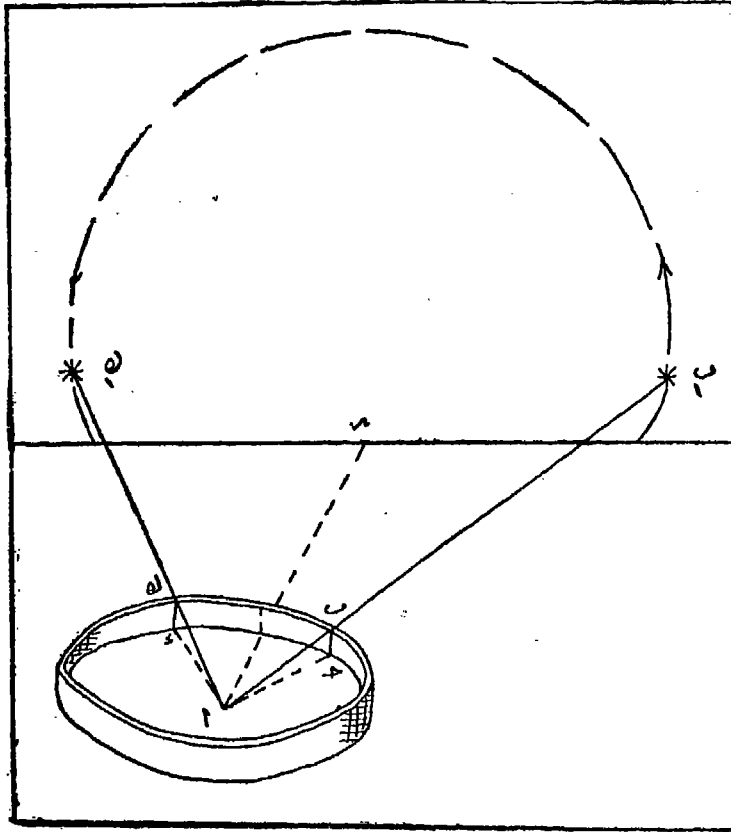
وهناك طريقة بسيطة لتحديد الشمال الحقيقى — وربما كانت هى الطريقة التى استعملت — وذلك بمراقبة نجم فى النصف الشمالى من السماء ، وتنصيف الزاوية المكونة من مكان شروقه ، والمكان الذى حدثت منه المراقبة ، ومكان غروبه . وللحصول على الدقة المطلوبة

(١) وكان من بين الأهرام الأخرى التى قام بترى بدراستها ثلاثة لاحظ الأخطاء الآتية فى توجيه أضلاعها الشرقية والغربية :

الهرم المنحنى	١٢ ° ٩	غربى الشمال
هرم ميدوم	٢٥ ° ٢٤	غربى الشمال
هرم منكورع	٣ ° ١٤	شرقى الشمال

كان من الضروري اما رؤية الأفق الحقيقي عند النقطتين اللتين يشرق
النجم فيهما ويغرب ، واما بعمل أفق صناعى على ارتفاع منتظم فوق
هاتين النقطتين . ولما كان عدم انتظام مستوى الأرض فى أى مكان -
مهما كان التغيير قليلا - يعوق معرفة الأفق الحقيقى ، استلزم الأمر
عمل أفق صناعى .

ويمكن الوصول الى ذلك ببناء جدار دائرى قطره بضعة اقدام
على أرضية الصخر التى سويت من أجل الهرم ، ويجب أن يكون ارتفاع
الجدار كافيا ليمنع الشخص الواقف داخل الدائرة من رؤية أى شىء
آخر خارجها سوى السماء . ولكن يجب الا يترتب على ذلك أن يصبح
الحائط أعلى من الشخص نفسه ، ويجب أن يكون السطح الأعلى من
الجدار فى جميع أجزائه على ارتفاع واحد مضبوط . ويمكن الحصول
على ذلك بسهولة بواسطة الماء ، وذلك بعمل جسور مؤقتة من الطين
على أعلى سطوح الجدار الدائرى من الداخل والخارج ، مع ملاحظة



شكل (٣٢) - طريقة لمعرفة الشمال الحقيقى

الاحتياط اللازم لمنع تسرب المياه . ويقوم بالمراقبة شخص واحد ، فينظر من فوق قضيب قصير مثبت عموديا في الأرض عند مركز الدائرة (شكل ٣٢ أ) ، ويقف شخص آخر داخل الدائرة يتلقى تعليماته من الشخص الأول ، وعندما يظهر النجم (شكل ٣٢ ب ١) فوق الحائط يضع علامة فوق الحائط مباشرة على امتداد الخط المستقيم الواصل بين المراقب والنجم .

ويجب أن تعمل هذه العملية أولا في اتجاه الشرق (شكل ٣٢ ب) ثم نحو الغرب بعد ذلك ببضع ساعات (شكل ٣٢ ك ١ . ك) وذلك برصد النجم نفسه في الحالتين . ثم يدلون ميزان البناء (وكان معروفا للمصريين في عصر بناء الأهرام) من العلامتين اللتين على الحائط ، ويضعون علامتين على الأرض في النقطتين اللتين ينزل عليهما الميزان عموديا (شكل ٣٢ ج ، د) ، وبتنصيف الزاوية ج أ د نحصل على الشمال الحقيقي ويصبح الخط (أ) هو الاتجاه الشمالي الجنوبي . ولزيادة التحقق يمكن إعادة هذه العملية برصد بعض نجوم مختلفة بنفس الطريقة قبل هدم الجدار الدائري . ويقع المشرق والمغرب عند زاوية مقدارها ٩٠° من الخط الذي حصلنا عليه . ولكن لم يعثر حتى الآن على المثلث والأدوات الأخرى التي ربما كانت تستخدم لقياس مثل هذه الزاوية ، الا اننا نرى من دراسة مباني ذلك العصر أن أركانها تكون زوايا قائمة على أتم ما يكون ، مما يدل على معرفتهم لآلة دقيقة أوصلتهم الى هذه النتيجة .

وفي الوقت الذي كانت تقوم فيه الأعمال التمهيدية في موقع الهرم ، كانت الاستعدادات للبناء ترتب في مكان آخر . فكانوا مثلا يصنعون أساسات الطريق الصاعد من الحجر المقطوع محليا ليتمكن استخدامه في نقل مواد البناء عندما تبدأ عمليات بناء الهرم . ولأجل عمل الكسوة الخارجية للبناء كانت تقطع كتل الحجر الجيري من النوع الجيد من جبال المقطم على الجانب الشرقي للنيل عند طرة ، ويكتب العمال المكلفون بمثل هذا العمل أسماء فرقهم بالمغرة الحمراء على الكتل قبل نقلها من الحجر . ومع أن هذه الأسماء غالبا ما تمحى أثناء العمليات المتعاقبة ، الا أن قدراً كافياً منها بقي ليخلد أسماء كثير من هذه الفرق ، فمثلا وجد « ألن رو » الأسماء الآتية واضحة على كتل كسوة هرم ميدوم (١) : « فرقة الهرم المتدرج » ، « فرقة القارب » ، « الفرقة القوية » ، « فرقة الصولجان » ، « الفرقة المتحملة » ، « فرقة

Alan Rowe, The Museum Journal, Philadelphia, Vol. XXII (١)
(1931), p. 21, pl. VI.

المشمال» ، « فرقة الجنوب » . وعلى إحدى الكتل في الهرم الأكبر
نقرأ : « فرقة الصناع » ، « ما أقوى تاج خنوم خوفو الأبيض ! » .

وسبب وضع هذه الأسماء على الأحجار غير واضح ، اللهم
الا إذا كان لغرض تسهيل عملية جرد أعمال كل فرقة . وفي الوقت
ذاته كانت هناك فرق أخرى من العمال يقطعون كتل الجرانيت
اللازمة للأعمدة والأعتاب وأكتاف الأبواب والعقود وكتل الكسوة ،
وفي بعض الأحيان التابوت الخارجى . ومما يثبت أن مثل هذا العمل
لم يخل من الأخطار ، ما تقرأه في مقبرة عند أسوان خاصة بحاكم
الجنوب المسمى أونى (Uni) الذى عاش أيام حكم بيبى الأول ومرنرع ،
حيث يقرر أونى بفخر في هذه النقوش ، أنه نتيجة لسيطرته على
الخارجين على القانون في تلك المنطقة ، أمكن — لأول مرة في التاريخ —
إرسال بعثة لقطع الأحجار الى أسوان تحت سيطرته ، ولم يكن يحرس
هذه البعثة غير سفينة حربية واحدة .

أما الحجر الجيرى — سواء أحصلوا عليه من سطح الجبل القريب
كما هو في الجيزة أم من قلبه كما في طرة — فلم يسبب لبنائى الهرم أية
صعوبات جدية عند قطعه في المحاجر . وقد اتضح من الحفائر الحديثة
التي قام بها و. ب. امرى في جبانة سقارة أنه — حتى في عصر الأسرة
الأولى — كان لدى المصريين آلات نحاسية ممتازة الصنعة ، منها المناشير
والأزاميل التي كانوا يستخدمونها في قطع أى نوع من الحجر الجيرى
(لوحة رقم ١٤ ب) ، وربما استعانوا — لتسهيل عملية النشر —
بمادة مبتلة تساعد على التفتيت ، مثل الرمل الكوارتزى الندى الذى
يوجد بكثرة في مصر ، ولكننا لا نملك الدليل القاطع على أنهم
استخدموا مثل هذه المادة أو التجأوا الى مثل هذه الطريقة .

وكانت الأزاميل والأسافين هي الآلات المفضلة لديهم في قطع
الأحجار الجيرية ، فتستعمل الأولى لفصل الكتلة عن الصخر من
كل جانب عدا القاعدة ، والأخرى تستعمل لعزل الكتلة من أسفل .
ففرى في خندق أحد المحاجر مثلا تجويفا عميقا يشبه الرف يمتد بطول
عرض الممر بين السقف والكتلة المراد نزعها ، والغرض من هذا
التجويف هو تمكين أحد عمال المحجر من الزحف فوق سطح الكتلة
لفصلها من الصخر من الخلف بعمل شقوق عمودية تتجه الى أسفل
بواسطة ازميل يدقته بمطرقة من الخشب ، وفي نفس الوقت يقوم
عامل آخر بإحداث شقوق رأسية مشابهة أسفل الجانبين . وأخيراً
توضع الأسافين في خروم تثبت عند القاعدة لكي تفصلها أفقياً من
الصخر ، وبهذا تفصل الكتلة بأجمعها .

وفى بعض الأحيان تستعمل أسافين من الخشب ، ويتم فصل الكتلة ببل الخشب بالماء ليتمدد . وتعاد العملية بعد ذلك فى الصخرة التى تحتها دون ضرورة لقطع التجويف الأول ، وهكذا الى أن يصلوا الى مستوى الأرضية . ثم يبدأون فى تكرار العملية عند مستوى السقف متجهين الى أسفل فى الخندق (١) . وكانوا يقطعون الأحجار من سطح الجبل بنفس الطريقة تماما ، وهى أفضل كثيرا من قطع الأحجار داخل الخندق ، نظرا لأن مكان العمل ليس محدودا ويستطيع عدد كبير من العمال أن يعملوا فيه فى وقت واحد ، ولكن من ناحية أخرى فان أحسن أنواع الحجر الجيرى توجد فى طبقات عميقة تحت السطح، وقطع الخنادق هو الطريقة العملية الوحيدة لاستخراجها .

ولا تزال الطرق التى كانوا يستخدمونها فى عصر بناء الأهرام فى قطع الجرانيت والأحجار الأخرى الصلبة موضع خلاف فى الرأى ، فقد ذكر أحد الباحثين أن المصريين لم يبدأوا فى عمل محاجر للحصول على الأحجار الصلبة الا فى الدولة الوسطى ، ويصر على أنهم قبل ذلك كانوا يحصلون على الكمية المطلوبة ، من الصخور الكبيرة التى كانت فوق سطح الأرض (٢) . ولكن من الصعب الاعتقاد بأن الأشخاص الذين وصلوا الى درجة من المهارة مكنتهم من نحت وتشكيل الكتل الهائلة من الجرانيت المستخدمة فى مبنى الوادى الخاص بخفرع لم يكن فى مقدورهم استخراج كتل من هذا الحجر من المحاجر ، خصوصا وأن قطع الأحجار بطريقة قطع الخنادق لم تكن قد استعملت بعد . وعلاوة على ذلك فما زال واضحا على ظهر الكتل المكونة لسقف حجرة دفن منكاورع آثار وضع الأسافين فيها ، ولا يدل أثر الأسافين الا على أنها فصلت من صخور الحجر . ونحن نعرف أن هذه الطريقة كانت مستعملة بكل تأكيد فى العصور التالية ، ويثبت ذلك وجود ثقوب الأسافين التى لا يمكن حصرها وما زالت ظاهرة الى يومنا هذا فى محاجر أسوان (لوحة ١٤ ج) . ولا يوجد من الأدلة ما يجعلنا نعتقد أن رجال المحجر لم يوصلوا الكتل بنفس الطريقة فى عصر الدولة القديمة ، ويمكن عمل الثقوب اما بحك الحجر بمسحوق مفتت واما باستخدام آلة معدنية .

(١) وتقطع كثير من الأحجار اللينة فى المملكة المتحدة فى وقتنا هذا بنفس الطريقة ، مع قارق مهم هو أحلال الأدوات المصنوعة من الصلب محل الأدوات النحاسية والاكثار من استخدام المنشار . وربما عرف قدماء المصريين « أزمة » البناء المستخدمة الآن بدلا من الازمير ، ولكن لم يعثر حتى الآن على عينة منها .

A, Lucas- Ancient Egyptian Materials and Industries, (1934). (٢)
pp. 62-3.

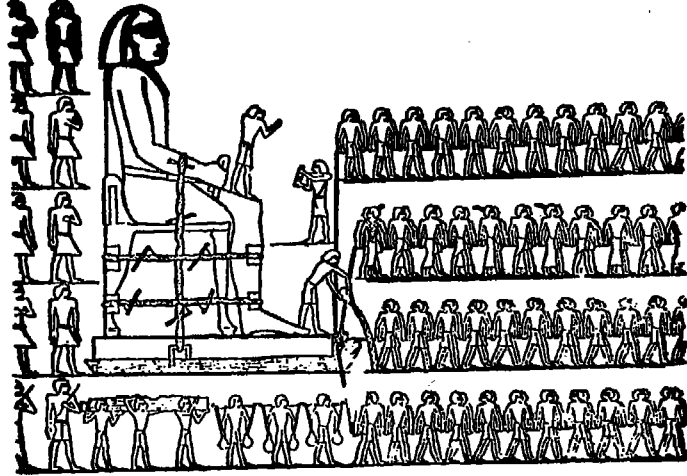
ولما كان النحاس هو المعدن الوحيد المعروف في مصر قبل الدولة الوسطى ، فإنه يظن أن المصريين عرفوا طريقة تعطى النحاس درجة عالية من الصلابة ، ولكننا لم نعثر حتى الآن على ما يؤيد هذا الظن . وهناك طريقة أخرى لقطع الجرانيت ولكنها أكثر مشقة ، وذلك بدق الصخر حول الكتلة المراد فصلها بكرات من حجر الدولوريت ، وهو حجر صلب يميل الى الخضرة ويوجد في أماكن كثيرة في الصحراء الشرقية بالقرب من البحر الأحمر . فالمسلة غير التامة التي يرجع تاريخها الى عصر الدولة الحديثة ، والتي لا تزال في مكانها في أسوان ، كان العمل يجرى فيها بهذه الطريقة دون شك ، وليس هناك ما يدل على أن عمال المحاجر في عصر بناء الأهرام لم يعرفوا هذه الطريقة .

وأيا كانت طريقة استخراج الجرانيت من الحجر فقد حصلوا على الكتل اللازمة منه . فقد كانت هناك طريقة واحدة للحصول على النوع المطلوب من الحجر ، اذا لم يحصلوا عليه من الطبقة العليا . لأن الجرانيت — مثل كثير من الأحجار الأخرى — اذا ما سخن الى درجة حرارة عالية ثم برد فجأة ، تحدث فيه شروخ ظاهرة ويتفتت سطحه عند أى احتكاك بسيط وتتساقط أجزاءه . وعلى هذا فقد كانوا يسخنون كتلة الجرانيت بالنار ، ثم يصبون عليها ماء بارداً فيتفتت سطحها فيزيلونه بمكشط صغير من الحجر ، ويكررون ذلك عدة مرات حتى يصلوا الى الحجر ذى الصلابة المطلوبة .

ولم يكن نقل الكتل الكبيرة من محاجرها أقل الأعمال شأناً في تشييد الهرم ، إذ ان بعض القطع الثقيلة من الحجر الجبرى المقطوعة محليا والمستخدمة في بناء معبد منكاورع الجنازى تبلغ نحو ٢٠٠ طن حسب تقدير ريزنر ، فاذا قارنا ذلك بكتل الكسوة في الهرم الأكبر التى يبلغ متوسط وزنها ٢٢ طن وبوزن الكتل الجرانيتية في سقف حجرة الملك ألباخ وزنها ٥٠ طناً ، لبدت هذه الأخيرة تافهة بالنسبة للأولى ، ثم ينبغى أن نتذكر أن الأخيرة كانت تتطلب نقلها بالسفن ، ثم انزالها منها ، ثم رفعها بعد ذلك في أغلب الأحيان الى علو شاهق فوق الأرض . ومن المحتمل أنهم كانوا ينقلون هذه الكتل الحجرية أثناء موسم الفيضان ، وربما كان ذلك هو أقل الأعمال الشاقفة في تلك العملية بالرغم من أن ضبط المراكب المحملة بالأحمال الثقيلة في نهر سريع الجريان كان دائماً عملية خطيرة تحتاج الى مهارة فائقة .

أما الطريقة المستعملة في نقلها فوق سطح الأرض فكانت واحدة ، سواء أكان وزن الكتلة المنقولة ٢٠٠ طن أو ٢٢ طن ، لأن عدد

الرجال كان يتوقف على مقدار الوزن . ولكن ما هي هذه الطريقة ؟
 فليس هناك أى احتمال لاستخدامهم عربات ذات عجلات ، لأنه
 بالرغم من وجود نوع من العجلات منذ الأسرة الخامسة على
 الأقل (١) ، فإن الرسوم التى فى قبور الأسرة الثامنة عشرة توضح لنا
 أنه بعد مرور ألف سنة بعد الدولة القديمة كانت التماثيل والكتل
 الثقيلة لا تنقل بواسطة العربات ذات العجلات ، بل استخدموا بدلا من
 ذلك زحافات . ولا يخامرنا شك فى أن بناء الأهرام قد استعملوا أيضا
 هذه الطريقة ، وأكبر الظن أن كل كتلة كانت توضع فوق الزحافة
 باستخدام رافعات من فوق الأرض مباشرة أو بعمل منحدر واطيء
 يبنى من الطوب اللبن أو الحجر . وبعد أن تربط الزحافة والكتلة معا
 بالحبال يمكن رفعها ثانية بالرافعات (العتل) ليضعوا تحتها أسطوانات
 خشبية (درافيل) ثم يجرون الزحافة المحملة فوق طريق عليه
 (براطيم) من الخشب ويشدها الرجال بحبال مثبتة فى الزحافة .
 وفى مقبرة جيحوتى حتب من الأسرة الثانية عشرة فى البرشا
 (شكل ٣٣) رسم يمثل الطريقة التى كانوا يتبعونها ، نرى فيه تماثلا
 كبيرا من المرمر لصاحب القبر يزن نحو ٦٠ طنا فوق زحافة يجرها



شكل ٣٣ - نقل تماثيل كبير

(١) رسم فى مقبرة ام حسنت من الأسرة الخامسة يبين سلم صعود فوق عجلات
 (انظر كتاب Somers Clarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry,
 fig 83.

١٧٢ رجلا (١) ، كما نراهم يصبون الماء أو أى سائل آخر على الأرض ليقلل الاحتكاك ويسهل الجر .

ولكن بعد اعداد الموقع ، وبعد تشوين المواد المطلوبة على مقربة منه ، يبقى أمام المشرف على بناء الهرم معضلتان ، اولاهما رفع الأحجار الى الارتفاع المطلوب ، والثانية وضع الأحجار فى أماكنها بحيث يكتسب البناء تماسكا داخليا والا تخرج هذه الأحجار عن التصميم الأصلي للشكل الخارجى . وقبل أن نحاول ايضاح الطريقة التى تغلبوا بها على هاتين المشكلتين يجدر بنا أن نتريث قليلا لنفكر فى المعالم الأناسية للمبنى المطلوب ، سواء الداخلية أو الخارجية منها دون أى تفكير فى الحجرات والممرات .

فعندما كنا نتحدث عن هرم ميدوم قلنا ان قلبه مكون من بضعة طبقات من البناء ، تقل فى الارتفاع من الوسط الى الخارج ، وترتكز على نواة فى الوسط تبلغ درجة ميلها ٧٥° (شكل ١٢) ، وقلنا ان كل طبقة كسيت من أعلى الى أسفل بأحجار طرة الجيرية ، ثم سوى سطحها الخارجى ، ثم حول الهرم المدرج الناتج بعد ذلك الى هرم حقيقى بهلى الدرجات بالأحجار ، وأضيفت اليه كسوة خارجية من أحجار طرة الجيرية الناعمة . وقد أوضح بورخارت أن نفس الطريقة ظل يتبعها بناء الأهرام فى الأسرة الخامسة (٢) مع فارق بسيط وهو ترك أوجه أحجار الكسوة الداخلية كما هى دون تسوية ، وربما استمرت هذه الطريقة نفسها متبعة حتى عصر أبعد من ذلك فى الدولة القديمة ، فمثلا كان يتكون هرم ساحورع فى أبو صير من طبقات ترتفع عاليا فى قلب البناء (شكل ٣٤ - ١) وكسوات داخلية من الحجر الجيرى (شكل ٣٤ - ٢) وكتل الخشو من الحجر (شكل ٣٤ - ٣) وأخيرا الكسوة الخارجية الناعمة من أحجار طرة الجيرية (شكل ٣٤ - ٤) .

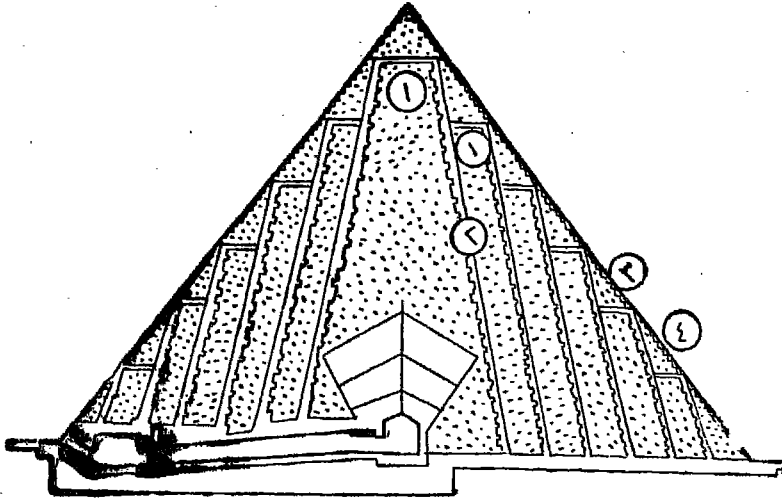
ولسنا نعرف اذا كانت أهرام الجيزة الثلاثة قد بنيت بهذه الطريقة، لأنه - ما لم تهدم أجزاء كبيرة من مبانيها العلوية - لا يمكن عمل أى فحص يودى الى نتائج نهائية . واستنتج بورخارت من وجود أحجار

(١) بوتيين النفوش التى عثر عليها فى قصر سنحاريب فى نينوى والموجودة الآن فى المتحف البريطانى أن الأشوريين فى القرن السابع قبل الميلاد كانوا ينقلون تماثيلهم بطريقة قريبة الشبه جدا من تلك الطريقة .

Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure, Vol. I, p. 29. (٢)

الربط في الممر الصاعد انهم اتبعوا في بناء الهرم الأكبر الطريقة نفسها ، لأن كل حجر من أحجار الرباط في رأيه جزء من الكسوة الداخلية (١) . ولكن اثنين ممن يعتقد برايههم - وهما سوهرز كلارك وزي أنجلباك - رفضا قبول آراء بورخارت (٢) . وحتى لو كانت أحجار الرباط ليست أحجار كسوة داخلية ، فان ذلك لا يثبت أن أحجار الكسوة لا توجد في مكان آخر من الهرم . وعلاوة على ذلك فمن الثابت أن كل الأهرام الاضافية الموجودة في الجيزة قد بنيت بكسوات داخلية ، ويصبح أمراً مستغرباً اذا كانت الأهرام الأصلية بنيت بطريقة مخالفة .

وتتشابه كل الأهرام التي بنيت بعد الهرم المنحني في دهشور في شكلها الخارجى ، ولا تختلف الا في الحجم وفي بعض التفاصيل الصغيرة ، كزاوية الميل ونوع الحجر المستعمل في المداميك السفلية من الكسوة الخارجية . وكانت زاوية الميل المعتادة نحو 52° ، وهي الزاوية التي نحصل عليها اذا كان الارتفاع مثل نصف قطر الدائرة التي يتساوى محيطها مع محيط الهرم عند مستوى الأرض (القاعدة) كما نرى في هرم ميدوم والهرم الأكبر ، أما هرم دهشور الشمالى المبنى من الحجر والذي تبلغ درجة الميل فيه 36° فهو الاستثناء الوحيد الذى شذ عن هذه القاعدة .



شكل ٣٤ - هرم سحاورع . قطاع فى اتجاه الناحية الشرقية

- (١) L. Borchardt, *Eimiges zur dritten Bauperiode der grossen Pyramide bei Gise (Cairo, 1932).*
 (٢) Somers Clarke and Engelbach, *Ancient Egyptian Masonry,*

ويقول هيرودوت ، الذى نقل الينا الراى الذى كان يتناقله الناس فى مصر فى أيامه عن بناء الهرم الأكبر : « بنى الهرم من طبقات سماها البعض شرفات وسماها البعض الآخر درجات . وعندما تم الهرم على هذا الشكل رفعوا الأحجار الباقية الى أماكنها بواسطة آلات صنعت من عروق قصيرة من الخشب ، فكانت الآلات الأولى ترفع الأحجار من الأرض الى أعلى الدرجة الأولى ، وعلى هذه الدرجة يضعون آلة أخرى تتلقى الحجر عند وصوله وتنقله الى الدرجة الثانية ، حيث تنقله آلة ثالثة الى أعلى . وأما أنه كان لديهم آلات كثيرة بعدد درجات الهرم ، وأما أنه كان لديهم آلة واحدة يسهل تحريكها ونقلها من طبقة الى طبقة كلما ارتفع الحجر . فقد قيل لى الرايان ، وأنى أذكرها هنا . وأنجزوا الجزء الأعلى من الهرم أولا ، ثم الجزء الأوسط ، وفى النهاية الجزء الأسفل القريب من سطح الأرض » (١) .

وبينما تميل الاكتشافات الأثرية الى تأييد الجملة الأخيرة ، إلا أنه لم يظهر فيها ما يؤيد ما قاله هيرودوت فى جملته . وعلى ذلك فلا بد أن نعترف بأن بناء الهرم موضوع ما زال ينتظر الحل .

ولعدم وجود البكرة — وهو اختراع لم يعرف فى مصر قبل عصر الرومان — لم يكن أمام قدماء المصريين الا طريقة واحدة لرفع الأوزان الثقيلة ، وذلك ببناء منزلقات من الطوب اللبن والطين ترتفع الى أعلى من مستوى الأرض ، الى أى ارتفاع يريدونه . فإذا أرادوا مثلا بناء حائط قصير ، فإن أحجار كل مدمك بعد المدمك الأسفل كانت ترفع الى المنسوب المطلوب على منزلق يبنى ملاصقا للجدار وبطوله كله ، ويبرز الى الخارج بزاوية قائمة على خط الجدار . وعند اضافة مدمك تال الى البناء ، يلزم أن يرتفع المنزلق ويمتد أيضا لكى يبقى الانحدار دون تغيير . وفى النهاية عندما يبلغ بناء الجدار أقصى ارتفاعه ، يزال المنزلق وتسوى السطوح الخارجية للأحجار التى لم تصقل سطوحها من قبل ، يصقلونها طبقة بعد طبقة متجهين الى أسفل فى الوقت الذى يظلون فيه من ارتفاع المنزلق . ويمكننا أن نرى مثلا لهذا المنزلق ملاصقا للصرح الأول الذى لم يكمل بناؤه فى معبد الكرنك (٢) ، ولئن كان هذا المثال من العصور المتأخرة فإن مما يثبت أن هذه الطريقة نفسها كانت متبعة قبل ذلك فى العصور القديمة ما عثر عليه من بقايا المنزلقات عند هرم أمنحات الأول فى اللشت وعند هرم ميدوم ، كما تبدو فى الصور المأخوذة من الجو بقايا واضحة من

Herodotus, II, 125 (Rawlinson's translation).

(١)

Somers Clarke and R. Engelbach, op. cit., Fig. 87,

(٢)

المنزلاقات ما زالت تحت رمال دهشور ، ولكن يجب أن ننتظر الدليل العملي عند القيام بحفائر هناك .

فاذا سلمنا — بناء على ما لدينا من أدلة — بأن بناء الأهرام قد استعملوا المنزلاقات ، فكيف كانوا يرتبون هذه المنزلاقات ؟ وخير الاجابات أن منزلقا واحداً كان يبني بطول جانب واحد من الهرم لاستخدامه في نقل ما يلزم ، وكلما ارتفع الهرم ازداد المنزلق في الارتفاع والطول ، كما يضيق عرض سطحه الأعلى تدريجاً نظراً للتناقص المستمر في عرض واجهة الهرم . فاذا كانت زاوية ميل الهرم 52° فلا بد أن تنحدر واجهتا المنزلق الجانبيتان بزواوية قدرها 52° ، وبهذا يتفادون أى انهيار جانبي . أما جوانب الهرم الثلاثة التي لم تغط بمنزلق التموين ، فقد كانت أمامها جسور ذات عرض كاف في أعلاها يسمح بمرور الرجال ومواد البناء . ولكن نظراً لأنها كانت لا تستخدم لرفع الأحجار من الأرض ، فان درجة ميلها على السطح الخارجي يمكن أن تكون منحدره بقدر ما تسمح به المتانة اللازمة . وكانوا يضعون أيضاً براطيم من الخشب ، وقد عثر على بعضها فعلاً في مكانها في اللشيت أثناء الحفائر فوق أعلى سطحى منزلق التموين وجسور المشي لتكون طريقاً متيناً لمرور الزحافات وهي محملة بكتل الأحجار .

ولتوضيح الطريقة التي ذكرناها ، لتتصور أن هرما من الأهرام قد بنى الى نصف ارتفاعه النهائى (1) ففى هذه الحالة لا يمكن أن يظهر شئ من مباني الحجر السابق وضعها لآى شخص واقف على الأرض ، لأن ثلاثة من الأوجه الخارجية ستكون مغطاة كلها بجسور لمشي العمال ، وسيحجب منزلق التموين الوجه الرابع . أما السطح العلوى من الهرم فسيكون أشبه برصيف مربع معد لوضع المدماك التالى فوقه ، وأول ما يسحب من احجار الى هذا الرصيف هى الكتل الداخلية المجلوبة من المحاجر المحلية ، تترك جوانبها وسطوحها العلوية خشنة ولكن تسوى سطوحها السفلى . وتتؤخذ هذه الأحجار الى وسط الرصيف وتوضع الى جوار بعضها البعض ، وتترك غالباً الفراغات الناتجة من عدم انتظام جوانبها دون ملء .

وكانوا يعنون بأن يمتد المدماك الجديد في كل الاتجاهات الأربعة بحيث يبقى دائماً في شكل مربع تقريبا . وعلى مسافات منتظمة يجعلون

(1) فى الوصف الآتى ، كما فى المواضع الأخرى من هذا الفصل ، أخذنا الكثير مما ورد فى كتاب (Ancient Egyptian Masonry) Clarke and Engelbach (Oxford, 1930)

جوانبه متساوية تماما في الطول ، باضافة كسوة داخلية من احجار طرة الجيرية توضع مباشرة فوق نظيرتها من الكسوة في ارضية الرصيف . أما الناحية الخارجية من الكسوة فتقطع بميل الى الداخل بزاوية مقدارها حوالي 75° ، ولكنها تترك دون صقل . وأخيرا تزداد مساحة المدمك الموضوع ، حتى لا يبقى من الرصيف الاصلى سوى شريط ضيق على حوافه الخارجية دون تغطية . وعندما نصل الى تلك الدرجة تضاف كتل الحشو من الأحجار الجيرية المحلية ، مع العناية الفائقة باللحامات بين الأحجار . وتراهم في الهرم الاكبر وضعوا كتل الحشو بطريقة تجعلها تميل ميلا خفيفا الى الداخل نحو وسط كل مدمك ، فنتج من ذلك انخفاض يمكن ملاحظته متجها من اعلى الى اسفل في وسط كل وجه من أوجه الهرم ، ولا توجد هذه الظاهرة في أى هرم آخر .

وعندما يتم بناء قلب الهرم لا يبقى الا أن تضاف له كسوة خارجية من احجار طره الجيرية ، ويستلزم هذا العمل الدقة التامة ، لأن أى عيب في وضع الأحجار لا يشوه المظهر الخارجى للأثر فحسب ، بل يؤدي حتما الى عدم انتظام الشكل الهرمى . وعلاوة على ذلك يجب أن تكون زوايا اللحامات مضبوطة وملتصقة جدا ما امكن ، ولكى يقتصدوا في الوقت ويحصلوا على أعلى ما يمكن من الدقة كانوا يتركون زاوية اللحامات الصاعدة — أى تلك التى بين الكتل المتجاورة في نفس المدمك — ليقوم بها بناؤون على أكبر جانب من المهارة ، يعملون ذلك وهى على الأرض . وبهذه الطريقة يحصلون على نتائج باهرة فيما يسمى اللحامات الصاعدة المائلة ، تلك التى تقطع لا بزاوية قائمة في اللحام السفلى ولا موازية مع محور الهرم المركزى . وربما يتم على الأرض أيضاً اعداد زوايا اللحامات بين الأوجه الخلفية لأحجار الكسوة وبين الأوجه الأمامية لكتل الحشو ، حتى اذا ما وصلت كل كتلة في النهاية الى الرجال المنوط بهم وضعها في مكانها ، احتاج فقط سطحها العلوى والأمامى — المنحوت طبقا لزاوية الهرم ولم يصقل بعد — الى عناية أكثر من البنائين .

وحتى بعد عمل مثل هذه الاستعدادات الدقيقة يظل وضع كتل الكسوة عملا صعبا ، خصوصا اذا كانت كتلا كبيرة تزن الواحدة منها أكثر من عشرة أطنان . ولا شك أنهم كانوا يحملونها مع زحافتها الى أقصى نقطة ممكنة فوق الجسر ، في مكان يواجه مباشرة المكان المقرر وضعها فيه في البناء ثم تنزل الكتلة على جانبها من الزحافة لتستقر على عوارض خشبية أعدت لتلقاها فوق حجر الكسوة في المدمك الذى

تحتة . ولكى يحكم استعمال العتلات يترك الحجارون نقرا في الوجه الخارجى لكل كتلة من الكسوة ، وبينما تكون الكتلة في ذلك المكان تبسط طبقة رقيقة من المونة على كل من وجهها الأسفل والوجه المجاور للكتلة الأخرى . وكان الغرض الأساسى من المونة هو ايجاد نوع من مادة لينة تجعل الكتلة بعد وضعها في مكانها ، تنزلق وتلتحم مع كتلة الكسوة السابق وضعها ومع كتل الحشو الموجودة خلفها .

ولسنا نعرف تماما كيف كانوا يقومون بذلك العمل ، ولكن من المحتمل أنه كان يتم بشد حبال مربوطة الى براطيم من الخشب موضوعة عبر الركن الخارجى الخالى من كتلة الكسوة ، ثم يحركونها الى الوراء بواسطة عتلات من الأمام حتى تصبح على حذاء الخط . ونرى كتل الكسوة القليلة الباقية عند أسفل الهرم الأكبر أحسن الأمثلة للحامات المكتشفة حتى الآن ، والى بترى يرجع الفضل في جذب انظار العالم الحديث الى دقتها ، فهو الذى كتب عنها : « أخذت بعض مقاسات لسلك اللحامات في أحجار الكسوة ، فبلغ متوسط السمك في لحامات الجهة الشمالية الشرقية في أحجار الكسوة ٠.٢ ر من البوصة ، وعلى ذلك يكون متوسط الفرق في نحت الحجر عن الخط المستقيم وعن المربع الحقيقى ٠.١ ، وفي طول يبلغ ٧٥ بوصة على السطح . وهى درجة من الدقة تساوى ما تقوم به أحدث الأجهزة لضبط الحواف المستقيمة ، ورغمما من أنهم كانوا يقربون الكتل من بعضها الى مسافة ^١من البوصة فالواقع أن متوسط الفتحة في اللحام ^١ من البوصة » .

وعندما يتم وضع أحجار الكسوة في أماكنها على الأوجه الأربعة للمدمك ، فمن الضرورى القيام بعمل مراجعة كاملة لهذا الجزء للتأكد من أنه لم يخرج عن الوضع الصحيح . ولم تكن هناك مندوحة من حدوث انحرافات صغيرة ، فاذا اكتشفت في وقتها أمكن تداركها عند وضع المدمك التالى . وكلما تقدم العمل يزيدون في ارتفاع منزلق التموين الرئيسى وجسور مشى العمال الى المستوى الجديد في الهرم ، ويعمل البنائون في تنعيم أعالي الأحجار التى أتموا وضعها وهى التى ستصبح للحامات السفلية للمدمك القادم . وهكذا يستمر البناء في النمو مديا كما بعد مدمك ، حتى يصل في النهاية الى حجر القمة ، الذى كان يصنع عادة من الجرانيت ، فيوضع في أعلاه . ولضمان تثبيت هذا الحجر في مكانه نحتوا في وسط قاعدته بروزا أشبه بالقرص يركب مثل اللسان في نقر أعد له في وسط المدمك العلوى من البناء .

ويمكننا أن نفترض أن حجر القمة الذى يكون تشكيله قد تم ولكنه لا يزال خشن الجوانب ، كان يؤخذ الى اعلى الهرم على زحافة ثم يحمل على عتلات حين ترفع من تحته الزحافة . ويمكن ادخال عوارض تحته ثم تبسط طبقة رقيقة من المونة فى المكان المعد له ، وأخيراً بعد سحب العوارض يهبط تدريجاً بواسطة العتلات الموضوعة تحته فى الحافة الصغيرة التى فى الجوانب . وعثر جيكييه على نص فى هرم الملكة أوجبتن يتحدث عن حجر قمة هرمها المذهب ويوحى بأن هذه الأحجار كانت على الأقل فى بعض الأحيان تغطى بصفائح من الذهب . ولم يصل الينا مثال قديم من ذلك ، ولكن يوجد فى المتحف المصرى مثل جيد من هرم أمنمحات الثالث فى دهشور ، وهو مصنوع من الجرانيت الأشهب ونقشت على أوجهه الأربعة كتابات تحوى إبتهالات الى اله الشمس وثلاثة آلهة أخرى .

وبذلك تكون عملية تشييد الهرم الشاقة قد انتهت ، ويمكن أن يبدأ العمل فى صقل الجوانب الأربعة الخارجية بادئين بحجر القمة ، وكلما تقدم العمل ينخفض منزلق التموين وجسر المشى وتظهر بذلك طبقة جديدة من أحجار الكسوة يبدأون فى صقلها هى الأخرى . ولكى ينجز العمل بسرعة أكبر فمن المحتمل الا تجرى عملية تخفيض المنزلق والجسر تدريجاً ، بل فى طبقات يبلغ ارتفاع كل منها بضعة أقدام ، حتى يمكن إقامة سقالات من الخشب بدلا منها ، وبهذا يستطيع استخدام عدد كبير من العمال يعملون على مناسب مختلفة فى وقت واحد . ومن المؤكد أن السقالات كانت معروفة لقدماء المصريين ، وقد اقتصدوا وقتاً طويلاً باستعمالها عندما صقلوا ما تبلغ مساحته خمسة أفدنة من أحجار الكسوة على كل وجه من أوجه الهرم الأكبر . وعندما تتم كل هذه العملية يطلق سراح عمال البناء ، وتصبح الأرض مهيأة لإقامة المعبد الجنازى ومبنى الوادى ، وما من شك فى أنهم كانوا قد وضعوا أساسات بعضها قبل أن يبدأوا فى تشييد الهرم نفسه .

ولم يأت بعد ذكر الطريقة التى استخدموها فى بناء الممرات والحجرات بالهرم ، فمن جهة يتشابه العمل مع بناء الكسوات الداخلية لأن كلتا العمليتين تستلزم تركيب الأحجار بدقة فى وسط بناء من أحجار خشنة ، الا أنه لما كانت الممرات والحجرات لا تشغل الا جزءاً صغيراً من الهرم كله فربما بنيت فى الغالب دون ارتباط بباقى العمل ، فتقام منزقات إضافية يمكن فكها فى ساعات قليلة فى أية مرحلة مناسبة حتى يمكن رفع الكتل الى منسوب أعلى بكثير من منسوب المدماك الجارى تركيبه . وبهذه الطريقة يصبح لدى العمال متسع من الوقت

يستطيعون فيه تكملة عملهم فى الأجزاء الداخلية للهرم قبل أن ترفع المداميك المحيطة بقلب البناء الى علو يتحتم فيه تسقيف المر والحجرات، وبعد ذلك لا يكون الوصول الى الأجزاء الداخلية مستطاعا الا عندما يزال جسر المشى أو منزلق التهوين الذى يغطى الواجهة الشمالية للهرم الى منسوب المدخل .

وكان من الممكن تسهيل العمل باعداد الأحجار قبل أن يطلبها البناء ، ونحن نعرف مثلا أنهم أعدوا كتل السقف بحجرة الملك فى الهرم الأكبر ووضعوها الى جانب بعضها على الأرض ورقمت لى يستطيعوا تركيبها ثانية دون تأخير عندما تؤخذ الى مكانها النهائى ، وأدخل الثابوت والسقطات وكتل السدادات فى الهرم الأكبر فقط قبل أن تبنى جدران حجرة الدفن ، كما تموا أيضا قبل ذلك الشقوق والدھليز التى كانت مهياة لوضعها فيها .

وأرى أنه من الضرورى أن أذكر أن ما ذكرته فى هذا الكتاب خاصا بالطريقة التى أعتقد أن قدماء المصريين اتبعوها فى بناء الأهرام تختلف فى كثير من النقط الهامة مع وجهات النظر التى أعرب عنها بعض الاختصاصيين الذين يعتقد برأيهم (١) . والاختلاف الرئيسى هو فيما يختص بعدد وترتيب المنزلاقات ، وهى مشكلة لم يكشف حتى الآن عن الأدلة الكافية لاعطاء رأى نهائى فيها . وقد قرر بترى فى أحد أبحاثه عن هذا الموضوع اعتقاده بأن أحجار الكسوة فى الهرم الأكبر كانت تؤخذ الى مداميكها الخاصة بها وأوجهها الخارجية مصقولة من قبل ، وكانت توضع فى مكانها بتحريكها من الداخل ، أى أن الكسوة توضع أولا فى كل مدمك ثم يملأ وسط الهرم بعد ذلك . وبهذه الطريقة — كما يقول بترى — يلزم اقامة منزلق واحد فقط ، ويتم انجاز أوجه الهرم الثلاثة حال وضع أحجار كسوتها . وقد كتب بترى مدعما وجهة نظره : « هناك فرق بسيط فى الزاوية بين كتل الكسوة عند تلاحمها ، مما يثبت أن الأوجه لم تصقل منذ أن بنيت معا » (٢) .

وفى الحقيقة ليس هناك مبرر معقول للشك فى دقة ملاحظاته بترى أو مطابقة استنتاجاته للطريقة التى اتبعوها لوضع الأحجار القلائل الباقية من الكسوة فى الهرم الأكبر ، ولكن استنتاجه العام بأن نفس الطريقة قد اتبعت عند وضع كل أحجار كسوة البناء ، محل اعتراض قوى . فجميع الأحجار التى يتحدث عنها موجودة فى المدمك

pl. II, pp. 33-39 (N. F. Wheeler, Pyramids and their Purpose in Antiquity, Vol. IX (1935), p. 172-4.

السفلى وتحته أرضية ناعمة من أحجار طرة الجيرية تبرز الى خارج خط الهرم نحو قدمين ، وكان من المستحيل وضع هذه الأحجار من الجهة الخارجية دون ائتلاف حافة الرصيف الذى كان المفروض أن يبقى ظاهرا ، وبالمثل كان من الأمور غير المرغوب فيها تسوية الحافة السفلية للأحجار بعد وضعها في مكانها ، لأن سطح الرصيف في مثل هذه الحالة يتشقق ويخدش .

وعلاوة على ذلك فإن هذه الأحجار بالذات - أى المدمك الأسفل من الكسوة - ربما وضعت قبل غيرها من أحجار قلب الهرم لكي تحدد حجم واتجاهات قاعدة الهرم ، وذلك لأنه يمكن عمل التعديلات البسيطة في وضع الأحجار إذا ما كانت طليقة من الخلف والأمام ، وان أى خطأ عند بناء القاعدة يسبب الخطأ في الأثر كله وربما أخل بنظام شكله .

ولو أن بتري أوضح أن كتل الكسوة - في أى منسوب مرتفع غير المدمك السفلى في أى هرم - كانت توضع بزاوية بالنسبة لبعضها البعض لأصبحت حجته أقوى ، زد على ذلك أن الدليل على استعمال طريقة وضع أحجار الكسوة من الأمام راجح الكفة . ولو درسنا بعض المباني التى يتم العمل فيها لرأينا أن تلك الطريقة هى التى اتبعتها البناؤون المصريون منذ بدء استعمال الأحجار الكبيرة في البناء الى آخر أيامهم ، ولدينا مثل في أحد الأهرام وهو هرم منكورع ، حيث نجد أن الحجر الجيري الذى استعمل لكساء الجزء الأعلى كان تام الصقل ، ولكن أحجار الجرانيت التى تكسو الأجزاء السفلى ترك جزء منها خشنا ، وبذا تحددت النقطة التى وقف عندها العمل قبل أوانه . وان وضع الأحجار من الأمام يستلزم ترك الأوجه الخارجية للأحجار في حالة خشنة حتى توضع في مكانها ، واقامة الجسور أمام الوجه الخارجى من المدمك السابق وضعه والذى أصبح داخلا في بناء الهرم ، وكذلك اقامة الجسور أمام الوجوه الأربعة للهرم .

وهناك رأى آخر عن بناء الأهرام قاله ريتشارد ليسوس ، وذلك أن حجتها كان يتوقف على طول حكم صاحبها ، وتلك هى النظرية المعروفة باسم « نظرية التزايد » . ولا شك أن بعض الأهرام - وخاصة هرم زوسر المدرج وهرم ميدوم - حدثت فيها زيادات متتالية ، ونعرف كذلك أن كلا من الهرم الأكبر وهرم منكورع حدثت في مبانيه الداخلية تغييرات أثناء العمل في التشييد ، ولكن التغييرات في التصميم الأسمى كانت على أى حال نادرة الحدوث . ولو كان لطول

الحكم علاقة مباشرة بحجم الهرم لتوقعنا من بيبي الثانى — الذى اعتلى العرش حوالى أربع وتسعين سنة — أن يبنى هرما يبلغ حجمه أضعاف هرم منكاورع الذى حكم مدة ثمانية عشر عاما فقط ، أو لفشل خوفو — الذى حكم نحو ثلاثة وعشرين عاما — فى بناء هرم مساو لهرم أوناس الذى يعتقد أنه حكم مدة ثلاثين عاما . فواضح إذن أن طول حكم الملك لا يمكن أن يؤثر على حجم الهرم ، أما الاعتبارات الفعالة فهى رغبة الملك الشخصية وسطوته والاعتقادات الدينية السائدة فى عصره .

وإزاء كل هذه العوامل المجهولة وغير الثابتة ، فمن العبث التخمين فيما يتعلق بعدد العمال اللازمين لبناء هرم من الأهرام الضخمة أو المدة التى يستغرقها العمل . وأى تقدير يبنى على الحقائق الميسورة لنا حتى الآن لا يمكن أن يكون دقيقا ، بل لا يمكن إلا أن يكون تقريبا . ويقول هيرودوت أنه قد أخبر أن بناء الهرم الأكبر قد استغرق عشرين عاما ، وأن عمالا يبلغ عددهم مائة ألف رجل كانوا يشتغلون « لمدة ثلاثة أشهر » فى نقل الأحجار من المحاجر الى الهرم (١) . ويبدو أن هيرودوت أراد أن يفهم قراءه أن العدد الكلى للعمال كان ٤٠٠٠٠٠ رجل سنويا ، أى أربع مجموعات منفصلة كل منها ١٠٠٠٠٠ رجل ، وكل مجموعة تعمل لمدة ثلاثة أشهر فى السنة . إلا أن مثل هذا العدد كان أكثر من اللازم ، ويمكننا التأكد من ذلك بعملية حسابية بسيطة ، فإذا كان المجموع المقدر لعدد الكتل فى الهرم وهو ٢٣٠٠٠٠ كتلة صحيحا الى حد ما ، فإن متوسط عدد الكتل اللازم نقلها فى كل سنة من العشرين سنة يكون ١١٥٠٠٠ كتلة . وكان متوسط وزن كل كتلة يبلغ نحو ٢ طن ، وهو وزن يعتقد بترى أنه كان فى استطاعة جماعة مكونة من ثمانية رجال أن تنقله (٢) . ولنفرض أن بترى كان على حق ، وأن مائة ألف رجل فقط كانوا يشتغلون فى كل سنة ، فإذن كان يطلب من كل جماعة نقل عشر كتل فى اثنى عشر أسبوعا . . ومثل هذا العمل كان بكل تأكيد فى مقدور مثل هذه الجماعة لو أن المسافة المراد قطعها لم تكن طويلة جدا ، حتى فى حالة كتل قلب البناء . وعلاوة على ذلك — كما قال بترى — كان العمل يجرى أثناء موسم الفيضان ، أى بين آخر يوليه وآخر أكتوبر ، وهو الوقت الذى تزرع الأرض فيه ويكون معظم الأهالى بلا عمل .

Herodotus, II, 124.

(١)

Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, p. 210.

(٢)

ولا يخامرنا الشك في أن عمالا آخرين كانوا يشتغلون في بناء الهرم، علاوة على المائة ألف رجل الذين كان يؤتى بهم سنويا لنقل الكتل الى الهرم الأكبر ، وهؤلاء الرجال هم البناؤون المهرة ومن معهم من العمال الذين كانوا يعملون بصفة مستمرة طوال السنة لتجهيز ووضع الكتل واقامة أو هدم المنزقات وجسور المشى ، وكانوا يسكنون في مبان وجدها بترى غرب هرم خفرع . وبناء على تقدير بترى كان حوالى ٤٠٠٠ رجل يقطنون في هذه الثكنات ، أى أن هذا العدد يمثل المجموع الكلى للعمال الدائمين ، وكانت شظايا الأحجار التى يطرحها الحجارون تلقى على جوانب سفوح التلال شمال الهرم وجنوبه . وكتب بترى عن كمية الرديم فقال أن حجسها ربما ساوى أكثر من نصف حجم الهرم (١) .

وعثر في هرم ميدوم على بعض أحجار عليها تواريخ ملكية كان اعلاها « سنة ١٧ » ، وهى تشير الى حكم سنفرى كما هو المفروض . الا أنه في أثناء حكم ذلك الملك تغيرت كيفية حساب سنى الحكم من الطريقة القديمة التى كان الملوك بمقتضاها يحسبون حكمهم على أساس التعداد الذى كان يعمل كل سنتين لحصر ممتلكاتهم . الى احصاء يعمل كل سنة ، وعلى هذا ربما كانت « سنة ١٧ » تحتوى على عدد من سنى الاحصاء (كل منها مكون من سنتين تقويميتين) وبعض سنتين فردية ، اذ اننا لا نعرف عدد كل نوع منها على حدة . وحتى لو أمكن معرفة التركيب المضبوط للتاريخ على وجه التحديد ، فلا بد من معرفتنا في أية سنة من حكم الملك بدأ العمل في الهرم ليتمكن حساب المدة التى استغرقها بناؤه .

ولا شك أن حصولنا على المعلومات الخاصة بهذه المسائل — أى الطرق التى استخدمها بناء الأهرام ، وعدد العمال الذين استخدموهم ، والوقت الذى استغرقه العمل — يلقى ضوءاً على التقدم الصناعى فى العصور القديمة ، ولكن ذلك لا يعطينا الجواب عن سؤال أهم ، وهو : لماذا اختار قدماء المصريين بناء مقابرهم على هيئة الهرم ؟ على أنه — قبل محاولة الاجابة على هذا السؤال — يحسن أن نناقش أصل كلمة « الهرم Pyramid » . ففى اللغة المصرية القديمة كانت تطلق كلمة « m(e)r » على هذا النوع من المقابر ، ولكن هذا الاسم لا ينطوى مطلقاً على أى معنى وصفى . وترجع كلمة Pyramid فى أصلها الى الكلمة اليونانية « Pyramis » وجمعها « Pyramides » التى كثيراً

ما حاول الباحثون معرفة الأصل المصرى التى اشتقت منه ، ولكن دون جدوى .

وهناك تعبير هندسى ينطق : بر. ام. أس Per-em-us (أى الذى يخرج رأساً من ال أس Us ، وهى كلمة ليس لها معنى محدد) . وتكتب هذه الكلمة فى الهيروغليفية بحروف ساكنة ويقصد منها الارتفاع الرأسى للهرم فى أحد الأبحاث الرياضية (١) . ولكى نقول أن « Pyramis » مشتقة من Per-em-us يجب أن نفرض أن الاغريق إما أنهم أخطأوا فى فهم التعبير المصرى ، أو أنهم — لأسباب غير معروفة — أسموا الكل باسم الجزء على سبيل المجاز . ونظراً لعدم وجود أى تفسير مقنع ، يبدو من الأفضل أن تعتبر Pyramis كلمة اغريقية أصيلة غير مشتقة من لفظ مصرى .

وتوجد كلمة مشابهة تماماً معناها « كعكة من القمح » ، وقد قال البعض بأن الاغريق استعملوا هذه الكلمة على سبيل الفكاهة للتعبير عن تلك الآثار المصرية (٢) ، لأنها عندما ترى من بعيد تشبه الكعك الكبير . ومن هذا القبيل كلمة obeliskos ، فهى — علاوة على أن معناها مسلة — لها معنى آخر وهو « بصقة بسيطة » أو « سيخ » ، وهذا مثل آخر للطريقة التى طبقها الاغريق فى تسمية الأشياء التى لا يوجد لها شبيهه فى بلادهم ، فبدلاً من أن يستعبروا لها كلمة أجنبية يجتهدون فى أن يطلقوا عليها وصفا فكاهيا بلغتهم .

ويعتقد بورخارت أن الهرم الكامل تطور من الهرم المدرج بنفس الطريقة التى تطور بها الهرم المدرج بدوره من المصطبة (٣) ، والدليل الواضح على هذا التطور فى الحالة الثانية هرم زوسر المدرج ، حيث يمكن رؤية طرف المصطبة الاصلية فى الواجهة الجنوبية ، وفى الحالة الأولى هرم ميدوم ، حيث تحول من بناء مدرج الى هرم كامل ، يملء الدرجات بالبناء لى تصبح الجوانب مائلة بزاوية واحدة مستمرة من القمة الى القاعدة . وما من شك فى أن الأثرين المذكورين قد حدثت فيهما التحول المنسوب اليهما ، ولكن قبل أن نستطيع الادعاء بأن الشكل الأخير كان مجرد تطور أملتته الدوافع الفنية يجب أن نبين

The Rhind Mathematic Papyrus in the British Museum (١)

بردية ريند فى المتحف البريطانى .

W. G. Waddell, Herodotus, II, p. 139. (٢)

E. Borchardt, Die Entelenbung der Pyramiden (Berlin) 1928). (٣)

إن الأثر في هيئته النهائية كان أول مثل معروف من نوعه . ولكن مثل هذا القول لا يمكن التقدم به الآن عن الهرم المدرج ، لأن و . ب امرى (W. B. Emery) قد عثر حديثا في سقارة على مقبرة من الطوب اللبن من نوع متدرج يرجع تاريخها الى الأسرة الاولى (١) .

كما أن ما قيل بشأن هرم ميدوم لا يمكن أن يكون قائما على أساس متين . ومع أن الهرم المنحني أصبح منبعج الشكل في النهاية ، إلا أنه كان قد صمم على أنه هرم كامل . ولكن التغيير حدث عندما وصلوا الى منتصف بنائه ، وذلك إما ليسرعوا في اتمامه أو لأن بنائيه غير المدربين خافوا من أن ميله الشديد الانحدار قد يودى بالبناء كله (٢) . ولا يعلم من هو صاحبه على وجه التحقيق ، ولكن هناك أسبابا قوية تدفعنا للاعتقاد بأن هذا الهرم قد بنى قبل هرم ميدوم ، أو على الأقل قبل أن يتخذ شكله النهائي . فمثلا نجد أن ميل أحجار كسوته الى الداخل مطابق لميل أحجار كسوة الهرم المدرج ، ومن جهة أخرى نجد أن أحجار كسوة هرم ميدوم الخارجية وضعت مسطحة وتتفق في هذه الناحية مع الأهرام التي تلت هرم دهشور .

وأغلب الظن أن هرم ميدوم هو نقطة الانتقال من طريقة البناء القديمة الى طريقة البناء الحديثة ، لأن الطبقات الداخلية من أحجار الكسوة وضعت في مدايمك مائلة .

فإذا سلمنا بأن الهرم المنحني كان قد صمم في الأصل كهرم كامل ، وأنه بنى قبل هرم ميدوم ، فإن تفسير الشكل الهرمي يجب أن نبحث عنه في مكان آخر بعيدا عن محيط التطور المعماري . ولكن تنشأ أملنا مشكلة أخرى ، لأننا في جاحة لمعرفة سبب الرجوع الى طراز الهرم المدرج في ميدوم (كما وضعوا تصميمه الأول) بعد أن أدخل بناؤو الهرم المنحني شكل الهرم الكامل ، وسنقدم فرضا محتملا لهذه المشكلة الثانية في مكان آخر من هذا الفصل .

(١) W. B. Emery, «A Preliminary Report on Architecture of the Tomb of Nebetka» in Annales du Service des Antiquités, VII, XXXVIII (1938), pp. 455-9.

وذكر ريزنر في كتابه (Tomb Development, p. 112) أن الهرم في زاوية العريان بنى في الأسرة الثانية ، ولكن ما قدمه من أدلة ليس مقنعا .

(٢) ربما لم يكن من الأمور العارضة أثر رقيقه في دهشور - وهو ثاني هرم كامل - قد بنى بنفس الزاوية التي بنى بها الجزء الأعلى من الهرم المقبي .

وقد جاء في كتابات ج. هـ. برستد عن أهمية الهرم أن « الشكل الهرمى لمقبرة الملك كان له أعظم معنى مقدس ، فكان الملك يدفن تحت رمز اله الشمس الذي كان في قدس الأقداس في معبد الشمس في هليوبوليس ، وهو الرمز الذي اعتاد منذ اليوم الذي خلق فيه الآلهة أن يظهر نفسه على هيئة طائر الفونكس (العنقاء) . وعندما كان الهرم يرتفع كالجبل فوق ضريح الملك مشرفاً على المدينة الملكية التي كانت تحته ، وعلى الوادى ، وكان الناس يرونه من مسافة أميال عديدة ، كان هو أعلى المباني التي تحيي اله الشمس في جميع أنحاء البلاد ، وكانت أشعة الشمس في الصباح تتلألأ على قمته قبل أن تنتشر في الوادى الذي تحته وفي مساكن الأشخاص الذين هم دونه في الجاه والذين لم يكتب لهم الخلود » (١) .

فإذا كان الهرم — كما اعتقد برستد — صورة مكبرة لرمز الشمس المحفوظ في معبد هليوبولس ، ترتب على ذلك أن هذا الرمز ربما كان حجراً على شكل هرمى . ولكن ما الذى كان يمثله هذا الحجر ؟ ليس أمامنا إلا جواب واحد ، وهو أنه يمثل أشعة الشمس وهى تنزل على الأرض . فكثيراً ما نرى منظرًا تنتشر له النفس بعد ظهر يوم كثير السحاب من أيام الشتاء في منطقة الجيزة ، عندما نقف في الطريق الموصل الى سقارة وننظر جهة الغرب نحو الهضبة التي تقوم فوقها الأهرام ، اذ تنفذ أشعة الشمس الى أسفل من خلال فرجة بين السحب في زاوية تقارب الزاوية التي تميل بها أضلاع الهرم الأكبر . وإن الأثر الذى يتركه مثل هذا المنظر في النفس هو أن كلا من الأصل غير العادى والصورة المادية يقومان في هذا المكان جنباً الى جنب (٢) .

ولكن هل من الضرورى أن نظن — كما ظن برستد — أن الهرم كان يقصد به مجرد صورة من الرمز الشمسى في معبد هليوبوليس ؟ ليس من الممكن أيضاً أن يكون له معنى آخر ؟ فكثيراً ما نقرأ في متون الأهرام وصفاً للملك وهو يصعد الى السماء على أشعة الشمس ،

(١) H. Breasted, The Development of Religion and Thoughts in Egypt.

(٢) ولاحظ ألكسندر موريه (Alexandre Moret) فى كتابه (Le Nil) ص ٢٠٢ الملاحظة الاثنية : « ان هذه المثلثات العظيمة المكونة لجوانب الهرم تبدو مثل أشعة الشمس اذ تسقط من السماء عندما تحجب العاصفة قرصها فتنفذ من خلال السحب . كأنما تنزل سلماً من الأشعة نحو الأرض » .

مهبثا نقرأ في المتن رقم ٥٠٨ : « لقد وطئت أشعتك هذه كأنها منزلق
تحت أقدامى عندما صعدت الى أمى ، الصل الحى على جبين رع » ،
ونقرأ ثانيا في المتن رقم ٥٢٣ : « لقد قوت السماء لك أشعة الشمس
لكى تستطيع أن ترفع نفسك نحو السماء مثل عين رع » .

ومن هذا نرى أن فكرة اعتبار الهرم أنه الوسيلة التى يستطيع
الملك المتوفى أن يصعد بها الى السماء فكرة مغرية لا يمكن مقاومتها ،
اذ ان هذا التفسير يجعل من بناء الهرم غرضا ماديا محضا ويتفق مع
العناصر الأخرى فى المجموعات الجنازية للملك .

زد على ذلك أن الهرم لا يصبح فى هذه الحالة التمثيل المادى
الوحيد لشيء لا يمكن الاحاطة به أو لمسه بين الأثاث الجنازى والمعدات
الخاصة بالملك . فالمراكب الخشبية التى كانت توضع على مقربة من
الهرم فى حفرات يكسون جدرانها من الداخل بأحجار جيرية من طرة ،
لم تكن الا ممثلة للمراكب غير العادية التى يستخدمها الملك فى سفره
عبر السماء فى صحبة اله الشمس .

ان الفكرة التى تقوم عليها كل حالة من الحالتين هى مبدأ حلول
شيء مكان آخر ، أى نموذج منه ، سواء أكان تمثالا حجريا لشخص
أو منظرًا منقوشا على الحجر ، فان ذلك فى اعتقادهم يملك كل المزايا
التي للشيء الحقيقى الذى تمثله .


ولم يكن للحجم أى أهمية أساسية فى صلاحية الشيء البديل ، وربما
كان ذلك هو السبب فى التدهور السريع فى حجم الهرم بعد أيام خوف
وخفرع .


ولنلق الآن نظرة جديدة على الكلمة المصرية التى تعنى الهرم و
ضوء هذه النظرية الجديدة ، فلعلنا نجد لها معنى لم نلاحظه حتى الآن .
لقد كان المصريون يطلقون على الأجزاء المختلفة من معابدهم وغيرها
من الأماكن الدينية أسماء تدل على وظائفها ، فالمبنى الذى كان فى معبد
هيليوبوليس والذى كانوا يضعون فيه الرمز الشمسى المسمى بالمصرية
« بن — بن » كانوا يسمونه « بيت البن — بن » ، وكانوا يسمون
المقبرة — كما ذكرنا — « حصن الأبدية » . وكذلك أطلقوا على بعض
أجزاء من المجموعة الهرمية أسماء تدل عليها ، فالطريق الجنازى كان
اسمه « طريق السحب » (را — ستا) ومعنى الكلمة أنه الطريق


الذى تسحب عليه الزحافات التى تحمل جسد الملك المتوفى وما معه من أشياء خاصة به . وكذلك الباب الوهمى فى المقدس كانوا يسمونه « مدخل البيت » (را - بر) وسموا المركب المقدس « السفينة الالهية » .

ومن الممكن أن تكون كلمة مر (= هرم) من قبيل هذا النوع من الأسماء ، اذا أمكننا أن نثبت أن هذا مكون من مقطعين أولهما « م » التى تأتى فى اللغة المصرية بمعنى مكان اذا وضعت فى المقدمة ، والمقطع الثانى « عر » ومعناها يصعد أو يذهب الى أعلى ، فيصبح معنى « مر » مكان الصعود . وسقوط حرف العين بعد حرف الميم فى أول الكلمة ليس بالشئ الفادر فى اللغة المصرية فى تكوين الكلمات . على أننا لا نقول ان هذا رأى تحت أيدينا البرهان على صحته ، وانما هو فى الواقع نتيجة لمناقشة سلبية . وعلى ذلك فاذا لم نحصل على دليل ايجابى عن اشتقاق كلمة « مر » فكل ما يمكننا قوله أن تفسيرها بأنها « مكان الصعود » أمر لا يتعارض مع القواعد اللغوية ، وملاءمتها للفكرة يجعلها أدنى الى أن تكون مقبولة .

وهناك نقطة أخرى هامة توحىها الينا كتابه كلمة « عر » . فقد كان من عادة المصريين فى كتابتهم أن يضيفوا علامة المخصص الى آخر الكلمة . وهذه المخصصات ليست الا علامات بمعانى الكلمات يضعونها فى آخرها . وكانت الكلمات المصرية مكونة من حروف ساكنة ، لأنهم لم يكتبوا حروف العلة .

والمخصص الذى كتبوه بعد كلمة « عر » هو  الذى فسر على أنه سلم مزدوج ، ولكن من الممكن أيضا اعتبار أنه يمثل هرما مدرجا ، فقد كان من عادة المصريين عند رسم شئ أن يصوروه سواء من الجانب أو من الأمام ويوضحوا منظره كله ، لأن رسم ثلاثة أرباع الشئ أمر لم يعرفه المصريون .

وعلى ذلك فمخصص كلمة « مر » كان يكتب دائما وهو 

المفتر الأمامى لهرم كامل يحيط به سور مستطيل . فاذا كانت  تمثل هرما مدرجا فانها تكون المخصص الذى اختاروه لكلمة « عر » ، لأن الأهرام المدرجة كانت وثيقة الصلة بفكرة الصعود ، ونرى فى المتن ٢٧٦ من متون الأهرام بعض ما يفسر لنا هذا الموضوع : « لقد وضع لأجله (أى الملك) سلم للسماء ليصعد به الى السماء » ، وتكررت الفكرة ذاتها فى متن ٦١٩ ، وعلى ذلك يمكن تقديم تفسير واحدا لكل

من شكلى الأهرام ، أما اختلاف شكليهما فيرجع الى أن لكل منهما أصلاً نقل عنه .

ولم يكن المصريون هم وحدهم بين شعوب الشرق القديمة الذين يؤمنون بأنه يمكن الوصول الى السماء والى الآلهة بالصعود على بناء مرتفع ، اذ نرى هذا الاتجاه فى التفكير فى بلاد ما بين النهرين . غنى وسط أى مدينة فى آشور أو فى بابل كانت توجد منطقة مقدسة فيها المعبد وملحقاته وقصر الملك . وفى داخل حرم المعبد يقوم برج مرتفع مشيد بالطوب ، وهو المعروف باسم « الزقورة » . ويصف هيرودوت « زقورة بابل » — وهى التى يعتقد العلماء أنها أصل برج بابل المذكور فى التوراة — فيقول :

« وفى وسط الفناء قام برج متين البناء طوله ٢٢٠ ياردة (fuélong) وعرضه كذلك ، وبنوا فوقه برجاً آخر ، وبنوا فوق الثانى برجاً ثالثاً ، وهكذا حتى وصلوا الى الثامن . وكانوا يصعدون الى الأبراج العليا بواسطة سلم من الخارج يدور حول الأبراج ، وفوق البرج العلوى معبد فسيح ، وفى داخل المعبد سرير كبير مغطى بمفارش جميلة والى جانبه منضدة من الذهب .

ولا يوجد فى هذا المكان تمثال من أى نوع ، كما أن هذه الحجرة لا يشغلها أحد أثناء الليل اللهم الا امرأة من الأهالى يؤكد الكلدانيون كهنة الآله أن الآله اختارها لنفسه من بين جميع نساء البلاد . ويقولون أيضاً — ولكنى لا أصدقه — أن الآله يأتى بنفسه الى هذه الحجرة وينام فوق السرير . (١) .

وكانت للزقورات أسماء ، شأنها فى ذلك شأن الأهرام ، فزقورة سيبار مثلاً كانت تسمى « بيت سلم السماء الساطعة » وهو اسم واضح الدلالة على أنهم كانوا يقصدون من هذا البناء أن يكون حلقة اتصال بين السماء والأرض . ولكن هذا التشابه بين البناءين لا ينطبق على موضوع الدفن ، لأن الزقورة لم تستخدم أبداً كقبور ، بينما كان كل هرم يقام لهذا الغرض .

ونظراً لثقل الأدلة المكتوبة فان أية محاولة لمعرفة الأصلين التاريخى والدينى للأهرام تكون مفعمة بالتحمينات ، ولا يمكن أن نتوقع منها الا نتائج غير حاسمة .

Herodotus, I, 181-2.

(١)

ومع ذلك فإن هذه المعضلة من المعضلات التي يجب أن نواجهها دائماً عندما نحاول من دراستنا للمخلفات الأثرية أن نكون في أذهاننا صورة عما كان يحدث في الماضي البعيد .

ويشبه هذا العمل من وجوه كثيرة حل لغز من الالفاز التي تستخدم فيها القطع الخشبية الصغيرة المكلمة لبعضها ، ففي مثل تلك اللعبة يمكن تجييع أجزاء مختلفة من المنظر يوافق بعضها البعض قبل أن نعثر على القطع التي تربط بعض هذه الأجزاء ببعض ، وكم من مرة يحدث عند العثور على قطعة من القطع أن يغير الشخص رأيه الذي كان قد بدأ بكونه عن الفكرة العامة للمنظر كله أو صلة الأجزاء المختلفة ببعضها .

وفي تفسيرنا لمعضلات الآثار فإن الفكرة العامة للغز نحصل عليها من حوادث معينة نعرف تواريخها على وجه التقريب ، ولكن تظل بينها فجوات كبيرة نحاول ملأها فلا نجد ما نملؤها به إلا حقائق ثابتة حيناً ومجرد تخمينات في حين آخر . وعندما تسفر الحفائر الأثرية أو الأبحاث العلمية عن معلومات جديدة تعطى تفسيرات جديدة لأشياء كانت معروفة على وجه آخر ، فإننا نبادر إلى ملء بعض الفجوات ، ولكن كثيراً ما يحدث عندما نشرع في ذلك أن نرى أن كثيراً من الأماكن قد ملئت خطأ فنضطر إلى تصحيح الأوضاع من جديد .

فاذا طبقنا هذا التشبيه على المقابر الملكية المبكرة ، فإن القطع الرئيسية الثلاث في هذا اللغز هي المصطبة والهرم المدرج والهرم الكامل ، والمعضلة هي أن نحاول ملء الفجوات التي تفصل هذه القطع الثلاث .

فبين المصطبة والنوعين الآخرين من الأهرام فجوة واسعة ، فأولها تمثل القصر الملكي ، وفي هذا دلالة على أن الحياة بعد الموت لا يمكن أن تكون في أي مكان آخر غير المقبرة ، أما الأخيران فيدلان على توقع الوصول إلى المناطق السماوية .

ولسنا نعرف على وجه التأكيد التاريخ الذي حدث فيه تغيير شكل القبر ، ولكن هذا التاريخ يجب أن يكون محصوراً بين منتصف الأسرة الأولى وبداية الأسرة الثالثة . فاذا سلمنا بأن كلا من « عا » و « جر » دفن في المقبرة المنسوبة إليه في سقارة ، فلا بد أن كلا

منهما دفن في مصطبة . . ولكن زوسر بنى هرما مدرجا ، فهل كان هذا التغيير في طراز القبر راجعا الى تغيير في العقيدة ؟

فاذا كان الأمر كذلك فان المصريين يكونون قد بدأوا يمزجون بين العقيدتين في عهد زوسر ، لأنه — علاوة على هرمه — نراه قد بنى لنفسه « المصطبة الجنوبية » لتكون على ما يظهر مقبرا رمزيا له .

ولسنا نعرف ان كان قد صاحب هذا المزج في العقائد نزاع ديني مريع أو أنه تطور تطورا سلميا . ولكن منذ الوقت الذي تم فيه هذا المزج عاشت العقيدتان جنباً الى جنب في صفاء ، وأراد الملوك ان يقسموا حياتهم الأخرى بين القبر وبين المناطق السماوية .

ومما يدعو الى الأسف أن الهرم ذا الطبقات والهرم الناقص — وكلاهما في زاوية العريان — قد عدا عليهما الزمن ، ثم هما في الوقت ذاته لم يتم العمل فيهما ، وعلى ذلك فلا يمكن أن نعرف منهما أكثر من أن بعض ملوك الأسرتين الثانية والثالثة — غير الملك زوسر — بنوا أهراما مدرجة . ولا يوجد على الإطلاق ما يثبت أنهم بنوا — أو عزموا على بناء — مصطبات اضافية .

والى أن نعرف صاحب الهرم المنحني لا يمكننا البحث في امره ، ولكن لا يوجد في معالمة المعمارية ما يدل على أن تاريخه بعد تاريخ هرم ميدوم . لقد بنى سنفرو هرمين أحدهما في ميدوم والآخر في دهشور ، وتم بناء أولهما كهرم مدرج قبل أن يحولوه الى هرم كامل ، وعلى ذلك يتضح لنا أن غرض سنفرو الأصلي هو أن يكون له هرم من كلا النوعين ، وبذلك يكون له مدفن من الطراز القديم وآخر من الطراز الحديث (١) .

وهنا تظهر المشكلة مرة ثانية ، ونتساءل عما اذا كان تغيير شكل الهرم من مدرج الى كامل قد تم دون حدوث احتكاك ، لأن الحوادث التي حدثت بعد ذلك تشير الى أن هذا الانتقال لم يكن سهلا .

وتقع ميدوم على بعد ٢٨ ميلا من دهشور ، ولا بد أنه كان هناك سبب لوضع إحدى المقبرتين بعيدة عن الأخرى بهذه المسافة . فهل

(١) لم يعد لهذه التخمينات محل بعد ان ثبت ان هرمى سنفرو هما هرما دهشور ، القبلى (المنحنى) والبحرى — (العرب) .

كان سنفرو يخشى من حدوث احتكاك بين كهنة هرمه المدرج (في ميدوم)
وكهنة هرمه الكامل ؟

ان تغيير هرم ميدوم لى يصبح فى النهاية هرما كاملا ربما أوجبه
تأكد الملك من أنه لا يمكن التوفيق بين الكهنة من الفريقين ، ومعرفته
بالأخطار التى تصيبه فى الحياة الأخرى نتيجة لتنافسهما وحرص كل
منهما على أن يكون الحارس لجسده . فلما أتم سنفرو تحويل هرم
ميدوم الى هرم كامل بدلا من هرمه ، أصبح مالكا لقبر رمزي ينفعه
فى حالة حدوث أى ضرر لقبره فى دهشور ، وبذلك أعطانا البرهان
القاطع على تدهور شأن عقيدة الهرم المدرج .

وبعد أن انتصرت العقيدة الجديدة واستتب لها الأمر ، بنى خوفو
أعظم الأهرام الكاملة حجما وأكملها من الناحية المعمارية والذى يعد بحق
من عجائب الدنيا النادرة وليس من بين عجائب الدنيا السبع وحسب .
وهزم خفرع الذى يقوم الى جانبه لا يقل عنه الا قليلا . ومن هذا
نرى أن مؤازرة الملوك للعقيدة الجديدة تدرجت من الأب الى الابن
دون حدوث شىء .

ولكننا نعرف أن « ددف رع » — وهو ابن لخوفو من زوجة فى
المرتبة الثانية — جلس على العرش بين خوفو وخفرع . وهناك
ملاحظتان بشأن قبر هذا الملك ، الأولى أنه لم يبن هرمه فى الجزيرة
حيث يوجد مكان متسع لهذا القبر بل بناه فى أبى رواش على مسافة
خمسة أميال ، والثانية أن بناءه السفلى كان يختلف عن أى هرم بنى
بعد الهرم الناقص فى زاوية العريان وهرم زوسر المدرج . فهل أراد
ددف رع فى البداية أن يبنى هرما مدرجا ليكافئ كهنة هذه العقيدة
الذين ساعدوه فى تولى الملك ؟ لا جواب على هذا السؤال ، لأنه
لا يكاد يوجد حجر واحد باق فى مكانه فى المبنى العلوى ، كما أنه من
الممكن أن يكون تصميم البناء السفلى قد أملتة طبيعة الصخر فى
أبى رواش .

وبعد ددف رع لا يوجد الا ملك واحد فى الدولة القديمة أعرض
عن الهرم الكامل ، وهو شيبسسكاف . وأسهل تفسير لهذا النكوص
هو أن الذى أملى عليه ذلك هو رغبته فى الخروج على النفوذ الطاغى
المتزايد لكهنة اله الشمس فى هليوبولس ، واعتقاده بأن المصطبة
يمكن أن تؤدى جميع مطالب الحياة الأخرى غير السماوية .

تبعته زوجته خنت كاوس فبنت قبرها أيضا على شكل مصطبة على مقربة من مبنى الوادى التابع لأبيها منكورع ، ولكن قبل أن توارى التراب أخذ نجم عقيدة كهنة الشمس في الارتفاع ، وأصبح لها النصر الكامل عندما تأسست الأسرة الخامسة .

وربما جعلت سنوات النزاع أولئك الكهنة يتخذون موقفا أكثر مسالمة ومحبة للتوفيق ، لأن متون الأهرام تبين لنا أنه لم تأت نهاية الأسرة الخامسة حتى نرى أن جميع المذاهب التي كانت معروفة من قبل عن الحياة الأخرى قد جمعت معا دون نظر الى ما فيها من تناقضات .

ولم يحدث تغيير جوهرى فى بناء الهرم فى الأسرة السادسة . ومن هذا الوقت استمر المصريون فى تشييد الأهرام ، على أنه من المشكوك فيه أن يكونوا قد جعلوا لها أى معنى خاص أكثر من أنها الطراز المعتاد للقبر الملكى .

حاشية : فى الوقت الذى كان فيه هذا الكتاب تحت الطبع ، ظهر فى الصحف (١) تقرير بأن عبد السلام حسين القائم بعمل حفائر فى دهشور لحساب مصلحة الآثار المصرية ، قد عثر فى الهرم المنحنى على بعض أحجار عليها اسم سنفرو . ويجب أن ننتظر تقريراً كاملاً عن هذا الاكتشاف ينشره المكتشف نفسه لنعرف أهميته ، وعلى أى حال فقد جاء الدليل الآن على أن هذا الهرم يخص سنفرو وليس حونى (Huni) سلفه ، فإذا كان هرم ميدوم هو هرم سنفرو الثانى — كما يبدو على الأرجح — فإن الهرم الحجرى الشمالى فى دهشور يجب أن يكون الملك آخر نتوقع أن تكشف عن حقيقته الحفائر فى المستقبل (١) .

(١) قد ثبت أن هرم دهشور البحرى هو هرم سنفرو الثانى — (العرب) .
(٢) Illustrated London News, 22nd March and 5th April 1947.

أهم أهرام الدولتين القديمة والوسطى

اسم الهرم	أبعاد القاعدة بالتقريب	المنطقة	الأسرة	اسم الملك
—	٤١١ قدما شرق ٠ غرب ٦٥٨ قدما شمال ٠ جنوب	سقارة	الثالثة سنة ٢٨١٥ ق م	زوسر (الهرم المدرج)
—	٦٧٦ قدما مريعا	زاوية العريان	الثالثة (٤)	خع ٠ ياو (٤) (هرم الطبقات)
—	—	زاوية العريان	الثالثة (٤)	نب ٠ كا (٤) (الهرم الناقص)
—	٦٢٠ قدما »	دهشور	الرابعة	حوني (٤) (١) (الهرم المقيى)
الهرم الجنوبي « سنثرو يلمع » الهرم « سنثرو يلمع » الهرم « خوفو هو المنتسب للائق »	٤٧٣ قدما » ٧١٩ قدما » ٧٥٦ قدما »	ميدوم دهشور الجيزة	الرابعة الرابعة الرابعة	سنثرو (١) سنثرو خوفو (الهرم الأكبر)
— الهرم « عظيم هو خفرع » الهرم « متكاورع الهي »	٣٢٠ قدما » ٧٠٨ قدما » ٣٥٦ قدما »	أبو رواش الجيزة الجيزة	الرابعة الرابعة الرابعة	ندف رع خفرع متكاورع
الهرم « طاهرة هي أماكن أوسر كاف » الهرم « روح ساحورع تلمع » الهرم « أصبح نفر أير كارع روجا » الهرم « روح نفر أف رع الهيئة » الهرم « أماكن نير أوسر رع خالدة »	٢٣١ قدما مريعا ٢٥٧ قدما » ٣٦٠ قدما » — ٢٧٤ قدما » ٢٧٠ قدما » ٢٢٠ قدما »	سقارة أبو صير أبو صير أبو صير (٤) أبو صير سقارة سقارة	الخامسة ٢٥٦ ق م الخامسة الخامسة الخامسة الخامسة الخامسة الخامسة	أوسر كاف ساحورع نفر أير كارع نفر أف رع نير أوسر رع أسيسي أوناس

(١) أصبح من المؤكد الآن أن هرم ميدوم ينتمى للملك حوني آخر ملوك الأسرة

الثالثة .

اسم الهرم	أبعاد القاعدة بالتقريب	المنطقة	الأسرة	اسم الملك
الهرم « باقية هي أماكن تيتي »	٢١٠ قدما »	سقارة	السادسة ٢٤٢٠ ق ^م	تيتي
الهرم « بيبي ثابت وجميل »	٢٥٠ قدما »	سقارة	السادسة	بيبي الأول
الهرم « مررع يلعب وجميل »	٢٦٣ قدما »	سقارة	السادسة	مر رع
الهرم « بيبي يلعب وحى »	٢٤٥ قدما »	سقارة	السادسة	بيبي الثاني
الهرم « فخمه هي أماكن نب حبت رع »	١٠٢ قدما » ٧٠ قدما مربعا	سقارة الدير البحرى	السابعة ٢٢٩٤ ق ^م الحادية عشرة ٢١٣٢ ق ^م	النب نب حبت رع سنخكارع ملئو حبت
الهرم « امنمحات عال وجميل »	غير قام ٢٩٦ قدما »	طيبة الغربية اللثت	الحادية عشرة الثانية عشرة ١٩٠٠ ق ^م	امنمحات الأول
الهرم « ذو الصلة بامان سنوسرت »	٣٥٢ قدما »	اللثت	الثانية عشرة	سنوسرت الأول
الهرم « سنوسرت قوى »	٢٦٣ قدما » ٢٤٧ قدما »	دهشور اللاهون	الثانية عشرة الثانية عشرة	امنمحات الثاني سنوسرت الثاني
الهرم « فى راحة »	٣٥٠ قدما »	دهشور	الثانية عشرة	سنوسرت الثالث
الهرم « أصبح امنمحات روحه »	٢٤٢ قدما » ٣٣٤ قدما »	دهشور هواره هواره	الثانية عشرة الثانية عشرة	امنمحات الثالث (؟) امنمحات الثالث
—	—	مزغونة	الثانية عشرة	الملكة سبك نفرو
—	—	مزغونة	الثانية عشرة	امنمحات الرابع (؟)
—	—	سقارة	الثانية عشرة	نجر
—	—	—	١٧٧٧ ق ^م	—

بیبلیوجرافیا

Introduction

- J. H. Breasted, *The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt*. New York, 1912.
- E. DRIOTON end J. VANDIER, *Les peuples de l'Orient Méditerranéen (L'Égypte)*. Paris, 1938.
- W. B. Emery, *The Tomb of Hemaka*. Cairo, 1938.
- A. Erman, *A Handbook of Egyptian Religion (English Translation by A. S. Griffith)*. London, 1907.
- A. ERMAN, *Die Religion der Agypter*. Berlin, 1934.
- A. H. GARDINER, *The Attitude of the Ancient Egyptians to Death and the Dead*. Cambridge, 1935.
- A. H. GARDINER, *The Contendings of Horus and Seth (The Chester Beatty Papyri, No 1)*. Oxford 1931.
- H. KEES, *Totenglauben und Jenseits Vorstellungen der alten-Agypter*. Leipzig, 1926.
- M. MEUNIER, *Plutarque, Isis et Osiris*, Paris, 1924.
- K. SETHE. *Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten*, Glückstadt.
- K. SETHE, *Urgeschichte und älteste Religion der Agypter* Leipzig, 1930.
- J. W. S. SEWELL, *The Calendars and Chronology*, in S.R.K. Glanville, *The Legacy of Egypt*. Oxford, 1942:
- G. STEINDOFF, and K. BAEDEKER, *Guide to Egypt and the Sudan (8th edition)*. Leipzig, 1929.
- J. VANDIER, *La religion égyptienne*, Paris, 1924.

CHAPTER 1

- N. de G. DAVIES, *The Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep*. London, 1900-01.
- P. DUELL, *The Mastaba of Mereruka*, Chicago, 1938.
- W. B. EMERY, *The Tomb of Hor-Aha*. Cairo, 1939.
- H. JUNKER, *Giza, Grabungen auf dem Friedhof des Alten Reiches bei den Pyramiden von Giza, Vols. I — V*. Vienne, 1929-41.

- J. E. QUIBELL, *The Tomb of Hesy*. Cairo, 1913.
 G. A. REISNER, *The Development of the Egyptian Tomb down to the Accession of Cheops*. Cambridge, Massachusetts, 1935.
 G. STEINDORFF, *Das Grab des Ti*, Leipzig, 1913.

CHAPTER II.

- E. DRIOTON and J.-P. LAUER, *Sakkarah, The Monuments of Zoser*. Cairo, 1939.
 C. M. FIRTH, J. E. QUIBELL and J.-P. LAUER, *The Step Pyramid*. Cairo, 1935.
 A. HERMANN, *Führer durch die Altertumer von Memphis und Sakkara*. Berlin, 1938.
 J. B. HURRY, *Imhotep*. Oxford, 1926.
 J.-P. LAUER, *La pyramide à degrés*, Cairo, 1936-39.
 G. A. WAINWRIGHT, *The Sky Religion in Egypt*. Cambridge, 1938.

CHAPTER III.

- A. BARSANTI, *Fouilles de Zaouiet el-Aryân (1984-06)*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. VII, pp. 201-10. Cairo 1907.
 A. BRASANTI, *Ouverture de la pyramide de Zaouiet el-Aryan*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. II, pp. 92-4. Ceiro, 1901.
 7. BORCHARDT, *Die Entstehung der Pyramide an der Baugeschichte der Pyramide bei Medum nachgewiesen*. Berlin, 1928.
 I. BORCHARDT, *Ein Königserlass aus Dahschur*, in *Zeitschrift für ägyptische Sprache*, Vol. XLII, pp. 1-11. Leipzig, 1905.
 F. L. L. GRIFFITH, *The Inscriptions of the Pyramid of Medum*, in W. M. F. Petrie, *Medum*. London, 1892.
 G. JÉQUIER, *Douze ans de fouilles dans la nécropole memphite*. Neuchâtel, 1940.
 G. JÉQUIER *Rapport préliminaire sur les fouilles exécutées en 1924-5 dans la partie méridionale de la nécropole*.

- memphite, in *Annales du Services des Aniquités*, Vol. XXV, pp. 71-5. Cairo, 1925.
- G. MASPERO, and A. BARSANTI, *Fouilles de Zaoutiét el-Aryan (1904-05)*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. VII, pp. 257-86, Cairo, 1906.
- CH. MAYSTRE, *Les dates des pyramides des Snefrou*, in *Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire*, Vol. XXXV, pp. 89-98, Cairo, 1935.
- W. M. F. PETRIE, *A Season in Egypt, 1887*. London, 1888.
- W. M. F. PETRIE, *The Pyramids and Temples of Gizeh*, London, 1883.
- W. M. F. PETRIE, E. MACKAY and G. A. WAINWRIGHT, *Meydum and Memphis (III)*. London, 1910.
- G. A. REISNER, *op. cit.*
- G. A. REISNER, and C. S. FISHER, *The Work of the Harvard University Museum*, in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, No 54, Boston, 1911.
- A. ROWE, *Excavations of the Eckley B. Coxe, Jé., Expedition at Meydum, Egypt, 1929-30*, in the *Museum Journal*, Pennsylvania, March 1931.
- H. VYSE and J.D. PERRING, *Operations carried on at the Pyramid of Gizeh*. Lendno, 1940-42.

CHAPTER IV.

- J. BAIKIE, *The Sphinx* in J. H. Hastings, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, Vol. XI, pp. 767-8 Edinburgh, 1920.
- T. J. C. BALY, *Notes on the Ritual of Opening the Mouth*, the *Journal of Egyptian Archeology*, Vol. 16, pp. 173-86, London, 1930.
- E. V. BERGMANN, *Die Sphinx*, in *Zeitschrift fur agyptische Sprache*, Vol. XVIII, pp. 50-1. Leipzig, 1880.
- A. M. BLACKMAN, *Some Notes on the Ancient Egyptian Practice of Washing the Dead*, in the *Journal of Egyptian Archaeology* Vol. V. pp. 117-24. London 1918.
- A. M. BLACKMAN, *The Rite of Opening the Mouth in Ancient Egypt and Babylonia*, in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. X. pp. 47-59, London, 1924.

- L. BORCHARDT, *Eingies zur dritten Periode der grossen Pyramide in Gise*. Berlin, 1932.
- L. BORCHARDT, *Gegen die Zahlenmystik an der grossen Pyramide bei Gise*. Berlin 1922.
- L. BORCHARDT, *Längen und Richtungen der vier Grundkanten der grossen Pyramide bei Gise*. Berlin, 1926.
- L. BORCHARDT and K. SETHE, *Zur Geschichte der Pyramiden*, in *Zeitschrift für ägyptische Sprache*, Vol. 30, pp. 83-106, Leipzig, 1892.
- J. CAPART and MARCHELLE WERBROUCK, *Memphis à l'ombre des Pyramides*. Brussels, 1930.
- S. CLARKE and R. ENGELBACH, *Ancient Egyptian Masonry*. Oxford, 1930.
- J. H. Cole, *The Determination of the Exact Size and Orientation of the Great Pyramid of Giza (Survey of Egypt, Paper No, 39) Cairo*, 1925.
- D. E. DESRY, *Mummification*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. LII, pp. 235-65. Cairo, 1942.
- E. DRITON, *Review of B. GRADSLOFF, Des Reinigungszelt*, in *Annals du Service des Antiquités* Vol. XL. pp. 1007-14, Cairo, 1940.
- B. GRDSELOFF, *Das ägyptische Reinigungszelt*, Cairo, 1941.
- U. HOLSCHER, *Das Grabdenkmal des Königs Chephren*. Leipzig, 1912.
- G. JEQUIER, *Manuel d'archéologie égyptienne* Paris, 1924.
- G. JÉQUIER, *Le Mastabat Feraoun*. Cairo ; 1928.
- H. JUNKER, *op. cit.*
- H. JUNKER, *Von der ägyptische sprache*, Vol. 63. 63 pp. 1-14. Leipzig, 1928.
- W. M. F. PETRIE, *The Pyramids and Temples of Gizeh*, London, 1883.
- G. RAWLINSON, *History of Herodotus (Everyman's Library, edited by E. H. Blakeney)*. London 1912.
- G. A. REISNER, *op. cit.*
- G. A. REISNER, *Hetep-Heres, Mother of Cheops*, in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, Vols XXV (Special Supplement) XXVI and XXX. Boston, 1927-32.
- G. A. REISNER, *A History of the Giza Necropolis*, Vol. I, Cambridge Massachusetts, 1942.

- G. A. REISNER, *Mycerinus, The Temples of the Third Pyramid at Giza*, Cambridge, Massachusetts, 1931.
- SELIM BEY HASSAN, *Excavations at Giza*. Oxford and Cairo, 1932, 1943.
- E. BALDWIN SMITH, *Egyptian Architecture as a Cultural Expression*, New York, 1938.
- W. STEVENSON SMITH, *A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom* Oxford, 1946.
- W. STEVENSON SMITH, *Old Kingdom Sculpture*, in the *American Journal of Archaeology*, Vol. XLV, pp. 514-28. Concord, New Hampshire, 1941.
- H. VYSE and J. E. PERRING, *op. cit.*
- W. G. WADDEL, *An account of Egypt by Diodorus Siculus*, in the *Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt*, Vol. I Parts I and 2 Cairo, 1933.

CHAPTER V.

- L. BORCHARDT, *Das Grabdenkmal des Königs Nefer-ir-ke-Re*. Leipzig. 1909.
- L. BORCHARDT, *Das Grabdenkmal des Königs Ne-user-Re*. Leipzig, 1907.
- L. BORCHARDT, *Das Grabdenkmal des Königs Sahr-Re*. Leipzig 1910-13.
- L. BORCHARDT, *Die Pyramiden, ihre Entstehung und Entwicklung*. Berlin, 1911.
- F. W. VON BISSING, *Das Re-Heiligtum des Königs Ne-user-Re*-Berlin ; 1905.
- E. DRITON, *Une représentation de la famine sur un bas-relief égyptien de la Ve Dynastie*, in *Bulletin de l'Institut d'Égypte*, Vol. XXV. pp. 45-54. Cairo, 1942-43.
- A. ERMAN, *The Literature of the Egyptians* (translated by A. M. Blackman) London, 1927.
- C. M. FIRTH, *Excavations of the Department of Antiquities at Sakkara (1928-29)* in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXIX, pp. 64-70. Cairo, 1929.
- C. M. FIRTH and B. GUNN, *The Teti Pyramid Cemeteries*. Cairo, 1926.

- C. M. FIRTH, Excavations of the Department of Antiquities at Sakkara (1928-20) in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXIX, pp. 64-70, Cairo, 1929.
- C. M. FIRTH and B. GUNN, *The Teti Pyramid Cemeteries*. Cairo, 1926.
- B. GRDSELOFF, Deux inscriptions juridiques de l'Ancien Empire, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XLII, pp. 25-70, Cairo, 1942.
- G. JÉQUIER, *La pyramide d'Aba*. Ceiro, 1935.
- G. JÉQUIER, *La Pyramide d'Oudjebten*, Cairo, 1928.
- JÉQUIER *Le monument Funéraire de Pepi il* Cairo, 1936-41.
- G. JÉQUIER, *Les pyramides des reines Neit et Aput*. Cairo 1933.
- P. LACAU, Suppressions des noms divins dans les textes de la chambre funéraire, in *Annales du Services des Antiquités*, Vol. XXVI, pp. 69-81. Cairo, 1926.
- P. LACAU, Suppression et modifications de signes dans les textes funéraires, in *Zeitschrift für ägyptische Sprache*, Vol. 51, pp. 1-64, Leipzig, 1914.
- E. MEYER, *Geschichte des Altertums*. Berlin, 1921.
- SELIM BEY HASSAN, Excavations at Sakkara (1937-38), in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXXVIII, pp. 519-20, Cairo, 1938.
- K. SETHE, *Die altägyptischen Pyramidentexte*. Leipzig, 1908-22.
- K. SETHE, *Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten*. Gluckstadt.

CHAPTER VI

- E. R. AYRTON, C. T. CURRELLY and A. E. P. WEIGALL, *Abydos III* (London, 1904).
- G. BRUNTON, *Lahun I, The Treasure*, London, 1920.
- B. BRUYERE, *Fouilles de l'Institut français du Caire*, Vol. VIII Cairo, 1933,
- H. CARTER, Report on the Tomb of Mentuhotep I in the *Annales du Service des Antiquités* Vol. II, pp. 201-5 Cairo, 1901.
- NINA M. DAVIES, Some Representations of Tombs from the Theban Necropolis ; in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. 24, pp. 25-40. London 1938.

- W. F. EDGERTON, Chronology of the Twelfth Dynasty, in the Journal of Near Eastern Studies, Vol. I, pp. 307-14. Chicago, 1942.
- A. H. GARDINER and H. I. BELL, The Name of Lake Moeris, in the Journal of Egyptian Archeology, Vol. 29, pp. 37-50. London, 1943.
- J. E. GAUTIER, and G. JÉQUIER, Fouilles de Licht, Cairo, 1902.
- B. GUNN, The Name of the Pyramid-Town of Sesostris II, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 31, pp. 106-7 London, 1945.
- B. GUNN and A. H. GARDINER, The Expulsion of the Hyksos, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. V. pp. 36-56 London, 1918.
- H. R. NALL, The Ancient History of the Near East. London, 1913. W. C. HAYES, The Entrance Chapel of the Pyramid of Ser-Wosret I, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York 1934, Section 2, pp. 9-26.
- A. LANSING, The Museum's Excavations at Lisht, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York, Vol. V (1920), pp. 3-11, Vol. XXI (1926) Section 2, pp. 33-40, Vol. XXIX (1934) Section 2, pp. 4-9.
- A. M. LYTHGOE, The Treasure of Lahun, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, November 1921, Part 2, pp. 5-19; December 1922, Part 2, pp. 4-18.
- J. DE MORGAN, Fouilles à Dahchour, Vienna, 1895-1903.
- E. NAVILLE and H. R. HALL, The XIth Dynasty Temple of Deir el-Bahari. London, 1907-13.
- P. E. NSWBERY, The Co-regencies of Ammenemes III, IV and Sebeknofru, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 29 pp. 74-5. London, 1943.
- W. M. F. PETRIE, Hawara, Biehmu and Arsinoe, London, 1889.
- W. M. F. PETRIE, Illahun, Kahun and Gurob, London 1890.
- W. M. F. PETRIE, Kahun, Gurob and Hawara, London, 1890.
- W. M. F. PETRIE, G. Brunton and M. A. Murray, Lahun II. London, 1923.
- W. M. F. PETRIE, G. A. WAINWRIGHT and E. MACKAY, The Labyrinth Gerzeh and Mezghuneh, London, 1912.

- D. RANDALL-MACLVER and A. C. MACE, *El-Amreh and Abydos*, London, 1902.
- M. RAFFHAEL, *Nouvea Unom d'une Pyramide d'un Amenemhet*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXXVII, pp. 79-80 Cairo, 1937.
- G. A. REISNER, *Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia* in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, Vol. XV, No 89. pp. 25-34, Boston, 1917.
- G. A. REISNER, *Known and Unknown Kings of Ethiopia*, in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, Vol. VI, No. 97. pp. 67-81. Boston ; 1918.
- G. A. REISNER, *The Royal Family of Ethiopia*, in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, Vol. XXI, No. 124 pp. 12-27. Boton, 1923.
- J. VANDIER, *Le tombe de Nefer-Abou*, Cairo, 1935.
- H. E. WINLOCK, *the Eleventh Egyptian Dynasty*, in the *Journal of Near Eastern Studies*, Vol. 2, No 4, pp. 249-83. Chicago, 1943.
- H. E. WINLOCK, *Excavations at Deir el-Bahri, 1911-1931*, New York, 1942.
- H. E. WINLOCK, *Neb-hepet-Re Mentu-Hotep of the Eleventh Dynasty* in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. 26 pp. 116-19, London, 1940.
- WINLOCK, *The Theban Necropolis in the Middle Kingdom*, in the *American Journal of Semitic Languages*, Vol. XXXII, pp. 1-37, Chicego, 1915.
- H. E. WINLOCK, *The tombs of the Kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes*, in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. X pp. 217-77. London, 1924.
- H. E. WINLOCK, *The Treasure of El-Lahun*, New York, 1934.

CHAPTER VII.

- A. BORCHARD, *Die Entstehung der Pyramide an der Baugeschichte der Pyramide bei Mejdum nachgewiesen*. Berlin 1928.
- J. H. BREASTED, *op. cit.*,
- S. CLARKE and R. ENGEBACH, *op. cit.*

- J. H. COLE, *op. cit.*,
- W. B. EMERY, A Preliminary Report on the First Dynasty Copper Treasure from North Saqqara, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXXIX, pp. 427-47. Cairo. 1939.
- B. CUNN, Reviwe of T.E. Peet, The Phind Mathematical Papyrus, in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. II pp. 123-37 London, 1926.
- A. LUCAS, *Ancient Egyptian Materials and Industries* (2nd Edition) London, 1934.
- A. C. MACE. Excavations et the North Pyramids of Lisht, in the *Bulletin of the Metropolitan Museum of Art*, Vol. IX p. 220. New York, 1914.
- G. MASPERO, Note sur le pyramidion d'Amenhait III, pp. 206-8 Cairo, 1902.
- W. M. F. PETRIE, The Building of a Pyramid, in *Ancient Egypt*, 1930, II pp. 33-9 London.
- W. M. F. Petrie, *The Pyramids and Temples of Gizeh*, London, 1883.
- G. RAWLINSON, *op. cit.*
- L. ROWE, *op. cit.*,
- K. SETHE. *Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten* Gluckstedt.
- S. Smith, A Babylonian Fertility Cult, in the *Journal of the Royal Asiatic Society*, October 1928, pp. 849-75.
- W. G. WADDELL, *Herodotus*, Book II London, 1939.
- N. F. WHEELER, *Pyramids and their Purpose*, in *Antiquity*, Vol. IX, 172-85 Glouceter, 1935.

قرأ في هذه السلسلة

جوزيف دامموس
سبع معارك فاصلة في المصحف
الوسطى

د. لينداير تشامبيرز
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية أزاء مصر

د. جون شندلر
كيف قميص ٣٦٥ يوماً في
السنة

بيير الير
الصحافة

د. غبريال وهبة
أثر الكوميديا الالهية لهاتق
في الفن التشكيلي

د. وميس عوش
الاحتب الروسي قبل الثورة
الاشيضية ويعدما

د. محمد نعمان جلال
حركة عدم الاحتياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. باومر
الفكر الأوربي الحديث ٤ ج

شوكيت الربيعي
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د. محي الدين أحمد حسين
التشكلة الأسرية والإذناء المنفلر

ج. داناي اندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كورناد
مختارات من الأدب القصصي

د. جومان دريشتر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأيمن توجد

طاققة من العلماء الأمريكيين
مياسرة النطاق الاستراتيجي
جرب للفناء

د. لسيد عليرة
اندلرة الصراعات الدولية

د. محمدي علس
البيروكسيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين للقمامة
والصناعات

مختارات من الأدب الياباني
« للفن - للدراما - للصناعة -
للصناعة التجميعية »

بيل شول وأديت
القوة النفسية للأهروام

د. مندا خلوصي
فن الترجمة

رالف نى مانلو
تولستوى

فيكتور برومير
ستدال

فيكتور موجد
رسائل واحاديث من الخفى

فيرنر ميريبورج
الجزء والكل « معاومات في مضمنا
الفيزياء الذرية »

سنخي هوك
التراث القامض - ماركس
والماركسيون

د. ع. ا. اينكوف
فن الأدب الروائي عند تولستوى

هادى نعمان الهيبي
ادب الأطفال « فلسفته ، فنونه ،
وسائطه »

د. نعمة رحيم العزاوى
أحمد حسن الزيات كاتباً وثقافة

د. فاضل أحمد الطاشي
أعلام العرب في الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

منرى باريوس
الجحيم

د. السيد عليرة
صنع القرار السياسي في
منظمات الإدارة الصامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للانسان

د. روجر ستروجان
هل تستطيع تعليم الإخلاق
للأطفال ؟

كاتى ثير
تربية النواجر

أ. مينسر
الموتى وصالحهم في مصر
للأندية

د. ناعوم بيتروبيتش
الفن والخطب

برتراند رسل
أعلام الأعلام والقصص أخرى

ي. راسر نكايوم جابوتسكى
التكنولوجيا والحياة الحديثة

ألن مكسلى
نقطة مقابل نقطة

د. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج. فريس و. أ. ج. فيكستور
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٧ ج

ليستيديل راي
الأرض القامضة

ولتر آلن
الرواية الإنجليزية

لويس فارجاس
المرشد إلى فن المسرح

فرانسوا دوما
أله مصر

فدى حمس واحروب
الانسان المصرى على العاشفة

أربع فولكف
القاهرة مئيلة ألف ليلة وليلة

مائم النحاس
الهوية القومية في السينما

ديفيد وليام ماكسوال
مجموعات التثويد - صياقتها
تصنيفها - عرضها

عزيز النوران
الوسيقى تعبير لغوي ومطلق

د. محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان ترماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الانسان ذلك المتائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. جود المولى شمراوى
المسرح المصرى المعاصر
أصله ودينيته

أدور السداوى
محمود طه الشاعر والانسان

جايريل باير
تاريخ ملكية الأراضي في مصر
الحديثة

انطوني دي كرسيني وكينيث هيتوج
اعلام الفلسفة السياسية
المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للمسيما
زالميسكي ق. من
الزمن وقياسه (من جزء من
الليون جزء من الثانية وحتى
مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرخاوي
أجهزة تكيف الهواء

بيتر رداي
الضمة الاجتماعية والانضباط
الاجتماعي

جوزيف دامنوس
سبعة مؤرخين في العصور
الوسطى

س. م. بورا
التجوية اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر
الاسلامية

روغالد د. سمبسون وبورمان د.
اندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. انور عبد الملك
الشارح المصري والفكر

ولت وتيمان دوستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد . س. هيسن
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية
من الامثال الشعبية في عهد
محمد علي

الان كاسبيار
التنوع السيمائي

سامي عبد الحلبي
التقسيم السياسي في مصر
بين النظرية والتطبيق

فريد مويل وشاندرا ويكراما سينج
اليدور الكوتية

حسين حلمي المهندس
مرامو الشاشة (بين النظرية
والتطبيق) - السيماسو التلفزيون
٢ .

دوي رويرسون
الهيروين والاييز والرهما في
المجتمع

نور كاس ماكينتوك
صور افريقية - نظرة على
حيوانات افريقيا

ماشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة
د. محمود سرى طه

الكومبيوتر في مجالات الحياة

بيتر لوري
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فينورويتش سيرجيف
وقالغ الاعضاء في الالف
اليساء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرغون
تربية اسماك الزينة

احمد محمد الشتواني
كتب غيرت الفكر الانساني

جون . ر. بورد وميلتون جولدين
الفلسفة وقضايا العصر ٣ .

ارنولد توينبي
الفكر التاريخي عند الافريق

د. صالح رضا
ملاحم وقضايا في الفن
التشكيلي المعاصر

م. د كنج وآخرون
التنمية في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد آيو سنخيرة
الحرف والصناعات في مصر
الاسلامية منذ الفتح العربي
حتى نهاية العصر الفاطمي

جاليليو جاليليه
حوار حول الظالمين للاريسين
للكون ٣ .

اريك موريس وان هرو
الارهاب

سيريل المريد
اختلاوتون

ارثر كيمستار
القبيلة الثالثة عشرة ويهود
النجوم

ب. كومان
الاساطير الافريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسي - تحليل
الاعمال الاسكانية

لجنة الترجمة
المجلس الاعلى للثقافة
المليل البيولوجيا في
رولغ الاداب العائية ١

دوي آرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجاي متشير
اللورة الاصلاحية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث قدا

ميكايل المبي وجيمس لفره
الاقراض الكبير

آدامز فيليب
مليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع التوركستالي

ابو القاسم الدرهمي
للشاهنامه ٢ .

بيترتون بوتر
الحياة الكريمة ٢ .

جاءه كرايس جوينود
كتابة التاريخ في مصر لقرن
التاسع عشر

محمد فؤاد كويرولي
قيام الدولة العثمانية

توني رار
للتمثيل المسيما والتلفزيون

تاجور ، شين ين بلج وآخرون
مقترحات من الاداب الشعبية

ناصر خسرو حلوي
سفرنامه

نادين جوريجير وجريس اوجوت
واخرون

سقوط المطر وقصص اخرى

احمد محمد الشتواني
كتب غيرت الفكر الانساني
٧ .

جان لويس بوري وآخرون
في النقد السيمائي الفرضي

العثمانيون في اوربا
بول كواز

حريص بير براد
مطاع الخاوند
زيجمونت ميز
جمالسات فن الانتراج
جوناثان ريلز سميت
لسلة الصليبية الاولى وفترة
المروب الصليبية
الفريد ج. بنتر
فلسف التنبية القديمة في
مصر ٢ ج
ريتشارد شاخنت
رواد الفلسفة الحديثة
تراثيم زيلشت
من كتاب الاستا المقدس
الماج يونس المصري
رحلات فريما
هريوت ثيلر
الاصنام والهيمنة الثقافية
وتراند راسل
السلطة والفرد
بيتر نيكرلز
السيما الخيالية
انوارد ميرى
نقد للسيما في الامريكى
نلتالى لويس
مصر الرومانية
ستيفن اوزمنت
التاريخ من شلى جوليه ٣ ج
موتى براج وآخرون
السيما العربية من الخليل الى
الحيط
فانس يكاره
لهم يصنعون البشر ٢ ج
جابر محمد الجزار
ماستريرت
د. ابرار كريم آه
من هم التلر
ج. س. نريز
لكاتب الحديث وعاله
٢ ج
موريل عبد الله
حديث الله
من روائع الادب الهندية
لوريت تود
ممثل الى علم اللغة
اسحق عليمرف
الشموس المنيرة
اسرار السوير تولا
مارجريت روز
ما بعد العمالة

د. بيارد فونج
الانهر في الف عام
ستيفن رانسيمان
العمليات الصليبية
ا. ج. واز
معلم تاريخ الاسلام
٥ ج
جوستاف جرونبيوم
حضارة الاسلام
د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيروت الى مصر والحجاز
٢ ج
جلال عبد الفتاح
لكون ذلك المجهول
ارتوك جزل وآخرون
للطف من الخامسة الى العاشرة
٢ ج
باده اوينود
الرواية - الطريق الاخر
د. محمد زليم
فن الزجاج
برنسلر مالترويسكى
العلم والعلم والدين
ادم متز
الحضارة الاسلامية
فانس يكاره
لهم يصنعون البشر
د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
وهيمات رحلة فانكو داجاما
ليزى شاتومان
كولتا المصد
سوندارى
الفلسفة الجوهرية
مارتن فان كريفند
حرب الاستقلال
فرانسيس ج. برجين
الاعلام الصليبية
عبد مياشر
الهيوية المصرية من محمد على
للمساعات
ج. كارميل
تفسير المقاميم الهندسية
توماس ليهبارت
فن المايه والبايتريم
انوارد ديويرو
للتفكير المتجه
ويليام د. ماثيوز
ما هي للجيولوجيا

كروستيان سنالكه
السيكولوجى في النسيما الفرصية
بول ولرن
خطيا تقام للقيم الامريكى
جورج ستانير
بين كولستوى ونوستويوسكى
٢ ج
يانكو لارين
الرومانتيكية والواقعية
محمود سامى عطا الله
القيم التسجىلى
جوزيف پتر
رحلة جوزيف پتر
ستانلى جيه سولومون
التواج الفيلم الامريكى
مارى ب. ناسر
العلم والدين والسوء
جوزيف م. بوجز
فن العرجة على الكلام
كروستيان ديروش تريكور
الحياة الفرصية
جوزيف بيتنام
هوجز تاريخ العلم والحضارة
في الصين
ليوناردو دالنتى
نظرة التصور
ت. ج. ا. جيمز
كلوز الغرامة
رونولف فون هايستورج
رحلة الامير ديولف الى الشرق
٣ ج
مالكوم برادبرى
لرواية اليوم
وليم مارسدن
رحلة ماوكو يولو ٢ ج
هنرى بيرين
تاريخ اوربا في العصور الوسطى
ديفيد شلندر
نظرة الادب المعاصر وقراءة الشعر
اسحق عظيمرف
العلم واثاق المستقبل
رونالد دافيد لانج
الحكمة والجلون والحماقة
كارل بوير
بعثا عن عالم الفضل
فرمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم
واللكنولوجيا

روبرت سكويز وآخرون
الطاق انب الخيال العلمي
 ب* من ديبيق
المفهوم الحديث للسكان والزمن
 من* هوارد
شهر الرحلات الى غرب القريفة
 و* يارتولد
تاريخ الترك في اسيا الوسطى
 فلاديمير تيمانينكو
تاريخ اوريا الشرقية
 جابريل جاجارسيا ماركي
الجنرال في المساهمة
 هنري برجسون
الخصمك
 مصطفى محمود سليمان
الزوال
 م* و* ثرنج
شمير المهتمس
 ا* و* جرنى
الحيثيون
 ستينو موسكاتى
الحضارات السامية
 د* البرت حورانى
تاريخ الشعوب العربية
 محمود قاسم
الكتب العربي المكتوب بالفرنسية

وتفرد هولز
كلنت ملكة على مصر
 جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر
 بول داليز
الفتاى الثالث الاخيرة
 جوزيف وهارى فيلتمان
دينامية الفيلم
 ج* كورنتو
المحضارة الفينيقية
 رنست كاسيرو
فى المعرفة التاريخية
 كنت ا - كتشس
رئيسى الثاني
 جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالم
 درزالند وجاك يانسن
الطفل المصرى القديم
 نيكولاس ماير
شربوك هولز
 ميغيل دى ليبس
الفنران
 جوسيبى دى لونا
موسوليني
 اليريز جرايتر
موتسارت
 على عبد الرؤوف اليمى
مختارات من الشعر الاسبانى

السيد نصر الدين السيد
اطلايت على الزمن الاتى
 مدوح عطية
البرنامج التوى الاسرائيلى
والامن القومى العربى (
 د ليوبوسكاليا
الحب
 ايفور ايفانس
معمل تاريخ الادب الانجليزى
 ميريرت ريد
القريبة عن طريق الفن
 وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية
 الفير توفلر
تحول السلطة ٢ ج
 يوسف شرارة
مشكلات القرن الحادى والعشرين
والعلاقات الدولية
 رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان
 ت ج جيمر
الحياة ايام الفراغة
 جرج كاشمان
لماذا تلتشب الحروب ٢ ج
 حسام الدين زكريا
الظون بروكتر
 ازرا ف* فوجل
المعزة اليابانية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٩١١٦

ISBN — 977 — 01 — 5392 — 3

قبل ثلاثة آلاف عام ابتكر المصريون القدماء شكلاً جديداً من أشكال البناء استخدموه في تشييد أضرحة فراعينهم وهو الشكل الضخم يعرف بالهرم ويبطو أنه استلهم من منظر أشعة الشمس عندما تخترق السحب فتوسم بخطوطها المائلة صور مثلثات قاعدتها الأرض وقامتها السماء وقد بنى المصريون القدماء على مدار خمسة عشر قرناً عشرات الأهرامات التي تمتد كسلسلة متتالية على الضفة الغربية للنيل في مواجهة مدينة القاهرة وما زالت تلك الأهرام تبهرنا بجرمها وأحكام بنائها الضخمة استطاع أن يغالب السنين ودلل على عظمة الحضارة المصرية وما بلغته من اتقان في فنون البناء حتى أن الرحالة الأجانب عندما جاءوا إلى مصر في العصور الوسطى قالوا أن تلك الأهرام من أبنية الجن وأن المصريين القدماء كانوا من السحرة ولكن تلك الأهرام تنهض دليل شامخ على عظمة الحضارة المصرية وقوة عزيمة أبنائها.

ومؤلف هذا الكتاب واحد من أعظم علماء الآثار الإنجليز في عصره وقد حاول أن يتتبع فكرة بناء الأهرام وأصلها الديني وأساليب بناؤها واستعرض مجموعة من أهم الأهرامات ومنها الهرم المدرج في سقارة وأهرامات الجيزة ودهشور وغيرها وغيرها...